Sadat

السادات

د/ مصطفى أحمد

السادات

حياة عاصفة ..ورحيل مفاجئ

المؤلف: د/ مصطفى أحمد

الكتاب: السادات حياة عاصفة ورحيل مفاجئ
المؤلف: د/ مصطفى أحمد
الناشر: المصرية للنشر والتوزيع
ت: 0129619599 / 0237320456 (002)
الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١٠
المشرف العام: الأستاذ/ محمود هريدي
حقوق الطبع محفوظة للناشر
رقم الإيداع: ٢٨٢٢ / ٢٠١٠
الترقيم الدولي: ٦٥ -٥٦٥ - ٥٦٦٥-٩٨٦٥-٥٦٤٨

مقدمة

الرئيس محمد أنور السادات

ثالث من تولى رئاسة جمهورية مصر، وصاحب قرار القضاء على مراكز القوى، وأيضاً حرب أكتوبر.

وُلد محمد أنور السادات ٢٥ ديسمبر ١٩١٨، لأسرة متوسطة الحال بقرية ميت أبو الكوم مركز تلا محافظة المنوفية. تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٣٨ وترقى في الرتب داخل الجيش المصري، واشترك في عمليات مناوئة للاحتلال البريطاني وللملكية. وسرعان ما اتصل بجمال عبد الناصر فيما سمي بحركة الضباط الأحرار التي قامت بثورة يوليو ١٩٥٢، تلك الثورة التي غيرت وجه مصر نحو الأفضل على المستويين السياسي والاجتماعي.

المناصب التي تقلدها :

- مجلس قيادة الثورة.
- وزيرا للدولة في ١٩٥٤ ثم سكرتيراً للاتحاد القومي ١٩٥٩.
- انتخب رئيساً لمجلس الأمة من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٨.
- نائباً لرئيس الجمهورية وعضواً بمجلس الرئاسة ١٩٦٤.
- انتخب عضواً باللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي، وأميناً للجنة القومية السياسية في سبتمبر ١٩٦٨، وأعيد تعينه نائباً لرئيس الجمهورية في ديسمبر ١٩٦٩.
- ثم انتخب رئيسا للجمهورية عقب وفاة الرئيس عبدالناصر في أكتوبر ١٩٧٠.

انجازاته :

أثناء فترة رئاسته قام السادات بتغييرات جذرية على المستويين السياسي والاقتصادي: فعلى المستوى السياسي اتخذ قراراً حاسماً بالقضاء على مراكز القوى في مصر وهو ما عرف بثورة التصحيح في ١٥ مايو ١٩٧١، وفي نفس العام أصدر دستوراً جديداً لمصر.

في عام ١٩٧٣ قاد السادات حرب التحرير ضد إسرائيل محققاً ذلك الانتصار العظيم الذي أعاد للأمة العربية كرامتها وثقتها في نفسها .

وفي عام ١٩٧٦ أعاد الحياة إلى الديمقراطية وكان قراره بعودة الحياة الحزبية ، فظهرت المنابر السياسية ومن رحم هذه التجربة ظهر أول حزب سياسي وهو الحزب الوطني الديمقراطي كأول مولود حزبي كامل النمو بعد ثورة يوليو، ثم توالى من بعده ظهور أحزاب أخرى كحزب الوفد الجديد وحزب التجمع الوحدوي التقدمي وغيرها.

على المستوى الاقتصادي، فقد انتهج سياسة الانفتاح، كما أعاد فتح قناة السويس للملاحة الدولية مرة أخرى.

وفي عام ١٩٧٧ اتخذ الرئيس قراره الحكيم والشجاع الذي اهتز له العالم بزيارة القدس ليمنح بذلك السلام هبة منه لشعبه وعدوه في آن واحد، ويدفع بيده عجلة السلام بين مصر وإسرائيل.

وتقديراً لشجاعته تلك فقد نال جائزة نوبل للسلام مناصفة بينه وبين رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك مناحم بيجين .

وقد تم اغتيال الرئيس محمد أنور السادات في ٦ أكتوبر ١٩٨١، على أيدي أصوليين إسلاميين أثناء احتفاله بذكرى حرب أكتوبر، ودُفن بالقرب من مكان مقتله في ساحة العرض العسكري وبجوار قبر الجندي المجهول.

المراحل الأولى من حياته

ولد بقرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية سنة ١٩١٨، وتلقى تعليمه الأول في كتاب القرية على يد الشيخ عبد الحميد عيسى، ثم انتقل إلى مدرسة الأقباط الابتدائية بطوخ دلكا وحصل منها على الشهادة الابتدائية. وفي عام ١٩٣٥ التحق بالمدرسة الحربية لاستكمال دراساته العليا، وتخرج من الكلية الحربية بعام ١٩٣٨ ضابطاً برتبة ملازم ثان[بحاجة لمصدر] وتم تعيينه في مدينة منقباد جنوب مصر. وقد تأثر في مطلع حياته بعدد من الشخصيات السياسية والشعبية في مصر والعالم.

حياته في السجن

في عام ١٩٤١ دخل السجن لأول مرة أثناء خدمته العسكرية وذلك إثر لقاءاته المتكررة بعزيز باشا المصري الذي طلب منه مساعدته للهروب إلى العراق، بعدها طلبت منه المخابرات العسكرية قطع صلته بالمصري لميوله المحورية غير أنه لم يعبأ بهذا الإنذار فدخل على إثر ذلك سجن الأجانب في فبراير عام ١٩٤٢. وقد خرج من سجن الأجانب في وقت كانت فيه عمليات الحرب العالمية الثانية على أشدها، وعلى أمل إخراج الإنجليز من مصر كثف اتصالاته ببعض الضباط الألمان الذين نزلوا مصر خفية فاكتشف الإنجليز هذه الصلة مع الألمان فدخل المعتقل سجيناً للمرة الثانية عام ١٩٤٣. لكنه استطاع الهرب من المعتقل، ورافقه في رحلة الهروب صديقه حسن عزت. وعمل أثناء فترة هروبه من السجن عتالاً على سيارة نقل تحت اسم مستعار هو الحاج محمد. وفي آواخر عام ١٩٤٤ انتقل إلى بلدة أبو كبير

بالشرقية ليعمل فاعلاً في مشروع ترعة ري. وفي عام ١٩٤٥ ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية سقطت الأحكام العرفية، وبسقوط الاحكام العرفية عاد إلى بيته بعد ثلاث سنوات من المطاردة والحرمان.

وكان قد إلتقى في تلك الفترة بالجمعية السرية التي قررت اغتيال أمين عثمان وزير المالية في حكومة الوفد ورئيس جمعية الصداقة المصرية – البريطانية لتعاطفه الشديد مع الإنجليز. وعلى أثر اغتيال أمين عثمان عاد مرة أخرى وأخيرة إلى السجن. وقد واجه في سجن قرميدان أصعب محن السجن بحبسه إنفرادياً، غير إنه هرب المتهم الأول في قضية حسين توفيق. وبعدم ثبوت الأدلة الجنائية سقطت التهمة عنه فأفرج عنه.

حياته عقب خروجه من السجن

بعد خروجه من السجن عمل مراجعاً صحفياً بمجلة المصور حتى ديسمبر ١٩٤٨. وعمل بعدها بالأعمال الحرة مع صديقة حسن عزت. وفي عام ١٩٥٠ عاد إلى عمله بالجيش بمساعدة زميله القديم الدكتور يوسف رشاد الطبيب الخاص بالملك فاروق.

وفي عام ١٩٥١ تكونت الهيئة التأسيسية للتنظيم السري في الجيش والذي عرف فيما بعد بتنظيم الضباط الأحرار فانضم إليها. وتطورت الأحداث في مصر بسرعة فائقة بين عامي ١٩٥١ – ١٩٥٢، فألغت حكومة الوفد معاهدة ١٩٣٦ وبعدها إندلع حريق القاهرة الشهير في يناير ١٩٥٢ وأقال الملك وزارة النحاس الأخيرة.

وفي ربيع عام ١٩٥٢ أعدت قيادة تنظيم الضباط الأحرار للثورة، وفي ٢١ يوليو أرسل جمال عبد الناصر إليه في مقر وحدته بالعريش يطلب منه الحضور إلى القاهرة للمساهمة

في ثورة الجيش على الملك والإنجليز. وقامت الثورة، وأذاع بصوته بيان الثورة. وقد أسند إليه مهمة حمل وثيقة التنازل عن العرش إلى الملك فاروق.

حياته عقب ثورة يوليو

في عام ١٩٥٣ أنشأ مجلس قيادة الثورة جريدة الجمهورية وأسند إليه رئاسة تحرير هذه الجريدة. وفي عام ١٩٥٤ ومع أول تشكيل وزاري لحكومة الثورة تولى منصب وزير دولة وكان ذلك في سبتمبر ١٩٥٤.

وانتخب عضواً بمجلس الأمة عن دائرة تلاولمدة ثلاث دورات ابتداءً من عام ١٩٥٧. وكان قد انتخب في عام ١٩٦٠ أنتخب رئيساً لمجلس الأمة وكان ذلك بالفترة من ٢١ يوليو ١٩٦٠ ولغاية ٢٧ سبتمبر ١٩٦١، كما انتخب رئيساً لمجلس الأمة للفترة الثانية من ٢٩ مارس ١٩٦٤ إلى ١٢ نوفمبر ١٩٦٨.

كما أنه في عام ١٩٦١ عين رئيساً لمجلس التضامن الأفرو - آسيوي.

في عام ١٩٦٩ اختاره جمال عبد الناصر نائباً له، وظل بالمنصب حتى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

رئاسته للجمهورية

بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وكونه كان نائباً للرئيس أصبح رئيساً للجمهورية. وقد اتخذ في ١٥ مايو ١٩٧١ قراراً حاسماً بالقضاء على مراكز القوى في مصر وهو ما عرف بثورة التصحيح، وفي نفس العام أصدر دستوراً جديداً لمصر.

وقام في عام ١٩٧٢ بالاستغناء عن ما يقرب من ٧٠٠٠ خبير روسي في أسبوع واحد في خطأ استراتيجي كلف مصر الكثير إذ كان السوفيت محور دعم كبير للجيش

المصري و كان الطيارين السوفييت يدافعون عن سماء مصر التي كان الطيران الإسرائيلي يمرح فيها كيفما شاء و مكن هولاء الخبراء مصر من بناء منظومة الدفاع الجوي الصاروخي لكن السادات حاول التقرب لأمريكا فأقدم على خطوة كهذه [بحاجة لمصدر]. بينما يؤمن الكثيرون بأن اقدام السادات على هذا التخلي كان من خطوات حرب أكتوبر، حيث اراد السادات عدم نسب الانتصار الى السوفيت.

وقد أقدم على إتخاذ قرار مصيري له ولمصر وهو قرار الحرب ضد إسرائيل التي بدأت في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ عندما استطاع الجيش كسر خط بارليف وعبور قناة السويس فتقاد مصر إلى أول انتصار عسكري على إسرائيل.

وقد قرر في عام ١٩٧٤ على رسم معالم جديدة لنهضة مصر بعد الحرب وذلك بإنفتاحها على العالم فكان قرار الانفتاح الإقتصادي.

ومن أهم الأعمال التي قام بها كان قيامه بإعادة الحياة الديمقراطية التي بشرت بها ثورة ٢٣ يوليو ولم تتمكن من تطبيقها، حيث كان قراره الذي اتخذه بعام ١٩٧٦ بعودة الحياة الحزبية حيث ظهرت المنابر السياسية ومن رحم هذه التجربة ظهر أول حزب سياسي وهو الحزب الوطني الديمقراطي كأول حزب بعد ثورة يوليو وهو الحزب الذي أسسه وترأسه وكان اسمه بالبداية حزب مصر، ثم توالى من بعده ظهور أحزاب أخرى كحزب الوفد الجديد وحزب التجمع الوحدوي التقدمي وغيرها من الأحزاب.

معاهدة السلام

كامب ديفيدبتاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ اتخذالرئيس قراره الذي سبب ضجة بالعالم بزيارته للقدس وذلك ليدفع بيده عجلة السلام بين مصرو إسرائيل. وقد قام في عام ١٩٧٨ برحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل التفاوض لاسترداد الأرض وتحقيق السلام كمطلب شرعي لكل إنسان، وخلال هذه الرحلة وقع اتفاقية السلام في كامب ديفيد برعاية

الرئيس الأمريكي جيمي كارتر. وقد وقع معاهدة كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل مع كل من الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيجن. والاتفاقية هي عبارة عن إطار للتفاوض يتكون من اتفاقيتين الأولى إطار لاتفاقية سلام منفردة بين مصر وإسرائيل والثانية خاصة بمبادىء للسلام العربي الشامل في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان.

وقد انتهت الاتفاقية الأولى بتوقيع معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية عام ١٩٧٩ والتي عملت إسرائيل على إثرها على إرجاع الأراضي المصرية المحتلة إلى مصر.

وقد حصل على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيجن وذلك على جهودهما الحثيثة في تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط.

علاقته بالعرب

السادات مع الرئيس الأمريكي رونالد ريغن عام ١٩٨١لم تكن ردود الفعل العربية إيجابية لزيارته لإسرائيل، وعملت الدول العربية على مقاطعة مصر وتعليق عضويتها في الجامعة العربية، وتقرر نقل المقر الدائم للجامعة العربية من القاهرة إلى تونس العاصمة، وكان ذلك في القمة العربية التي تم عقدها في بغداد بناء على دعوة من الرئيس العراقي أحمد حسن البكر في ٢ نوفمبر ١٩٧٨، والتي تمخض عنها مناشدة الرئيس المصري للعدول عن قراره بالصلح المنفرد مع إسرائيل مما سيلحق الضرر بالتضامن العربي ويؤدي إلى تقوية وهيمنة إسرائيل وتغلغلها في الحياة العربية وانفرادها بالشعب الفلسطيني، كما دعى العرب إلى دعم الشعب المصري بتخصيص ميزانية قدرها ١١ مليار دولار لحل مشاكله الاقتصادية، إلا أنه رفضها مفضلاً الاستمرار بمسيرته السلمية المنفردة مع إسرائيل.

وقد أقدمت الدول العربية على قطع علاقتها مع مصر، باستثناء سلطنة عمان والسودان. وقد اعتبر كثير من الباحثين أن هذا القرار كان متسرعاً وغير مدروس، وكان في

جوهره يعبر عن التطلعات المستقبلية للرجل الثاني في العراق آن ذاك صدام حسين. لكن سرعان ما عادت الجامعة العربية لجمهورية مصر العربية عام ١٩٨٩.

أيام السادات الأخيرة

بحلول خريف عام ١٩٨١ قامت الحكومة بحملة اعتقالات واسعة شملت المنظمات الإسلامية ومسئولي الكنيسة القبطية والكتاب والصحفيين ومفكرين يساريين وليبراليين ووصل عدد المعتقلين في السجون المصرية إلى ١٥٣٦ معتقلاً وذلك على إثر حدوث بوادر فتن واضطرابات شعبية رافضة للصلح مع إسرائيل ولسياسات الدولة الإقتصادية.

اغتياله

السادات قبل إغتيالة بحادثه المنصة طالع أيضا :اغتيال محمد أنور السادات

وفي ٦ أكتوبر من العام نفسه (بعد ٣١ يوم من إعلان قرارات الاعتقال)، تم اغتياله في عرض عسكري كان يقام بمناسبة ذكرى حرب أكتوبر، وقام بقيادة عملية الاغتيال خالد الإسلامبولي التابع لمنظمة الجهاد الإسلامي التي كانت تعارض بشدة اتفاقية السلام مع إسرائيل ولم يرق لها حملة القمع المنظمة التي قامت بها الحكومة في شهر سبتمبر.

خلفه في الرئاسة نائب الرئيس محمد حسني مبارك.

حياته السياسية

أنور السادات يتصافح مع بيجن بعد الاتفاقية يرى مؤيدو سياسته أنه الرئيس العربي الأكثر جرأة وواقعية في التعامل مع قضايا المنطقة وأنه انتشل مصر من براثن الدولة البوليسية ومراكز القوى ودفع بالاقتصاد المصري نحو التنمية والازدهار.

وعلى النقيض من ذلك يرى آخرون أنه قوض المشروع القومي العربي وحيد الدور الإقليمي المصري في المنطقة وقضى على مشروع النهضة الصناعية والاقتصادية ودمر قيم المجتمع المصري وأطلق العنان للتيارات الإسلامية.

الحياة العائلية للرئيس السادات

تزوج للمرة الأولى بعام ١٩٤٠ من السيدة إقبال ماضي وأنجب منها ثلاث بنات هن رقية، راوية وكاميليا، لكنه إنفصل عنها بعام ١٩٤٩. وتزوج بعدها من جيهان رؤوف صفوت التي أنجب منها ٣ بنات وولداً هم لبنى ونهى وجيهان وجمال.

له ١٣ أخاً وأخت، وكان والده متزوج ثلاث سيدات، ومن أشقائه عصمت والد السياسين طلعت ومحمد أنور.

من مذكرات الرئيس السادات

عشقت البذلة العسكرية وتعلمت الزعامة من غاندي

من الطبيعي أن تحفل مذكرات الرئيس المصري الراحل أنور السادات بالثراء والتنوع الذي حفلت به حياته، وكان السادات حريصا علي تذكر كل التفاصيل حتى الصغيرة منها، ويبدأ منذ طفولته في قرية " ميت أبو الكوم " مسقط رأسه " هذا وتمتاز مذكرات السادات والتي صدرت تحت عنوان " البحث عن الذات ـ قصة حياتي " عند دار نشر المكتب المصري الحديث بالقاهرة، في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط، وترجمت إلي عدة لغات، خاصة أنها صدرت والسادات في أوج مجده السياسي، وقد كشفت هذه المذكرات أن السادات بالإضافة إلي أنه سياسي بارع، فهو أيضا أديب يتمتع بسلاسة الأسلوب، وقد ذكر في مصادر متفرقة أن له محاولات عدة في الكتابة الأدبية.

ويقول السادات في بداية مذكراته :

كان والدي أول من حصل علي الشهادة الابتدائية في قريتنا، ولذلك رغم أن بقريتنا الآن مهندسين وأطباء وأساتذة جامعات إلا أنه عندما يأتي ذكر الأفندي، وأولاد الأفندي- يعرف كل إنسان أنه والدي وأبناؤه، ويبدو أن جدتي أرادت لي أن أسير في نفس الطريق الذي سار فيه والدي فأدخلتني كتّاب القرية حيث تعلمت الكتابة والقراءة وحفظت القرآن، ثم نقلتني إلي مدرسة الأقباط بطوخ حيث يوجد دير قديم مشهور مطرانه هو نفس مطران دير وادي بطرون.

وعن طفولته في القرية والتي كان السادات يعشق كل شيء فيها يقول : القصص التي كانت تحكيها لي أمي أحياناً وجدتي أحياناً أخري كل ليلة، كنت في كل مرة أستمتع بها وكأنها جديدة وكأنني لم أسمعها من قبل مع أنها هي هي نفس القصص لم تتغير . وكانت إحدى هذه القصص تروي كيف دس الإنجليز السم لمصطفي كامل حتى لا يكمل كفاحه ضدهم ، لم أكن أعرف في ذلك الوقت من هو مصطفي كامل ، وأنه مات فعلاً في ريعان شبابه ولكني عرفت لأول مرة أن هناك قوماً اسمهم الإنجليز ، وأنهم ليسوا منا ، وأنهم أشرار لأنهم يضعون السم للناس ، وكانت جدتي تحكي لنا أيضاً موال أدهم الشرقاوي وبطولاته وكفاحه ودهاءه في محاربة الإنجليز والسلطة .

ثم يتذكر انتقاله إلي القاهرة ، حيث بدأت مرحلة جديدة في حياته فيقول : جئت إلي القاهرة في سنة ١٩٢٥ في أعقاب مقتل السردار الإنجليزي سيرلي ستاك في سنة ١٩٢٤ ، فقد كان من أهم العقوبات التي وقعتها إنجلترا علي مصر أن يعود الجيش المصري من السودان ، فعاد وعاد معه والدي ، كنا نسكن في بيت صغير بكوبري القبة وكان علي أن أكمل تعليمي العام الذي بدأته بمدرسة طوخ فاختار لي والدي مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية لأنها كانت مدرسة أهلية ومصاريفها تناسب دخله ، وبالفعل أخذت أوراقي وذهبت إلي المدرسة لألتحق بها ، عندئذ فقط ومن واقع الأوراق التي تقدمت بها عرفت أني ولدت في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩١٨ .

ويعتبر فن السينما العشق الأول للرئيس السادات أكثر من السياسة ، لدرجة أنه حاول أكثر من مرة التقدم للعمل كممثل ، ولكنه فشل ، ويقول عن علاقته بالسينما : أول مرة دخلت فيها السينما في حياتي ، كان ذلك يوماً عصيباً ، فقد شاهدت قطار سكة حديد

قادماً من أقصي الشاشة ومندفعاً بسرعة مذهلة نحوي ، ماذا أفعل ؟ أغمضت عيني ورجعت بجسدي إلي الوراء ، ولكن صوت القطار ما زال يدوي في أذني ، ففيم الانتظار ؟ قمت لتوي من مقعدي وبسرعة رحت اخترق الصفوف مهرولاً في طلب النجاة ، ولفت نظري أن الناس كلها قابعة في مقاعدها وكأن شيئاً لم يحدث ، هذا شأنهم قلت في نفسي ، ولكن بمجرد أن بلغت نهاية الصف ـ وعيناى قد تسمرتا علي الشاشة ـ لم أجد القطار ، وجدت بدلاً منه رجلاً وامرأة يتناولان الطعام في مقهى صغير فاخترقت الصف مرة أخري وعدت إلي مقعدي ، أرقب أحداث الفيلم في هدوء كما يفعل الآخرون.

هذا وقد أثرت حكايات جدته في تكوينه النفسي والسياسي أكثر من أمه التي لا يذكر عنها إلا القليل ، فيقول : ربطتني حكايات جدتي بزهران بطل دنشواي ، وأصبح مرتبطا في وجداني بمصطفي كامل وأدهم الشرقاوي ، فكلهم من وجهة نظري رجل واحد ، أو هكذا بدوا لي في تحديهم للإنجليز البرابرة المعتدين الذين شنقوا وجلدوا أهلنا في قرية دنشواي المتاخمة لقريتنا ، ولكن عندما جئت إلي القاهرة رأيت في بيتنا صورة كمال أتاتورك ، وسألت عنه أبي فقال إنه رجل عظيم ، وكان أتاتورك في ذلك الوقت مثلا أعلي يتردد اسمه علي كل لسان ، وكان والدي شديد الإعجاب به كما كان معجبا بنابليون الذي حدثني عنه طويلا .

وقد تأثر السادات بعدة شخصيات منها الزعيم الهندي غاندي ، وعنه يذكر هذه الحادثة : أذكر أنه في سنة ١٩٣٢ مر غاندي بمصر في طريقه إلي إنجلترا ، وامتلأت الصحف والمجلات المصرية بأخباره وتاريخه وكفاحه فأخذت به واستولت صورته علي وجداني فما كان مني إلا أن قلدته ، فخلعت ملابسي وغطيت نصفي الأسفل بإزار وصنعت منه مغزلا ، واعتكفت فوق سطح بيتنا بالقاهرة عدة أيام إلي أن تمكن والدي من إقناعي بالعدول عما أنا فيه ، فلن يفيدني ما أفعله أو يفيد مصر في شئ ، بل علي العكس كان من المؤكد أن يصيبني

بمرض صدري ، وكان الوقت قارص البرودة ، وعندما زحف هتلر من ميونخ علي برلين ليخلص بلاده من آثار هزيمتها في الحرب العالمية الأولي ويعيد بناءها ، كنت في ذلك الوقت أقضي الصيف في القرية ، فجمعت أقراني وقلت لهم إننا يجب أن نفعل كما فعل هتلر ، وإنني أنوي الزحف علي القاهرة من ميت أبو الكوم ، وكان عمري في ذلك الوقت ١٢ سنة فضحكوا مني وانصرفوا عني ، ويفسر هذه السلوكيات بأنها كانت في أغلبها إرهاصات تلقائية بخط كفاح لم أكن بعد قد تبينته ، ولكن من بين هذه الإرهاصات التي كانت في الحقيقة مجموعة انفعالات وتفاعلات مع الأحداث .

ويري السادات أن أحداث حياته تسير جنبا إلي جنب مع أحداث التاريخ ، فيكمل : انتهيت من إتمام دراستي الثانوية سنة ١٩٣٦ وفي نفس السنة كان النحاس باشا قد أبرم مع بريطانيا معاهدة ١٩٣٦ ، وبمقتضي هذه المعاهدة سمح للجيش المصري بأن يتسع ، وهكذا أصبح في الإمكان أن ألتحق بالكلية الحربية ، قبل ذلك كان الجيش المصري ضيق الرقعة ضئيل الفاعلية ، وكان دخول الكلية الحربية قاصرا علي أبناء الطبقة العليا.

ولكن رغم هذه التسهيلات الجديدة التي واكبت رغبتي في دخول الكلية الحربية لم يكن التحاقي بهذه الكلية ، وهو منتهي أملي حينذاك ، بالأمر السهل صحيح أنهم سمحوا لأبناء الطبقة المتوسطة والفقيرة بدخول الكلية ولكن كان باستمارة الدخول شرطان ؛ الأول دخل الأب وثروته ثم الواسطة ، وفي كشف الهيئة كان ينادي رسميا علينا " فلان ابن فلان وواسطة فلان ،

وبالنسبة للشرط الأول كان والدي موظفا بالحكومة ، فهو علي الأقل عنده دخل ثابت، أما الواسطة فمن أين لي بها ووالدي مجرد باشكاتب بالقسم الطبي لا يعرف أحدا من البهوات أو البشوات .

متناقضات ومفارقات لانهاية لها ، ولكن لعل أبرزها أن الإنجليز الذين كان هدفي تخليص البلاد منهم ، هم الذين ساعدوني علي الالتحاق بالكلية ، ولم يجد والدي أحدا يلجأ إليه إلا حكيمباشي الجيش المصري الذي كان والدي يعمل معه ، وهو إنجليزي اسمه الدكتور فيتس باتريك ، واستجاب الرجل وكتب التزكية وأوصي بي كبير المعلمين بالكلية ، وهو عضو لجنة القبول وكان إنجليزياً مثله ، وهكذا قبلت بالكلية الحربية وكان ترتيبي آخر المقبولين ، وعددهم اثنان وخمسون ، وذلك لأن واسطتي كانت أقل الوسطات شأنا ، فقد كانت الوسطات تتدرج من الأمير محمد علي ولي العهد إلي البشوات والبكوات من ذوي النفوذ ، ولكن بعد أن قبلت وذهبت لأدفع المصاريف حدثت مفاجأة لم تكن في الحسبان ، فقد كان حمدي باشا سيف النصر وزير الحربية مع النحاس باشا في مونتريه لعقد معاهدة إلغاء الامتيازات الأجنبية التي كانت تعفي الأجانب من الخضوع للقانون المصري ، أرسل برقية لحجز ستة أماكن لبعض أقربائه ، فاضطرت إدارة الكلية إلي حذف أسماء الست الأواخر وكنت أنا طبعا أول المستبعدين ، فالتحقت بكلية الحقوق ثم كلية التجارة ، ثم عاد سيف النصر وألحق أقاربه بالكلية ، وبعدها تدخل حكيمباشي الجيش ، وكبير المعلمين الإنجليز ، وأخيرا وبعد أن فقدت الأمل تماما ، فوجئت ذات صباح بوالدتي تطلب مني أن أتوجه فورا إلي أبي في مقر عمله ، لآخذ منه مصاريف الكلية الحربية فقد قبلت بها ، وكان قد مضي علي دخول أقراني في الدفعة ستة وعشرون يوما كاملة .

ثم ينتقل إلي رصد دوره في إنشاء تنظيم الضباط الأحرار داخل الجيش ، فيقول : قام أول تنظيم سري من الضباط وكان ذلك في سنة ١٩٣٩ ، كان ضمن أعضائه عبد المنعم عبد الرءوف ؛ وكان يعتبر الرجل الثاني بعدي ، وعبد اللطيف بغدادي ، وحسن إبراهيم . وخالد محيى الدين وأحمد سعودي حسين ؛ الله يرحمه، وحسن عزت ، والمشير أحمد إسماعيل الذي

كان يحضر اجتماعاتنا دون مشاركة سياسية . فقد كان ، يرحمه الله، رجل عسكرية كرس حياته لعلمه وتخصصه ، لم ألجأ إلى الخلايا السرية للدفع بهذه الثورة المسلحة لبلوغ أهدافها كما فعل عبد الناصر بعد عودته من السودان في ديسمبر ١٩٤٢ ، وتسلمه التنظيم في أوائل سنة ١٩٤٣ بعد اعتقالي في صيف ١٩٤٢ ، ففي تلك السنة كان خط هتلر قد بدأ في الانكسار ، وبالتالي استعاد الإنجليز قوتهم في مصر ، فكان على عبد الناصر أن يخطط للمستقبل .

وحول علاقته بالإخوان المسلمين التي امتدت بعد ذلك بعدما أصبح رئيسا لمصر يقول : تصادف وجود بعض الإخوان المسلمين بين جنودي فقوجئت (يوم مولد النبي) سنة ١٩٤٠ بأحدهم يهمس في أذني بأن بالباب رجلاً ممتازاً في الدين يريد أن يقول كلمتين للجنود بمناسبة المولد ، وكنت ضابط النوبة في تلك الليلة سألت من يكون ، ولما عرفت أنه الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين رحبت به وجعلته يلقي المحاضرة على الجنود بدلاً مني . كان ممتازاً في اختياره للموضوعات وفهمه للدين وشرحه وإلقائه من كل النواحي فعلاً كان الرجل مؤهلاً للزعامة الدينية . هذا إلى جانب أنه كان مصرياً صميماً بكل ما تحمله هذه الكلمة من دماثة خلق وسماحة وبساطة في معاملة الناس .

ويواصل السادات رؤيته لأحوال مصر في ذلك الوقت فيقول : كان الشعور العام ضد الإنجليز يزداد يوماً بعد يوم إلى أن أتى الصيف وحطم روميل الجيش الثامن البريطاني ، ووصل إلى العلمين وهي تبعد ٧٠ كيلو متراً عن الإسكندرية . وهنا كشف المصريون عن شماتتهم في الإنجليز فخرجت المظاهرات تنادي " إلى الأمام يا روميل " فقد كانت الجماهير ترى في هزيمة الإنجليز الطريق الوحيد لخلاص البلاد منهم .

لم يكن هناك أي شك في أن روميل سوف يواصل سيره في الإسكندرية ومنها إلى القاهرة ، المسألة فقط مسألة وقت ، ووقت قصير جداً وكان مقرراً أن تكون من نصيب إيطاليا ، وأن موسوليني قد جلب بالفعل حصاناً أبيض ليدخل القاهرة على ظهره كما كانت

العادة أيام الإمبراطورية الرومانية ، اجتمعت مع إخواني في تنظيم الضباط الأحرار وقلت لابد من عمل شيء فكيف نترك روميل يغزو مصر بدون أية مقاومة ؟ اتفقنا على أن نرسل أحدنا إلى روميل في العلمين ليقول له إننا مصريون شرفاء وإن لنا تنظيمنا داخل الجيش ، ونحن مثلكم ضد الإنجليز وعلى استعداد لكي نجند من بيننا فرقاً كاملة تحارب إلى جانبكم ، وأن نزودكم بصور جميع خطوط ومواقع القوات البريطانية بمصر . وفوق هذا كله فنحن تتكفل بأن لا يخرج عسكري إنجليزي واحد من القاهرة ، كل هذا مقابل أن تنال مصر استقلالها التام فلا تكون من نصيب إيطاليا أو تحكمها ألمانيا . وأن لا يتدخل أحد في شئونها الداخلية أو الخارجية بأي حال من الأحوال ، كانت هذه شروط المعاهدة التي أمليتها ، وحملها المرحوم الطيار أحمد سعودي على طائرة هرب بها من القاهرة إلى العلمين ، وأنا عندي ٢٢ سنة بعد أن عرضتها على إخواني وحازت قبولهم ، ولم يكن عبد الناصر معنا ، فقد كان في السودان كما سبق أن أوردت .

وتعزيزاً لحركة المقاومة وضماناً لتنفيذ بنود مشروع المعاهدة اهتديت إلى سوق الزجاج حيث اشتريت عشرة آلاف زجاجة أعددناها على هيئة كوكتيل مولوتوف . ثم قام بغدادي وحسن إبراهيم مع سعودي وحسن عزت بتصوير المواقع البريطانية بالطائرة ووضعنا الأفلام ومشروع المعاهدة في حقيبة وعهدنا إلى سعودي بتوصيلها إلى روميل في العلمين ، في ذلك اليوم كانت طائرة حسن إبراهيم هي التي تحت الإنذار فأعطاها لسعودي الذي طلع بها كأنه في دورية عادية ثم اتجه بها إلى العلمين ، كانت طائرة من طراز بريطاني طبعاً تسمي "جلادياتور" ، ولذلك فرغم إشارة الصداقة أطلق الألمان نيرانهم عليها فوق العلمين فانفجرت بسعودي وما فيها ، وعندما اكتشف فقدان الطائرة قدم حسن إبراهيم للمحاكمة وتأخرت أقدميته، ولكنهم لم يتمكنوا من الكشف عما وراء الحادث من تنظيم . في ذلك الوقت كنت أعمل بسلاح الإشارة في الجبل الأصفر بالقرب من القاهرة ، وكنت أنتظر إشارة من سعودي أو من الألمان ولكن طال الانتظار فبدأت أقلق ، في هذه الأثناء حدثت

مفاجأة لم أكن أتوقعها فقد أتي إلي زميلي حسن عزت ليقول إن ضابطين من الجيش الألماني يريدان الاتصال بي للتعاون ففرحت وقلت : هذه نجدة من السماء .

وفي رمضان ١٩٤٢ عندما ألقوا القبض علي مقابل جهودي للتخلص من الاستعمار الإنجليزي سرت إلي سجن الأجانب ، وطوال الطريق ، كان يرتفع أمام عيني طيف زهران وهو يسير رافع الرأس سعيداً بما فعل لا يخشى الموت الذي سيلقاه ، بعد قليل .

وعن سنوات سجنه في كل سجون مصر التي دار بها السادات والتي شكلت فترة هامة من كفاحه يقول : إلي متي سنظل في المعتقل ونحن في نهاية سنة ٤٤ والحرب قد اتضحت نتائجها ؟ لابد من عمل شيء ، حرضت زملائي فأضربنا عن الطعام ، ولكن بعد فترة لم يتحملوا الجوع فعادوا إلي تناول الطعام أما أنا فلم أتنازل مطلقاً فاضطروا - وحسب القانون - إلي نقل إلي مستشفي القصر العيني الجديد لكي أكون تحت العناية الطبية حسبما تقتضي القوانين ، هناك أوقفت إضرابي عن الطعام ، وبعد فترة قصيرة زارني في المستشفي زميلي حسن عزت الذي كان قد هرب من معتقل المنيا ، وقال : ماذا تفعل هنا ؟ لابد من تدبير خطة لهروبك ، وفعلاً دبرنا الخطة ، في ساعة الظهرية عندما يزدحم المستشفي بالداخلين والخارجين من آلاف الناس جاء حسن عزت بعربة " أوستن " صغيرة ووضعها تحت مظلة الأطباء ، ولم يوقف الموتور ، خرجت أنا إلي فناء المستشفي وخلفي حارسي ، وفي زحمة الناس استطعت بسهولة أن أتواري عنه وبسرعة بلغت العربة التي اختفت بي وبحسن عزت في لمح البصر ، وبعد دقيقتين وصلنا منطقة فم الخليج حيث الشقة التي كان قد جهزها حسن كمخبأ لي علي بعد دقائق قليلة . كان هذا في أكتوبر سنة ٤٤ كما قلت ، وبقيت مختبئاً هارباً من وجه العدالة إلي سبتمبر سنة ٤٥ عندما سقطت الأحكام العرفية ، فبسقوط الأحكام العرفية انتهي اعتقالي حسب القانون – هذه ميزة سيادة القانون التي أحترمها وأدين بها وأطبقها الآن وأنا رئيس لجمهورية مصر

البحث عن الذات

« شهادات ووقائع »

هذا الكتاب الذي يوثق لحياة زعيم من زعماء مصر الابطال والذي لقب برجل الحرب والسلام ولقبته امريكا بداهية العالم السياسية نظرا لبعده السياسي القوي ويعتبر الرئيس الراحل محمد انور السادات ثالث رئيس جمهورية مصري إذ أن قيام ثورة الثالث و العشرين من يوليو قد أدى إلى تحول مصر من الملكية إلى الجمهورية و تولى رئاستها الرئيس الراحل محمد نجيب كأول رئيس مصري خلفه بعد ذلك الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ومن ثم خلفه الرئيس الراحل محمد أنور السادات وهو من مواليد الخامس والعشرين من ديسمبر ١٩١٨ في قرية ميت أبو الكوم محافظة المنوفية ، في أسرة مكونة من ١٣ أخا وأختا لأم سودانية وأب مصري (والد السادات تزوج ٣ مرات وكان يعمل كاتبا في المستشفى العسكري الخاصة بالجيش المصري في السودان- وفي عام ١٩٢٥ عاد والد السادات من السودان في أعقاب مقتل السردار الانجيلزى في السودان سيرلي ستاك حيث كان من تداعيات هذا الحادث أن فرضت بريطانيا على مصر عودة الجيش المصري من السودان وعاد معه والد السادات) التحق بكتاب القرية ، ثم انتقل إلى مدرسة الأقباط في طوخ ، وفي عام ١٩٢٥ انتقلت أسرة السادات للعيش في القاهرة والتحق بمدارسها وهي الجمعية الخيرية الاسلامية ، السلطان حسين ، مدرسة فوائد الأول ، رقي المعارف بشبرا . تخرج السادات في الكلية الحربية عام١٩٣٨ وانتقل للعمل في منقباد وهناك التقى لأول مرة الرئيس جمال عبد الناصر ، وعمل بسلاح المشاة ثم سلاح الإشارة وبسبب اتصالاته بالألمان قبض على السادات وصدر في عام ١٩٤٢ النطق الملكي السامي بالاستغناء عن خدمات اليوزباشي أنور السادات ، واقتيد بعد

خلع الرتبة العسكرية إلى سجن الأجانب ومن سجن الأجانب إلى معتقل ماقوسه ثم معتقل الزيتون قرب القاهرة وهرب من المعتقل عام ١٩٤٤ وظل مختبئا حتى عام ١٩٤٥ حيث سقطت الأحكام العرفية وبذلك انتهى اعتقاله حسب القانون . وأثناء فتره اعتقاله عمل تباعا على عربة لوري كما عمل تباعا ينقل الأحجار من المراكب النيلية لاستخدامها في الرصف وفي عام ١٩٤٥ انتقل إلى بلدة أبو كبير في الشرقية حيث اشترك في شق ترعة الصاوي . شارك السادات في جمعية سرية تقوم بقتل الانجليز ، واتهم في قضية مقتل أمين عثمان الذي كان يعد أكثر من صديق للانجليز ومساندا قويا لبقائهم في مصر وبعد ٣١ شهرا بالسجن حكم عليه بالبراءة ، والتحق بالعمل الصحفي كما مارس بعض الأعمال الحرة ، وفي الخامس عشر من يناير عام ١٩٥٠ عاد إلى القوات المسلحة برتبة يوزباشي على الرغم من أن زملاءه في الرتبة كانوا قد سبقوه برتبة الصاغ والبكباشي ، رقي إلى رتبة الصاغ ١٩٥٠ ثم إلى رتبة البكباشي عام ١٩٥١ وفي العام نفسه اختاره عبد الناصر عضوا بالهيئة التأسيسية لحركة الضباط الأحرار ، شارك السادات في ثورة يوليو وألقى بيانها . بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر بأزمة قلبية حادة ظهر الرئيس السادات على شاشة التليفزيون ليعلن للشعب المصري وفاة الرئيس جمال عبد الناصر (استمع إلى بيان وفاة الرئيس جمال عبد الناصر) وأثناء فترة حكم الرئيس جمال عبد الناصر تولى السادات العديد من المناصب ، ففي عام ١٩٥٣ أنشأ جريدة الجمهورية وتولى تحريرها وفي عام ١٩٥٥ تم إعلان قيام المؤتمر الإسلامي وتولى السادات منصب السكرتير العام له ، وفي عام ١٩٥٧ عين وزيرا للدولة ثم سكرتيرا عاما للاتحاد القومي ، وفي عام ١٩٦٤ أصبح نائبا للرئيس الجمهورية وكذلك في أعوام ١٩٦٦ و١٩٦٩ و١٩٧٠ ، وفي عام ١٩٦٨ انتخب عضوا في الهيئة التأسيسية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي . الرئاسة في السابع من أكتوبر عام ١٩٧٠ وافق مجلس الامة على ترشيح محمد أنور السادات رئيسا للجمهورية خلفا للرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وبعد أن تولى السادات

الرئاسة قاد حركة ١٥ مايو ١٩٧١ م ضد مراكز القوى المسيطرة على الحكم وهم من رجالات عبد الناصر ونظام حكمه والتي كانت سببا في تدهور الأوضاع في مصر . وكانت نتيجة حرب ٧٣ أن استطاعت مصر استرجاع ١٥ كيلومتر من صحراء سيناء ، وفي النهاية أدى انتصار السادات في الحرب إلى استعادة سيناء كاملة وإعادة فتح قناة السويس وهز ثقة إسرائيل في قدراتها العسكرية و رفع الروح المعنوية المصرية بل والعربية ومهدت الطريق لاتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل في الأعوام التي لحقت الحرب. وعرف السادات منذ ذلك الحين ببطل الحرب والسلام استمع إلى خطاب نصر أكتوبر ١٩٧٣ . وفي ٩ نوفمبر ١٩٧٧ أعلن السادات انه مستعد ان يذهب إلى إسرائيل من اجل التباحث حول مفاوضات السلام مع الجانب الإسرائيلي وفي الكنيست الإسرائيلي ذاته (البرلمان الإسرائيلي) ، وسارعت إسرائيل بدعوة السادات إلى زيارة القدس ظنا منها أن كلام السادات لم يكن إلا للاستهلاك المحلي أو حماسه زائدة وأنها بذلك تحرج السادات رئيس اكبر دولة عربية أمام الرأي العام العربي والعالمي . وقبل زيارة القدس سافر الرئيس السادات إلى سورية في محاولة لإقناع الرئيس السوري حافظ الأسد بالمشاركة معه في تلك المبادرة وتأييدها ولكن الرئيس السوري رفض ذلك، وسط احتجاجات للمثقفين المصريين وبعض قوى المعارضة سافر السادات الى اسرائيل ووقع معاهدة السلام بعد نصر عظيم على المستوى السياسي والعسكري.

السادات و مقتل أمين عثمان

مع إنتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ سقطت الأحكام العرفية وبسقوط الاحكام العرفية حيث كان السادات مسجونا بتهمة التخابر مع العدو الألماني الذى كان يريد أن يحتل مصر ويخرج الإنجليز فعاد السادات إلى بيته بعد ثلاث سنوات من المطاردة .

التقى السادات في تلك الفترة بالجمعية السرية التي قررت اغتيال أمين عثمان وزير المالية في حكومة الوفد " ٤ فبراير ١٩٤٢ - ٨ أكتوبر ١٩٤٤ " ورئيس جمعية الصداقة المصرية البريطانية لتعاطفه الشديد مع الإنجليز ، وعلى أثر اغتيال أمين عثمان عاد السادات مرة أخرى وأخيرة إلى السجن وفى الزنزانة "٥٤" في سجن قرميدان واجه السادات أصعب محن السجن بحبسه إنفرادياً ، غير أنه هرب المتهم الأول في قضية " حسين توفيق " وبعدم ثبوت الأدلة الجنائية سقطت التهمة عن السادات فأفرج عنه.

وظل المحامون يدافعون عن السادات وكان منهم المسيحيون وقد أنقذوه من حبل المشنقة لكى يعيش ويصبح رئيساً لجمهورية مصر - ويتهم بنفس التهمة التى قتل بسببها أمين عثمان وهى تهمة خيانة مصر ويقتل بين قواد جيشة وهو فى أوج أنتصاراته الحربية

ولقد اصدر الأستاذ حسن عزت بعبد قيام الثورة بأسبوعين كتابه " فى طريق الحرية" الذى اعترف فيه بقتل امين عثمان واللواء سليم زكى (بالاشتراك مع أنور السادات) كما أنهما اللذان القيا القنابل على منزل النحاس باشا وفؤاد سراج الدين

وقد ذكر الأستاذ فكرى مكم عبيد فى مقالة له بالأهرام أنه : " كـان حسين توفيق وسعيد شقيقه ومحمد ابراهيم كامل الذي أصبح وزيرا للخارجية بعد ذلك وعلي محمود مراد وأحمد علي كمال حبيشة وكلهم من أولاد الخالات الذين لجأوا إلي خبير عسكري يعلمهم استعمال الأسلحة ووقع اختيارهم علي أنور السادات فقام بتدريبهم في صحراء الماظة علي استعمال المسدسات والبنادق الذي نفذه حسين توفيق وهذا هو حكم محكمة الجنايات عندما برأت أنور السادات من جريمة الاشتراك أو التحريض في مقتل أمين عثمان " –

يذكر لورد كيلرن فى تقرير له: إن جريمة قتل أمين عثمان تحولت من محاكمة قتلة إلى محاكمة القتيل.

والسؤال الذى يطرح نفسه ما هو سبب هذا التدريب العسكرى؟ .

جريدة المصرى اليوم تاريخ العدد السبت ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٧ عدد ١١٩٦ عن مقالة بعنوان [محمد أنور السادات يكتب: عادت إلي الحرية والحياة في رمضان بعد «الحبس»]

نشر هذا المقال في مجلة «أهل الفن» في أبريل ١٩٥٤

****

المـــــــراجع

(١) راجع السبت ١٩ فبراير ٢٠٠٥ العدد ٤٣١٧٤ جريدة الأهرام القاهرية عن مقالة بعنوان في ذكري٤ فبراير ١٩٤٢ بقلم : فكري مكرم عبيد

السادات وأسلوبه في المقاومة

اشتهر اسم محمد أنور السادات في الأربعينيات من القرن الماضي حين ورد اسمه ضمن المجموعة التي قامت في مساء الثلاثاء ٦/ ١/ ١٩٤٦ باغتيال أمين عثمان وزير المالية السابق بوزارة الوفد بإطلاق النار عليه أثناء دخوله مقر نادي الرابطة المصرية البريطانية في شارع عدلي باشا، وظل أنور السادات يذكر بفخر اشتراكه في هذه الجريمة، مؤكدا أن أمين عثمان كان يستحق ما جرى له، ومن حيثيات هذا الاستحقاق أن أمين عثمان كان معروفا بصلاته الوثيقة والمريبة بالمحتل الإنجليزي وكان لا يتوانى عن استفزاز مشاعر المصريين بعبارات جارحة منها قوله إن مصر قد تزوجت من إنجلترا زواجا كاثوليكيا لا طلاق فيه.

وقد جاء اشتراك أنور السادات في جريمة اغتيال أمين عثمان تلبية لتبنيه وسيلة «الاغتيال السياسي» في منظوره للجهاد الوطني، فكما هو مذكور في كتاب «السلام الضائع في كامب ديفيد»، يقول مؤلفه محمد إبراهيم كامل إن أنور السادات كان يرى أن الطريق الفعال لتحقيق أهداف المقاومة السرية ضد الاحتلال الانجليزي تكون بالقضاء على الزعماء المصريين المتعاونين مع الإنجليز، وعلى ذلك اقترح على المجموعة السرية، التي كانت تضم من بين أعضائها محمد إبراهيم كامل وحسين توفيق، اغتيال النحاس باشا رئيس حزب الوفد، لدوره المشين في حادث ٤ فبراير ١٩٤٢، وتمت الموافقة على الاقتراح ووضعت خطة لتحقيق تلك العملية وتمت المحاولة في نهاية ١٩٤٥ لكنها باءت بالفشل، مما أدى إلى أن تتوقف المجموعة السرية عن نشاطها لشهور، إذ اتخذت أجهزة الأمن بعد الحادث تدابير أمنية مشددة.

ويذكر محمد إبراهيم كامل، أن قضية أمين عثمان، التي عرفت بـ«قضية الاغتيالات السياسية الكبرى»، كانت قضية شهيرة اشترك في الدفاع عن المتهمين فيها فطاحل المحامين،

وكان هناك تعاطف شعبي واسع النطاق مع المتهمين حيث كانوا من الشبان صغيري السن، وكان الشعور الوطني ضد الانجليز فياضا، وقد لمع فيها اسم أنور السادات حيث كان التركيز عليه لأنه كان لافتا للنظر بحركاته وصوته الجهوري، فضلا عن تصديه لمرافعة النائب العام بالهتاف بشعارات وطنية أثناء المحاكمة، وظلت هذه القضية هي الموضوع المحبب لدى السادات بعد توليه رئاسة الجمهورية، فكان يتلمس الفرص ليشير إليها في عشرات من خطبه. وأحاديثه مع الصحافة كبرهان عملي على كفاحه الوطني من أجل مصر والذي بدأه وهو في شرخ شبابه،(مذكور عند محمد إبراهيم كامل، السلام الضائع في كامب ديفيد، صفحات ١٢، ١٣، ١٨، ١٩).

ولقد سمعت أنا، بشحمة أذني، افتخار السادات بأنه شارك في اغتيال أمين عثمان، مساء الثلاثاء ٦/ ١/ ١٩٤٦، مبررا ذلك بقوله:« وده كان بعد تصريحه بأن علاقة مصر بإنجلترا علاقة زواج كاثوليكي»، وكان ذلك في مطلع عام ١٩٦٦ عندما جاء إلى نيويورك، وهو رئيس مجلس الأمة، واجتمع بعدد من الشخصيات المصرية والمسؤولين العاملين بالهيئات الدبلوماسية المصرية والدولية وبلفيف من الطلبة المصريين الدارسين بالجامعات الأمريكية، وكنت من الحاضرين أجلس إلى جوار الصديق الكبير عبد الحميد عبد الغني، رحمه الله، وكان وقتها يشغل منصبا كبيرا بالأمم المتحدة، وشغل بعدها منصب رئيس تحرير «أخبار اليوم»، وحين باغتنا السادات بافتخاره المعيب انتفض الأستاذ عبد الحميد عبد الغني وقال لي هامسا «ده كلام؟ حد يفتخر بأنه قاتل؟».

الملاحظ أن السادات شارك في قتل أمين عثمان يوم الثلاثاء السادس من شهر يناير، وجاء مقتل أنور السادات، بعدها بسنوات كثيرة، في يوم الثلاثاء السادس من شهر أكتوبر، ولعلها حكمة القصاص: العين بالعين والثلاثاء بالثلاثاء والسادس من الشهر بالسادس من الشهر، ومن قتل، بالفتحة على القاف، يقتل بالضمة على الياء، ولو بعد حين!

السادات والعمل بالجاسوسية

في أحد ملاهي النمسا الليلية تمكنت المخابرات الألمانية من نسج خيوطها حول الراقصة المصرية حكمت فهمي، بعد أن دفعت إليها بالجاسوس الألماني ايلر حسين جعفر، ولكنها عندما عادت إلى القاهرة اكتشفت أنه الجاسوس الألماني إيلر ليربط بينهما كراهيتها للإنكليز، ومن جانبه حبه لبلاده، وحينها تعطل جهاز اللاسلكي تمكنت حكمت فهمي من استدعاء الضابط أنور السادات الوطني الثائر لإصلاح الجهاز ، ليرتبط السادات مع حكمت فهمي والجاسوس الألماني إيلر بأكبر قضية تجسس في ذلك الوقت.الكاتب الصحفي محمود صلاح يكشف لنا من خلال كتابه السادات والجاسوس العلاقات المتشابكة ما بين حكمت فهمي والمخابرات الألمانية، وكيف اشتعلت ثورية الضابط أنور السادات لتجنيده لخدمة الألمان، بعد أن جمعهما كراهيتها للإنكليز .. كما يكشف عمليات الاعتقال المتكررة، والحوادث والمغامرات المثيرة لحياة الرئيس الراحل أنور السادات، وعلاقته بجماعة الإخوان، والكثير من الأحداث المثيرة منذ الحرب العالمية الثانية حتى هروبه من المعتقل..ويتناول الكتاب قصة حياة الضابط المصري أنور السادات منذ بداية الحرب العالمية الثانية بين دول المحور، والحلفاء وفي مقدمتهم بريطانيا التي كانت تحتل مصر.كما يتناول النشأة الأولى للسادات في قريته ميت أبو الكوم منذ عام ١٩١٨ وانتقاله فيما بعد إلى حي كوبري القبة بالقاهرة والحياة الفقيرة التي عاشها، ويرصد الكاتب وطنية السادات المبكرة بكراهيته لمشهد الكونستابل الإنكليزي وهو يجوب شوارع القاهرة.

ومن المتناقضات أنه رغم كراهية السادات للإنجليز، فقد أتاحت له وساطة أحد الأطباء الإنكليز دخول الكلية الحربية وبعد عامين تخرج السادات من الكلية الحربية وهو يراوده الحلم بالثورة ضد الإنكليز.

وفي منقباد التقى السادات مع الضابط جمال عبد الناصر لأول مرة، ،كان عبد الناصر ينصت له ولا يتكلم إلا القليل، لأنه كان لا يميل إلى المزاح، ولأنه يقيم حاجزاً بينه وبين الآخرين، وهو الأمر الذي دفع السادات للإعجاب بشخصيته.

السادات والإخوان

ويكشف الكاتب عن قوة علاقة الضابط أنور السادات بجماعة الإخوان المسلمين، وذلك من خلال التزامه الشديد بحضور درس الثلاثاء، الذي كان يلقيه الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين، وأثار التزامه بحضور الدرس الأسبوعي انتباه الشيخ حسن البنا، مما دفعه إلى التحفظ في الحديث معه في البداية، حتى صارحه السادات ذات يوم بأنه يسعى إلى عمل تنظيم عسكري لقلب الأوضاع في البلد!!

إلا أن الشيخ البنا التزم الصمت رغم دهشته من تلك الصراحة المذهلة، فقد خشي البنا أن يكون السادات مدسوساً عليهم من المخابرات!! إلا أنه عندما كاشفه السادات بمخططات الجيش في التحرك للثورة هنا تخلى الشيخ حسن البنا عن حذره تجاه السادات، وبدأ التنسيق بينهما للثورة على نظام الحكم الملكي.

عزيز المصري

ولما كان السادات مفتوناً بشخصية عزيز المصري، فقد سعى لدي الشيخ حسن البنا لتقديمه إلى الفريق عزيز المصري، وشجعه عزيز على المضي قدماً في تنظيمه السري، وانضم إليه زملاؤه ، حتى اضطرت إدارة الجيش الإنكليزي إلى انسحابهم بأسلحتهم، وعقب ذلك تورط السادات في عملية تهريب عزيز المصري لحساب الألمان، لمساندة رشيد الكيلاني بالعراق في ثورته ضد الإنكليز، إلا أن المخابرات اكتشفت محاولته، وتم القبض علي السادات، وراوغ وكيل النيابة حتى أفرج عنه ليواصل نشاطه السياسي السري.

الإنكليز والنحاس

وعندما تقدمت جيوش القائد الألماني روميل إلى ليبيا في عام ١٩٤٢ شعر الإنكليز بأن الرأي العام المصري ضدهم، وفي محاولة منهم لإرضاء الشعب المصري، حاصروا قصر الملك فاروق بعد رفضه تكليف مصطفى النحاس بتشكيل الوزارة واجبروا الملك على تكليف النحاس بتشكيل الوزارة ، ورغم ذلك خرجت المظاهرات تهتف في شوارع القاهرة إلى الأمام يا روميل!

وعندما سقطت العلمين في يد الألمان، أرسل السادات ضابطاً مصرياً إلى القائد الألماني روميل، ليخبره بأن التنظيم السري للضباط المصريين، على استعداد للمشاركة في الحرب إلى جانب الألمان ضد الإنكليز، مقابل أن تنال مصر استقلالها، وأقلعت طائرة بالضابط المصري إلا أن الألمان أسقطوها.. وكان السادات في ذلك الوقت يعمل بسلاح الإشارة في الجبل الأصفر، وذات يوم جاءه زميله حسن عزت وأخبره بمفاجأة، أن ضابطين من الجيش الألماني يطلبان مساعدته، لتبدأ علاقة السادات مع أغرب قصة جاسوسية أبطالها ضابطان ألمانيا وراقصة مصرية..

الراقصة والجاسوس

ويكشف الكاتب بداية علاقة الراقصة حكمت فهمي بالجاسوس الألماني حسين جعفر أبلر والتي بدأت داخل أحد النوادي الليلية بالنمسا التي كانت ترقص فيها حكمت فهمي، عندما قدم لها حسين جعفر نفسه علي أنه طالب مصري، واستطاع أن ينسج خيوط شباكه حولها بحكمة، حتى وقعت في غرامه، ليختفي من حياتها فجأة ودون مقدمات.

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية عادت حكمت فهمي إلى مصر، لترقص في ملهى الكونتيننتال، دون أن تعلم أنه قد تم تجنيدها ضمن جهاز المخابرات الألماني من خلال العلاقة التي نسجها حولها حسين جعفر، وكان رئيس المخابرات الألمانية قد شاهد حكمت

فهمي وهي ترقص في النمسا، فدعاها للرقص أمام هتلر ووزير دعايته جويلز في ألمانيا، وعندما شاهدها جويلز أعطى تعليماته بتجنيدها لصالح الألمان. الذين كانوا يعرفون حجم شعبيتهالدى كبار الضباط الإنكليز في مصر.

ولم تكن حكمت فهمي تعلم أن علاقتها مع حسين جعفر أو الضابط الألماني أبلر سوف تجمعها مع السادات في أكبر قضية تجسس في ذلك الوقت، ويكشف الكاتب حقيقة حسين جعفر، فهو من أب وأم ألمانيين، انفصل كلاهما عن الآخر. وكانت الأم تعمل بمدينة بور سعيد، والتقت بمحام مصري تزوجها وتبنى الطفل، وأطلق عليه حسين جعفر. ولكنه عندما سافر إلى ألمانيا التقطته المخابرات الألمانية وتم تجنيده لإتقانه العربية، وكانت أول المهام التي أوكلت إليه هي نسج علاقة غرامية مع الراقصة حكمت فهمي تمهيداً لتجنيدها وعندما حاولت المخابرات الألمانية زرع جاسوس ألماني في قلب القاهرة لم يكن أمامها سوى حسين جعفر أو إبلر وكانت مهمته تتلخص في الحصول على الخطة البريطانية، وأين سيركزون دفاعاتهم، وعدد القوات البريطانية ونوعها، ومدى تعاون الجيش المصري معهم إذا بدأت المعركة؟

وتمكن إبلر من دخول القاهرة عبر عملية اختراق للصحراء، في الملابس العسكرية للجنود البريطانيين، وعلى مشارف أسيوط استبدل ملابسه هو وزميله مونكاستر ن واستكملوا الرحلة بعد عدة مغامرات، حتى وصلا إلى القاهرة لتنفيذ مهمتهما، بينما كانت قوات روميل تقف على أعتاب العلمين بعد عدة انتصارات حققها على جيش الحلفاء.. وعند وصولهما إلى مشارف أسيوط تنكر إبلر في صورة ضابط بريطاني، ومونكاستر في شخصية سائح أميركي ، وتحت هاتين الشخصيتين تمكن إبلر وزميله من دخول أحد المعسكرات البريطانية، بل إن قائد المعسكرات أخذهما بسيارة عسكرية لتوصيلهما إلى أسيوط.

وعندما وصلا إلى القاهرة نزلا في فندق شبرد، ليبدأ أول اتصال بينهما والمخابرات الألمانية، ليعلنا الاستعداد لبدء العملية ، وفي ملهى الكيت كات يلتقي إبلر مع حكمت فهمي مرة ثانية، لتؤكد له حكمت فهمي كراهيتها للإنكليز ، ليكشف لها عن شخصيته. وعن مهمة التجسس التي كلفه بها قائده روميل ، وأبدت حكمت فهمي استعدادها للتعاون مع الألمان. واستأجرت له عوامة قريبة من عوامتها. وعندما صعد إبلر لتركيب إرسال اللاسلكي، هنا لاحظ وجود جندي بريطاني على سطح عوامة الميجور البريطاني المجاور لهما، فباغته بطلب المساعدة قبل أن يتكر في أي شيء.

السادات والألمان

وخلال أيام قليلة استطاع إبلر أن يوثق علاقته بالميجور البريطاني، دون أن يتسلل إليه الشك بأن هذا الشاب المصري حسين جعفر هو نفسه الجاسوس الألماني إبلر.

وعندما تم القبض على الجاسوسين الألمانيين اللذين يستقبلان الرسائل من القاهرة، قررت المخابرات الألمانية عدم الرد علي إبلر وصديقه مونكاستر، حتى اعتقد إبلر أن جهاز اللاسلكي أصابه عطل مفاجئ، وطلب المساعدة من حكمت فهمي مساعدته عبر شخص تثق به، لإصلاح الجهاز، حتى يتمكن من إتمام عملية التجسس.

وتمكنت حكمت فهمي من الوصول إلى الضابط المصري أنور السادات، عبر صديقه حسن عزت، فوافق على الفور علي إصلاح الجهاز والتعاون مع الألمان، نظراً لكراهيته للإنكليز، وبلا تردد ذهب معها إلى عوامة إبلر لإصلاح الجهاز المعطل، وتأكد السادات أن الجهاز معطل ولا يمكن إصلاحه، إلا أن إبلر قدم له جهازاً أميركياً آخر، كان قد حصل عليه من سفارة سويسرا التي كانت ترعى شئون الألمان في مصر، إلا أنه لا يعرف كيفية تشغيله، واكتشف السادات أن الجهاز بدون مفاتيح، واقترح السادات أن يشغله بمفاتيح مصرية الصنع يقوم هو بتركيبها.

وحمل السادات الجهاز في حقيبته متجهاً إلى بيته في كوبري القبة، بينما استمر إيلر في نشاطه بجمع المعلومات من داخل النوادي الليلية التي يسهر فيها الضباط والجنود الإنكليز، حتى تسرب الشك إلى أحدهم ولكنه عندما قام للإبلاغ عنه. وهو يرتدي الملابس العسكرية الإنكليزية شعر إيلر بالخطر وفر هارباً، إلا أن المخابرات الإنكليزية بدأت منذ تلك الليلة تتبع أثره وفي نفس الليلة التقى إيلر بالراقصة الفرنسية ايفيت وهي في حقيقة الأمر جاسوسة كانت تعمل لحساب الوكالة اليهودية في مصر، وفور قضاء ليلتها معه في العوامة أبلغت عنه في تقرير تفصيلي وكشفت عن حقيقة شخصيته الألمانية، عندما سمعته يتحدث مع زميله مونكاستر بالألمانية، وفي ذات الوقت كان جهاز المخابرات البريطاني يبحث عن إيلر وصديقه.

تنظيم الضباط الأحرار

البداية... والطريق

حاول توفيق إكليمندوس- باحث بالمعهد الفرنسي للدراسات القانونية والاجتماعية والاقتصادية (السيداج) وأستاذ العلوم السياسية والتاريخ في باريس- ولمدة ٢٠ عامًا الغوص في شهادات جيل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م عبر لقاءات مع ضباط الصفين الأول والثاني والتنقيب في سير مَن تعذر الوصول إليهم- لأسباب الوفاة مثلاً- وذلك خلال دراسته المطولة والمعنونة بـ"النشاط السياسي في الجيش المصري من ١٩٣٦م إلى ١٩٥٤م".

في محاضرة له في القاهرة حول مشكلات البحث التي واجهته في أوراق ومقابلات حول ثورة يوليو أقر توفيق مبدئيًا بأن الشهادات التاريخية على تنوعها أحادية الجانب، ولا يمكن الاعتماد عليها وحدها لرواية ما حدث، فالحدث الواحد تعرض للنسيان من قبل ثلاثة أرباع من قابلهم وحلل أوراقهم الشخصية.

وتعددت روايات ضباط الحركة حول نشأة تنظيم الضباط الأحرار، وتناقضت فيما بينها تناقضًا واضحًا:

أنور السادات

تحدث أنور السادات عن تنظيم قام بمعرفته عام ١٩٣٩م شاركه فيه عبد المنعم عبد الرؤوف وعبد اللطيف بغدادي ووجيه أباظة وحسن إبراهيم وأحمد سعودي وحسن عزت بالإضافة إلى خالد محيي الدين (وهو في الحقيقة تنظيم الضباط الأحرار).

"ولكن البغدادي يتحدث أيضًا عن نفس هذه الأسماء التي وردت في تنظيم السادات، ويدَّعي أنها اللجنة التنفيذية للتنظيم الذي قام سنة ١٩٤٠م بمعرفته، وأن حسن عزت اقترح اسم الملازم أنور السادات لينضم إليه.

عبد المنعم عبد الرؤوف

ولكن البغدادي أوضح أهداف تنظيمه- المدعى- فقال إنه كان إعاقة انسحاب الإنجليز بالاتصال بالألمان وإرسال خرائط الحاميات العسكرية الإنجليزية إليهم"، وفي مذكراته يقول البغدادي معترفًا بقصور الفهم وغياب الرؤية الصحيحة للواقع: "ربما يكون هذا التفكير منا فيه سذاجة.. ولكن لا ينسى القارئ قلة خبرتنا بالسياسة في ذلك الحين.. ولم يكن عمر أحد منا تعدى ٢٢ عامًا، كما لا ينسى أيضًا أن الدافع لهذا التحرك منا كان الحماس الوطني مع اندفاع الشباب.. وكذا لم تكن صورة ألمانيا الهتلرية على حقيقتها واضحة لنا".

ويعترف البغدادي أن هذا التنظيم ليس هو تنظيم الضباط الأحرار، وفي مذكراته يقرر أن تنظيم الضباط الأحرار سُمِّي بهذا الاسم في نهاية عام ١٩٤٩م.

ويقرر خالد محي الدين أن إنشاء تنظيم الضباط الأحرار كان في نهاية سنة ١٩٤٨م، ويقول إن نسبة كبيرة من أعضائه أصلاً من الإخوان المسلمين بالإضافة إلى جماعة عزيز المصري والشيوعين والوفد إلى جانب عناصر جديدة، وتكونت لجنته التأسيسية عام ١٩٤٩م.

ويتحدث محمد حسنين هيكل عن تنظيم الضباط الأحرار، معتبرًا بدايته منذ عام ١٩٤٩م، ومغفلاً أي فترة سابقة على هذا التاريخ.

تفنيد وتقييم للروايات المختلفة

القائلون بأن تنظيم الضباط الأحرار بدأ وأخذ هذا الاسم في نهاية عام ١٩٤٨م، وتكونت لجنته التأسيسية عام ١٩٤٩م يواجهون حرجًا كبيرًا يفقد الثقة في مصداقيتهم، وهذا الحرج يأتي أولاً من وثيقة تاريخية مؤكدة، وهي العريضة التي أرسلت إلى القصر في ديسمبر سنة ١٩٤١م باسم "الجنود الأحرار" تطالب بمنع ما يتعارض مع الإسلام وإلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦م ومنح الجندي الحق في الامتناع عن أي عمل يناقض الشرع. ووزعت منشورات داخل وحدات الجيش بمضمون هذه العريضة التي وقعت باسم "الجنود الأحرار".

وهذا ما أكدته تقارير الأمن العام والبوليس المخصوص- محفظة ٣٤ - في ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١م.

وهذا يقودنا إلى التأكيد على دقة ومصداقية رواية عبد المنعم عبد الرؤوف حول نشأة التنظيم ومصدر تسميته بهذا الاسم:

الصاغ محمود لبيب

يذكر عبد المنعم عبدالرؤوف (الذي انضم عبد الناصر وخالد محي الدين وحسين جودة وغيرهم إلى التنظيم عن طريقه) في مذكراته أن اسم الضباط الأحرار كان من اقتراح الصاغ محمود لبيب، وأطلق على تنظيم الإخوان بالجيش، ووُقِّعت به المنشورات التي كانت تصدر عن التنظيم.

ويؤكد اللواء صلاح شادي هذه الرواية بقوله: "وفي سنة ١٩٤٤م، وبعد أن أسند إلى المرشد العمل بقسم الوحدات جمعني والصاغ محمود لبيب والسندي وحسين كمال الدين لتنسيق العمل كلٌ في اختصاصه، وأدركت حينذاك استقلال الصاغ محمود لبيب في العمل

بقسم الضباط، وكان هذا اللقاء أول مجالات الصلة بيني وبينه، وأدركت منه مجال نشاطه، فحدثني عن المنشورات التي تكتب لإيقاظ الضباط وتعريفهم بواجبهم حيال مصر والإنجليز، وكيف أنها لاقت رواجًا في صفوف الجيش على وجه العموم، وكانت هذه المنشورات تطبع بمعرفة الإخوان، ويوزع بعضها قسم الوحدات ويوقع بعضها باسم الضباط الأحرار، وبعضها باسم الجنود الأحرار، وكان قسم الوحدات يشارك في توزيعها".

يتضح من ذلك أنه لم تكن هناك حركة لها نبض حقيقي في الجيش سوى حركة الإخوان المسلمين، ولم يكن هناك تنظيمات، اللهم إلا التجمع الهلامي من بعض ضباط الطيران الذي لم يصل إلى المستوى الذي يستحق أن يطلق عليه اسم التنظيم، وفي نفس الوقت كان مضطربَ الأهداف- إذا أحسنا الظن- لا ينبع سلوكه من فهم أصيل لمعنى التحرر الوطني الحقيقي، وإنما رأيناه ينبع فقط من كراهية الإنجليز والرغبة في الاستعانة عليهم بالألمان.

حركة الإخوان بالجيش المصري منذ عام ١٩٣٨م

بدأ ظهور حركة الإخوان في الجيش في سنة ١٩٣٨م حينما نشطت صحيفة الإخوان "النذير" في مناقشة قضايا الجيش جنودًا وضباطًا، وأفسحت المجال لمناقشة الأخطاء والعيوب التي تسمح بها أكالات الجيش المختلفة كنظام المراسلة وعدم إقامة الأذان في أوقات الصلاة؛ بل عدم تخصيص وقت لصلاة الجنود أصلاً.

الإمام حسن البنا

ومنذ هذا التاريخ أي سنة ١٩٣٨م، كان الإمام حسن البنا يتحدث عن الإسلام في الوحدات العسكرية في المناسبات الدينية كمولد الرسول صلى الله عليه وسلم وغزوة بدر في شهر رمضان؛ حيث تفتح أبواب الوحدات العسكرية للوعاظ لإلقاء دروس في هذه المناسبات للجنود.

ولم يكن الأمر يخلو من وجود الضباط في هذه الاحتفالات الموسمية؛ لأن الضابط المناوب بالوحدة كان من عمله الإشراف على هذه الاحتفالات التي لم تكن تتقيد بالوعاظ الرسميين فقط، فكانت أصداء كلمات الرجل تبعث في سامعيه الرغبة في الانتهاء إلى ما يدعو إليه في وقت كانوا يشعرون فيه بالضياع لقهر النظام العسكري. وفساد الرؤساء والمرءوسين، ولذا وجدت دعواه صداها بين الضباط والجنود والعمال العسكريين.

وكانت دروس الثلاثاء في دار المركز العام هي الملتقى الأسبوعي لكل راغب من جنود الجيش وضباطه في التزود من حديث الإمام الشهيد حسن البنا.

ثم فكر الإمام حسن البنا في إنشاء قسم "الوحدات العسكرية للإخوان" في أوائل الأربعينيات، وبدأت النشأة المنظمة لهذا القسم بزيارة الإمام الشهيد لمدرسة الصيانة التابعة لسلاح الصيانة أسبوعيًا كل يوم أربعاء؛ حيث كان يدعوه إلى ذلك بعض الإخوان الطلبة كالأخ عباس السيسي وغيره، وألف هؤلاء الإخوة الذهاب إلى المركز العام للإخوان، وانضم إلى صحبتهم آخرون من وحدات أخرى.

وكان لهذا القسم دعاة مدنيون في وحدات الجيش المختلفة يقومون بتعريف الجنود بدينهم، وشمول هذا الدين لكل نواحي الحياة، وكيف يمارسون حياتهم داخل الوحدات مهتدين بأصوله مستظلين بأحكامه.

وكان من مهام الدعاة المدنيين التعرف بضباط الوحدات حتى إذا وجدوا منهم تجاوبًا في الفهم ورغبة في الاستزادة، رسموا لهم طريق الصلة بالمرشد الذي كان يعرفهم بدوره في أول الأمر بالصاغ محمود لبيب، ويعرفهم هذا بدوره بعبد الرحمن السندي الذي كان يقوم بتبعة العمل الحقيقي في النظام الخاص.

ولما كثر عدد المنتسبين من الضباط في النظام، أفرد لهم المرشد قسمًا خاصًا يرأسه الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان، وبدأ استقلال محمود لبيب بعمله في هذا القسم في سنة ١٩٤٤م مستعينًا "بعبد المنعم عبد الرؤوف الذي كان يمارس نشاطه معه منذ سنة ١٩٤٣م.

وفي عام ١٩٤٤م كانت الأسرة الأولى مكونة من سبعة من الضباط:

يوزباشي: عبد المنعم عبد الرؤوف

يوزباشي: جمال عبد الناصر حسين

ملازم أول: كمال الدين حسين

ملازم أول: سعد حسن توفيق

ملازم أول: خالد محيي الدين

ملازم أول: حسين محمد أحمد حمودة

ملازم أول: صلاح الدين خليفة

وحسب رواية حسين حمودة وتأكيد عبد المنعم عبد الرؤوف:

"تكررت اجتماعات هذه الأسرة أسبوعيًا ولم تنقطع حتى مايو ١٩٤٨م، ثم انقطعت بسبب حرب فلسطين.

وطيلة هذه السنوات تحرَّك أفراد هذه الأسرة لتكوين أسر فرعية، وضم أكبر عدد ممكن من الضباط إلى التنظيم، وشكَّل كل فرد من أفراد الأسرة أسرة فرعية لا تزيد عن سبعة أفراد على ألا يخطر أي منهم الآخرين بأسماء المنضمين معه في الأسر الفرعية مراعاة لأمن الحركة، وكان محمود لبيب يحضر الاجتماع الأسبوعي للأسرة الرئيسية، ويحضر أيضًا الاجتماعات نصف الشهرية للأسر الفرعية المنبثقة من الأسرة الرئيسية.

وأصبح بذلك محمود لبيب هو الشخص الوحيد في هذا التنظيم السري الذي يعرف جميع المشتركين فيه".

شهادات الضباط الأحرار حول التأسيس والنشأة الإخوانية

اعتراف جمال عبد الناصر في بداية الثورة

في سلسلة مقالاته بمجلة المصور تحت عنوان "قصة ثورة الجيش من المهد إلى المجد" كتب حلمي سلام ذكريات عبد الناصر عن نشأة ومولد تنظيم الضباط الأحرار، قال عبد الناصر: "كان يجمعنا وينظمنا المرحوم الصاغ (م . ل)".

وفي نفس السلسلة ذكر عبد الناصر أنه "في صيف ١٩٤٤م التقى بمحمود لبيب في جزيرة الشاي بحديقة الحيوان بالقاهرة، وأنه تأثر بحديثه تأثرًا عميقًا حين حدثه عن ضرورة العقيدة وعن الهيئة (الإخوان المسلمون)، ولما سأله عبد الناصر عن الأسلوب العلمي للتخطيط أجابه بأن نبدأ في تنظيم جماعة في الجيش تعتقد بما تؤمن به حتى إذا جاء الوقت المناسب نكون انتظمنا في صف واحد فيستحيل على أعدائنا أن يقهرونا".

شهادة حسين حمودة أحد أفراد المجموعة الأولى من تنظيم الضباط الأحرار:

"قدمت نفسي يوم ٢٨/ ٦/ ١٩٤٣م للكتيبة الثالثة المشاة بألماظة، وكنت وقتئذ ضابطًا برتبة الملازم أول.

وتصادف أن نقل إلى هذه الكتيبة اليوزباشي عبد المنعم عبدالرؤوف، وحدث أثناء تناول الطعام مع الضباط في الميس أنه كان يجلس بجواري اليوزباشي عبد المنعم عبد الرؤوف فأخذت أتجاذب معه أطراف الحديث، وما لبث أن همس في أذني أنه يريد التحدث معي على انفراد في موضوع بعد الغداء.

وانفردت معه بالميس بعد انصراف الضباط، فقال عبد المنعم عبد الرؤوف لي إنه لاحظ اهتمامي الزائد بعملي وحرصي على تفوق سريتي في التدريب وتمسكي بمبادئ الأخلاق الكريمة. وأنه يود أن أزوره في منزله ليتحدث معي حديثًا أكثر حريةً، وأعطاني موعدًا مساء الجمعة.

ذهبت لمنزل عبد المنعم عبد الرؤوف بالسيدة زينب. وتحدث معي حديثًا خلاصته أن مصر حالتها لا تسر أحدًا.. وأن إنقاذ شعب مصر من الاحتلال البريطاني والحكم الملكي الفاسد لن يأتي إلا بثورة مسلحة يتولاها ويدبر أمرها المخلصون ممّن الشباب في الجيش والشعب فوافقته على ذلك الرأي.

وتلاقيت مع عبد المنعم كثيرًا حتى اطمأن لي واطمأننت له ووثق بي ووثقت به، فعرفني بشخصية من الشخصيات التي لها جهاد في سبيل مصر والعروبة والإسلام تلك الشخصية العظيمة هي شخصية الصاغ محمود لبيب".

شهادة كمال الدين حسين

ينقل سامي جوهر عن كمال الدين حسين: إن أهداف تنظيم الضباط الأحرار كانت العمل على تطبيق الإسلام، ولا نعلم له هدفًا غير ذلك، ويقول في خطابه الذي دونه لعبد الحكيم عامر: إن حركة الضباط الأحرار منذ دخولها سنة ١٩٤٤م لا يعرف لها هدف سوى الحكم بكتاب الله، وأنهم جميعًا: عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد المنعم عبد الرؤوف قد بايعوا محمود لبيب والمرشد والسندي، وأن الحركة قد انتكست عندما أضاف إليها عبد الناصر ضباطًا من غرز الحشيش والخمارات سنة ١٩٤٨م. (سامي جوهر- الصامتون يتكلمون – ص ٨٢)

شهادة خالد محيي الدين في مذكراته "الآن أتكلم"

"بعد أن بدأنا منذ ١٩٤٤م التفكير بشكل عملي لتحرير مصر من الفساد والتبعية للاحتلال تعرفتُ عن طريق زميلي عبد المنعم عبد الرؤوف بالصاغ محمود لبيب الذي كان يتناقش معنا بلهجة ذات نكهة إسلامية، ومن يومها بدأت علاقة من نوع غريب مع الإخوان، وتكونت بعدها مجموعة عسكرية تضم العديد من الضباط، ولم نعد نلتقي في أماكن عامة، ولكن في اجتماعات منتظمة في البيوت، وأذكر أننا التقينا في إحدى المرات بمنزل الضابط أحمد مظهر وهو نفس الفنان المعروف أحمد مظهر.

وكان الإخوان يحسون أنهم أمام كنز من الضباط المستعدين لعمل أي شيء لخدمة الوطن، وعندما بدأنا نسأل محمود لبيب عن برنامج الجماعة كان يجيب "الشريعة"، فأقول له: نحن جميعًا مسلمون ونؤمن بالشريعة، ولكن ماذا سنفعل بالتحديد؟ هل سنخوض كفاحًا مسلحًا أم نقبل بالتفاوض؟. وكان محمود لبيب يراوغ حتى انتهى الأمر بإحضار حسن البنا المرشد العام للإخوان، وبعد أن طرحت عليه أنا وعبد الناصر آراءنا قال لنا بهدوء وذكاء إن الجماعة تعاملنا معاملة خاصة، ولا تطلب منا نفس الولاء الذي تطلبه من العضو العادي، وتتالت مقابلاتنا وظل عبد الناصر مترتبًا في أن الجماعة تريد استخدامنا لتحقيق أهدافها الخاصة.

مع اتصالي بعثمان فوزي واستعارتي لكتبه بدأت أنحو منحى يساريًا، وهكذا أصبحتُ عضوًا شاذًا في جماعة يُفترض أنها تابعة للإخوان المسلمين.

وحاول حسن البنا أن يشدنا للجماعة برباط وثيق، وقرر ضمي أنا وعبد الناصر للجهاز السري، وبالفعل قابلنا عبد الرحمن السندي قائد الجهاز السري في أحد المنازل القديمة بحي الدرب الأحمر، ودخلنا غرفة مظلمة تمامًا ووضعنا يدنا على مصحف ومسدس،

وردنا خلف صوت أحدهم بمين الطاعة للمرشد العام في المنشط والمكره (الخير والشر)، وأعلنا بيعتنا التامة الكاملة والشاملة له على كتاب الله وسنة رسوله، وبدأنا عملنا وأخذونا للتدريب في منطقة قرب حلوان".

(وبعيدًا عن أسلوب الحديث والروح المسيطرة عليه، فإن خالد محي الدين يعترف صراحةً بأنه انضم إلى تنظيم الأخوان الضباط عن طريق عبد المنعم عبد الرؤوف، والذي عرفه بدوره بمحمود لبيب وكيل الإخوان، وانتظامه في اجتماعاتهم التنظيمية التي كان يحضرها باستمرار محمود لبيب، وكان يزورهم ويلتقي بهم المرشد العام حسن البنا، كما يعترف صراحةً بأنه وعبد الناصر بايعا عبد الرحمن السندي رئيس النظام الخاص للإخوان).

شهادة الضابط وحيد رمضان- قائد تنظيم الشباب في العهد الناصري- في صحيفة آفاق عربية- العدد ٦٢١ - ٢١ من أغسطس ٢٠٠٣م:

يقول: "لقد تعرفت في سنة ١٩٤٥م في منزل عبد المنعم عبد الرؤوف على جمال عبد الناصر، وكانت أول مرة ألقاه فيها، كما تعرفت على كمال الدين حسين في إحدى الأسر التي كان يحضرها الصاغ محمود لبيب، وكان يشاركنا أيضًا خالد محي الدين، وكان لنا موعد دوري نلتقي فيه حتى بدأت حرب فلسطين".

شهادات إبراهيم الطحاوي وحسن إبراهيم وعبد الحكيم عامر وتوفيق عبده إسماعيل وثروت عكاشة:

أوردها أحمد حروش في كتاب (قصة ثورة يوليو) الجزء الرابع – ص ١٤، ١٠٩، ٢١٨، وفي كتابه شهود ثورة يوليو ص ١٤٥،٩٨،٩٢،١٤.

ومن مجموع هذه الشهادات تتأكد الحقيقة التي توصل إليها الباحث الفرنسي، وأكدها من قبل الإخوان المسلمون أن:

تنظيم الضباط الأحرار هو في الحقيقة تنظيم الإخوان الضباط بالجيش، وأن مؤسسه والمسئول الأول عنه هو الصاغ محمود لبيب، وهو صاحب هذه التسمية "الضباط الأحرار".

وأن أول أعضائه المؤسسين الضابط الطيار عبد المنعم عبد الرؤوف، والذي تمكن من ضم باقي أفراد الخلية الأولى في التنظيم.

وأن هذا التنظيم ظل مستمرًا في انتظام وتوسع حتى قيام حرب فلسطين في ١٥/ ٥/ ١٩٤٨م؛ حيث سافر عدد من ضباط الصف الأول فيه إلى ميدان القتال في فلسطين كجمال عبد الناصر وعبد المنعم عبد الرؤوف وكمال الدين حسين وغابوا عن مصر لفترة.

ثم مرت بالجماعة والتنظيم محنة الحل والاعتقالات التي طالت أغلب رجالها وقادتها وأوقفت حركة أقسامها المختلفة، ومنها بالطبع الحركة داخل الجيش.

وبعد عودة الضباط من ميدان الجهاد في فلسطين وخروج الإخوان من المعتقلات بدأت مرحلة جديدة من العمل والعلاقات بين الإخوان وضباط الجيش، تغيرت فيها الظروف والعلاقات والشخصيات تغيرًا كبيرًا.

السادات وقرار الحرب

لقد كتب الكثير عن الجانب العسكري في الإعداد لحرب أكتوبر المجيدة... ولكن لم يكتب الكثير عن الجانب الدبلوماسي أو الإعداد السياسي والإعلامي للحرب... ويندرج ذلك القصور ضمن ظاهرة افتقاد توثيق ونشر التاريخ الدبلوماسي لمصر... خاصة تاريخ ربع القرن الذي شهد سلسلة الحروب الخمس مع إسرائيل بدءا من حرب فلسطين عام٤٨ مرورا بحرب السويس عام٥٦ وحرب٦٧ المأساوية وحرب الاستنزاف(٦٨ ـ٧٠) ثم حرب أكتوبر المجيدة.

وليس من شك أن قصة الإعداد الدبلوماسي لهذه الحرب الأخيرة هي قصة تستحق أن تروي، خاصة لأن مصر السادات كانت فيه قارئة جيدة لمواقف الأطراف، وممسكة بزمام المبادأة الدبلوماسية طوال الوقت حتي عشية العبور يوم٦ أكتوبر... وبطبيعة الحال فإن الإعداد السياسي للحرب إنما يرتبط بقرار الحرب ذاته بعد أن تلاشي الأمل في التوصل إلي حل سلمي وفشل مباحثات جوناريانج ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة طبقا لقرار مجلس الأمن رقم٢٤٢ وفشل مبادرات وزير الخارجية الأمريكية وليم روجرز التي أجهضها كيسنجر مستشار الأمن القومي بالمشاركة أو بالتواطؤ مع رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير.

ثمة محطة هامة كان لها تأثيرها علي تبلور القرار المصري. وتمثل ذلك في اجتماع القمة السوفيتية الأمريكية برئاسة كل من الرئيس نيكسون ومعه كيسنجر وليونيد برجنيف سكرتير عام الحزب الشيوعي والرجل الأول في الاتحاد السوفيتي في موسكو في مايو١٩٧٢. وفي البيان المشترك الصادر عن هذا الاجتماع جاءت العبارة الشهيرة التي تفيد أن الطرفين سيعملان علي أن تكون هناك حالة استرخاء عسكري في منطقة الشرق الأوسط.

كانت عبارة الاسترخاء العسكري من بنات أفكار هنري كيسنجر مستشار الأمن القومي الذي كان ينظر إلي قضية الشرق الأوسط باعتبارها إحدي قطع الشطرنج في المباراة بين القوتين الأعظم، واعتبار إسرائيل في خانة الحليف مع أمريكا، واعتبار مصر محسوبة علي الاتحاد السوفيتي، القوة العظمي الثانية التي كان كيسنجر عازما علي حرمانها من أي دور في المشاركة لتحقيق التسوية السلمية في الشرق الأوسط والتي كان يعمل علي أن تحتكرها الولايات المتحدة. وفي سبيل ذلك كان يسعي إلي ترسيخ الاعتقاد لدي العرب أن عليهم أن يتحولوا إلي الولايات المتحدة التي وحدها تستطيع أن تضغط علي إسرائيل، وإقناعهم أن المبادرات الخاصة بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢... ليست إلا محاولات ساذجة من جانب وزير الخارجية روجز لن توصلهم إلي أي شيء!!

كان كيسنجر يرمي أيضا إلي إفهام العرب أن الاتحاد السوفيتي نفسه في جيب الولايات المتحدة، وذلك بسبب تلهف الاتحاد السوفيتي علي حالة الوفاق مع الولايات المتحدة مما يجعله مستعدا للإعلان عن سياسة مشتركة للاسترخاء العسكري، أي معارضة القيام بأي عمل عسكري لاسترداد الأرض، وهو ما يعني بالضرورة عدم تزويد مصر بالسلاح القادر علي تمكينها من شن حرب لتحرير الأرض. شهدت الفترة مابين يوليو ١٩٧٢ حتي أكتوبر ١٩٧٣ أهم خطوات الإعداد للمعركة، والتي كان من بينها الاجتماع الهام بين الرئيس السادات والرئيس حافظ الأسد في برج العرب في أغسطس ٧٢، واتفاق الرئيسين علي خوض الحرب معا وإنشاء المجلس العسكري المصري السوري المشترك.. ثم الاتفاق بعد ذلك علي توقيت الحرب. وسار الرئيس السادات في تطبيق خطة الخداع الاستراتيجي الكبري التي استهدفت في النهاية أن يكون لمصر وسوريا ميزة توجيه الضربة الأولي والاستفادة من عنصر المفاجأة وهو ما حدث بالفعل.

كانت الفترة ما بين إعلان موسكو في مايو ٧٢ وبدء الحرب في أكتوبر ٧٣ هي أخصب الفترات التي نشطت فيها القناة السرية بين القاهرة وواشنطن وقد تتابعت وتكثفت هذه الاتصالات حتي كانت اللقاءات السرية بين حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومي المصري وكيسنجر في فبراير ويوليو ١٩٧٣ علي التوالي، وليس من شك أن هذه اللقاءات قد زادت من اقتناع كيسنجر أن مصر ليست في وضع يسمح لها بالحرب... وأنها لذلك تستميت في العمل علي التوصل إلي حل سلمي، وأن تصريحات الحرب ليست إلا من قبل التهويش، وليس من شك أن مما عزز لدي كيسنجر هذا الاقتناع هو شعوره بأنه قد نجح في تطويع الموقف السوفيتي مستخدما في ذلك تلهف السوفيت وتمسكهم بـ الوفاق بين القوتين الأعظم أكثر من أي شيء آخر.

إلا أن الفترة ما بين يوليو ٧٢ وأكتوبر ٧٣ لم تشهد فقط تغلب كيسنجر علي وزير الخارجية وليم روجز وإظهاره بمظهر العاجز. بل شهدت أيضا نجاح كيسنجر في إزاحة روجز من منصبه كوزير للخارجية بتوليه هو للمنصبين معا، منصب مستشار الأمن القومي، ومنصب وزير الخارجية وذلك في إدارة الرئيس نيكسون الثانية التي بدأت عام ٧٣... وهو وضع لم يحدث لا من قبل ولا من بعد في تاريخ الدبلوماسية الأمريكية...

إلا أن كيسنجر لم يكتسب نفوذا من هذا الوضع الاستثنائي فقط بل أيضا من ملء الفراغ الذي أوجده انشغال الرئيس نيكسون بعد تفجر فضيحة ووتر جيت والتي جعلت الرئيس الأمريكي غارقا حتي أذنيه في هذه الأزمة وتداعياتها طوال عام ٧٣ , ٧٤ إلي أن اضطر إلي الاستقالة من منصبه قبل انتهاء ولايته الثانية بعامين. في هذه الفترة كانت يد كيسنجر طليقة إلي حد غير مسبوق في توجيه وإدارة السياسة الخارجية الأمريكية... وقد استغل كيسنجر هذا الوضع إلي أبعد الحدود وكانت المستفيدة الأكبر منه بالتبعية هي إسرائيل.

في هذه الفترة أيضا، وتحديدا في سبتمبر١٩٧٢ عين الرئيس السادات وزير خارجية جديدا هو المرحوم الدكتور محمد حسن الزيات... وكان اختياره للزيات راجعا لأمرين أولهما الخبرة الإعلامية التي كان الزيات قد اكتسبها كمتحدث رسمي عقب حرب٦٧، ونجاحه الكبير في تحسين الصورة الإعلامية لمصر في هذا الوقت، وثانيهما لخبرته في الأمم المتحدة حيث كان مندوبا دائما لمصر من٦٩ حتي عام٧٣ وقبلها كان مندوبا مناوبا.

وكان السادات يعتزم طرح القضية برمتها علي مجلس الأمن، وإظهار أن مصر قد استنفدت كل السبل للتوصل إلي حل سلمي، وقد اختار السادات المناسبة التي طرح من خلالها القضية أو بالأحري طرحت هذه المناسبة نفسها... عندما قامت إسرائيل بعمليتها الشهيرة باغتيال القادة الفلسطينيين الأربعة تحت جنح الليل في مساكنهم في بيروت في أبريل١٩٧٣.

أثارت هذه العملية الوحشية الرأي العام العالمي... فانتهز الرئيس السادات هذه المناسبة وكلف وزير الخارجية الجديد بأن يتوجه إلي نيويورك ويطرح قضية أزمة الشرق الأوسط برمتها... وقد شكل الدكتور الزيات فريق عمل من أعضاء الخارجية لهذا الغرض كان من بينهم المرحوم الشافعي عبدالحميد وعبدالحليم بدوي ونبيل العربي وعمرو موسي وكاتب هذه السطور... وكان المندوب الدائم في نيويورك آنذاك هو الدكتور عصمت عبدالمجيد، وقد اجتمع مجلس الأمن بشكل مكثف، وسافر الدكتور الزيات ومساعدوه أربع مرات ما بين أبريل ويوليو٧٣ إلي نيويورك مقر الأمم المتحدة، وكان السؤال هو ما الذي ستطلبه مصر في النهاية من مجلس الأمن؟...

وبعبارة أخري ما هو القرار الذي سيصدر عن المجلس في ضوء الموقف الأمريكي المعروف والمستعد دائما لاستخدام حق الفيتو لمنع صدور أي قرار لا ترضي عنه إسرائيل... وقد حكي الدكتور عصمت أنه عندما ذهب مع الدكتور الزيات لمقابلة الرئيس السادات وأخبراه بأن أي قرار يقوم علي مبدأ الانسحاب من الأراضي المحتلة مقابل إقامة سلام تطبيقا للقرار ٢٤٢، سيكون عرضة لاستخدام حق الفيتو بواسطة الولايات المتحدة...

فكان رد الرئيس السادات هو: إنني أريد هذا الفيتو... أريد هذا الفيتو!!، وبالفعل فإنه عند التصويت في المجلس في شهر يوليو كان هناك إجماع من كل أعضاء مجلس الأمن عن فيهم حلفاء أمريكا مثل إنجلترا وفرنسا صوتوا لصالح القرار وكان الصوت المعارض الوحيد الذي استخدم الفيتو هو صوت الولايات المتحدة...

وكان الأثر الإعلامي لذلك كبيرا لصالح الموقف المصري. كان السادات يريد أن يظهر للعالم أننا طرقنا كل أبواب الحل السلمي داخل وخارج مجلس الأمن، ولكن الطرف الآخر(أمريكا وإسرائيل) هو الذي أوصد هذه الأبواب، فلم يكن أمامنا إلا أن نلجأ للقوة لنحرر أرضنا، وكان ذلك يجري في مجلس الأمن بينما القناة السرية المصرية الأمريكية واللقاءات السرية بين حافظ إسماعيل وكيسنجر قائمة علي قدم وساق... وفي نفس الوقت الذي كان يجري فيه الإعداد للحرب.

كان السادات في نفس الوقت يقوم بتحرك سياسي علي امتداد العالم كله لكسب تعاطف الرأي العام العالمي فذهب إلي القمة الإفريقية وقمة عدم الانحياز، وزار أغلب الدول

العربية وفتح قناة اتصال مع شاه إيران... ورغم الأوضاع الصعبة التي كانت مصر تواجهها آنذاك إلا أن هذا التحرك الواسع قد استطاع في النهاية أن يتخطي حاجز الوفاق بين القوتين الأعظم اللتين كانتا تراهنان علي الاسترخاء العسكري، كما أدت مناورة السادات إلي ترسيخ الاعتقاد لدي كيسنجر بأن السادات لن يحارب، وكانت مفاجأته الكبري عندما استيقظ علي أخبار الحرب صباح السادس من أكتوبر بتوقيت نيويورك، وهنا يسدل الستار علي فصل ويبدأ فصل جديد ربما كان أكثر إثارة وأكثر تعقيدا وأبلغ أثرا...

شهادات روسية عن حرب أكتوبر

تكمن أهمية الشهادة التي نتناولها من شهادات شخصيات عسكرية قيادية روسية عن حرب اكتوبر ١٩٧٣ من أهمية صاحبها والمكانة الرفيعة التي كان يتمتع بها في الجيش السوفيتي وما يمتلكه من مؤهلات وخبرات قتالية في المعارك التي خاضتها بلاده دفاعا عن أراضيها، ولاسيما خلال الحرب العالمية الثانية في مواجهة الهجوم النازي الألماني على الاتحاد السوفيتي. فقد بدأ الجنرال نيكولاي ايفليف حياته العسكرية عام ١٩٤٢، وعمل في الملحقية العسكرية البحرية بالسفارة السوفيتية في لندن أثناء الحرب وشارك في واحدة من أخطر وأهم العمليات العسكرية للحلفاء ضد المحور. ألا هي عملية إنزال جيوش الحلفاء (الإنجليز والأمريكين خصوصا) على الشاطيء الغربي لأوروبا لفتح جبهة ثانية.

وهو بهذا كان مؤهلا تماما، كمستشار كبير، لمساعدة المصريين على عملية العبور والنزول على الضفة الشرقية المحتلة للقناة. وكان من ضمن القلة القليلة من الخبراء الذين أبقاهم السادات من المستشارين الروس بعد ان طرد غالبيتهم العظمى عشية حرب أكتوبر. وأوفد الى مصر عام ١٩٧٠ وظل فيها حتى عام ١٩٧٦. وهو يعد حينذاك عميدا للسلك الدبلوماسي العسكري في القاهرة.

يصف نيكولاي ايفليف حرب أكتوبر بأنها أول حرب عربية ـ إسرائيلية يخوضها الطرفان بأسلحة متطورة تجرب لأول مرة، سواء الأسلحة السوفيتية التي لدى الجانب المصري، أم الأمريكية التي لدى الجانب الإسرائيلي. ويضيف ايفليف أن هذه النقطة تشكل واحدة من أهم أسباب اهتمامهم بالحرب لمعرفة كيفية فاعلية هذه الأسلحة وأداء وتعامل المصريين معها كأسلحة متطورة، ضد خصم يملك هو الآخر أسلحة أمريكية متطورة.

ويشير الجنرال ايفليف إلى أنه كلف أثناء حرب اكتوبر بدراسة ومراقبة العمليات الحربية، وانه شارك في الحرب عندما ركب عبارة مع مستشارين سوفيت لا يتجاوز عددهم خمسة برفقة عدد من القادة العسكريين المصريين وعندما نزلوا على الضفة الشرقية للقناة وشاهدهم مجموعة من الجنود المصريين من الجرحى وغير الجرحى وعلموا بأنهم سوفيت، وتناهى الى مسامعهم بأنهم فوج روسي عسكري وان أفواجا روسية أخرى قادمة هللوا فرحين بقدوم الروس لتعزيز صمودهم مما يؤكد حسب قوله «شعبيتنا والمكانة التي يكنها لنا الجنود والشعب المصري».

وباعتباره مكلفا بتسلم نماذج من غنائم القوات المصرية من الأسلحة والمعدات الإسرائيلية المتطورة المصابة، يقول ايفليف إن أثمن هذه الغنائم دبابة أمريكية «ام – ٦٠» وطائرة تجسس استطلاعية أمريكية بدون طيار أسقطها المصريون ببنادق عادية. وانه وجد صعوبة شديدة في إقناع القيادة العسكرية المصرية بتسليمه كلتا الغنيمتين لإرسالها الى موسكو لدراستها وتطوير الأسلحة السوفيتية اللازمة المضادة التي تشل فاعلية كل منهما. ذلك بأن السادات، حسب تعبيره، كان يخشى إغضاب الأمريكيين وهو يبيت النية لتوسيع علاقاته وتحالفه معهم بعد الحرب.

ويصف عملية العبور بأنها كانت عملية بطولية رائعة، وأن اختيار توقيت شن الحرب (يوم عيد الغفران لدى إسرائيل) كان اختيارا موفقا وذكيا، لكنه يأسف لعدم استغلال هذا التوقيت بشكل أكبر لتطوير الهجوم المصري والتوغل نحو العمق داخل سيناء مما أثار دهشته ودهشة القادة الميدانيين المصريين في الجبهات الأمامية. وكان السادات يبرر في البداية عدم التقدم بأنه تاكتيك لدفع القوات الإسرائيلية للتقدم الى الأمام نحو القوات المصرية وإيقاعهم بعدئذ في مصيدات لسحقهم.

ويضيف: «وكنا في البداية مع هذا التاكتيك الذي شاركنا المصريين في التخطيط له، ولكن لم يكن الأمر كذلك في النصف الثاني من الحرب إذ تحول التاكتيك لمخطط استراتيجي للسادات لجعل الحرب محدودة لا تتطور أكثر من ذلك». وأشار الى أنه حتى وزير الحربية أحمد اسماعيل وعدد من القادة العرب طلبوا منه الاستمرار في التوغل بالتقدم داخل سيناء لكن السادات رفض ذلك. وهذا الموقف اتخذه السادات منذ ما قبل ثغرة الدفرسوار.

كما يكشف المستشار، الجنرال ايفليف، أنه بعد ثغرة «الدفرسوار» بدأت القوات الإسرائيلية تتقدم وتكسب عددا من المعارك المهمة، وانه لولا مباحثات الزعيم السوفيتي بريجنيف وضغطه على الرئيس الأمريكي نيكسون وتهديد موسكو بالتدخل في الحرب عسكريا الى جانب مصر ليوقف الإسرائيليون تقدمهم ويقبلوا بوقف إطلاق النار لتمكن هؤلاء من الوصول الى شواطيء البحر المتوسط المصرية ولتمكنوا أيضا من قطع القوات المصرية في سيناء عن العمق المصري وبخاصة في ضوء تشدد جولدا مائير (رئيسة الحكومة الإسرائيلية حينذاك) التي كانت مع التقدم داخل العمق المصري من خلال «الثغرة» ومن خلال ساحل البحر المتوسط.

وحينما سئل ايفليف عن سر وقوف روسيا الى جانب مصر بالرغم من كل الإهانات التي ألحقها السادات بهم، كطرد الخبراء السوفيت والتشهير بهم في خطبه السياسية، أجاب بما مفاده أن مبدئية السياسة السوفيتية هي التي تفسر هذا الموقف، فلم يكن هذا الموقف من أجل سواد عيون السادات وإنما من أجل قضية شعب مصر الصديق العادلة لمساعدته على تحرير أراضيه المحتلة، كائنا من يكون رئيسه، السادات أو غير السادات.

وعلى الرغم من أن الرئيس الحالي حسني مبارك يعتبر نفسه امتدادا لسياسة السادات في التمسك بكامب ديفيد والحفاظ على «الصداقة» القوية مع أمريكا، فإن ذلك لم يمنع ايفليف من أن يكون موضوعيا في الإشادة به منوهاً بصداقته القديمة معه منذ أيام دراسته

العسكرية في روسيا.

والحال ان شهادات القادة العسكريين الثلاثة تكاد تتوافق مع شهادات الضباط العسكريين المصريين الذين اختلفوا مع أسلوب إدارة السادات السياسية والعسكرية لحرب اكتوبر وفي مقدمتهم رئيس هيئة الأركان وقت المعركة الفريق سعدالدين الشاذلي.

وإذا كان الجيش المصري قد حقق كل تلك البطولات والانتصارات في حرب اكتوبر حتى في ظل الإدارة العسكرية والسياسية السيئة للرئيس الراحل أنور السادات فلك أن تتخيل كم كان سيحقق من بطولات أعظم، وصولا إلى تحرير سيناء بكاملها، لو كانت المعركة قد جرت في ظل قيادة الفقيد الرئيس الراحل عبدالناصر، ولو كان جميع المستشارين الروس لم يطردوا وشاركوا مثلا في معركة العبور. وسبق ان ذكرت ذات مرة أن توريط أو تورط موسكو عسكريا في هذه الحرب يجعل ضغوطها الدولية، كقوة عظمى، أكثر فاعلية وبخاصة حينما تخسر عددا من القتلى من مستشاريها مثلا، لكن السادات ما كان يعبأ أصلا لمعركة تحريرية شاملة من هذا النوع كما تأكد ذلك مقدما قبل الحرب ثم اتضح ذلك خلال مجريات الحرب ومواقفه وأسلوب إدارته لمعاركها.

من خلف الستار

اسم الكتاب: مصر في زمن الإبهام

مذكرات السفير السوفياتي في مصر خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣.

**اسم المؤلف:فلاديمير فينوغرادوف.

ترجمة: زكريا لبيب.

الناشر: دار الحصاد للطباعة والنشر - طبعة أولى ٢٠٠٠م

** صاحب المذكرات "فلاديمير فينوغرادوف"،تولى مهمة تمثيل بلاده في جمهورية مصر العربية ما بين ١٩٧٠-١٩٧٤، وشهد حرب أكتوبر وتداعياتها، وشارك في شطر من مفاوضات جنيف، كما أنه عايش مرحلة انتقال السلطة إلى الرئيس أنور السادات بعد رحيل الرئيس جمال عبد الناصر، وهو ما وضع مصر أمام منعطف قادها إلى حيز مختلف عما كان سائداً أيام قائد ثورة يوليو، وأوصلها بالتالي إلى معاهدة كامب ديفيد، بعد أن بدّل تحالفاتها ومخططاتها، ذلك المنعطف الذي استدعى إعادة الحسابات والترتيبات، في مرحلة يسميها السفير السوفيتي فينوغرادوف "مرحلة الإبهام" نظراً لما اكتنفها من غموض، ويحاول في كتابه هذا، تناولها ورصد أحداثها، ومن ثم تحليها من وجهة نظره، ومن وجهة نظر الاتحاد السوفيتي "سابقاً" والذي أصبح الآن جمهورية روسيا، بعد أن كان قوة عظمى لها حضورها وتأثيرها في التوازنات الدولية.

يركز السفير السوفيتي على التغيرات الداخلية المصرية وتأثيرها على العلاقات المصرية السوفيتية، وتنامي دور الولايات المتحدة الأمريكية السياسي في المنطقة آنذاك: (العلاقات السوفيتية المصرية مرت في مراحل متنوعة، وكان للتغيرات الداخلية لهذه الدولة العربية الكبيرة والمؤثرة في مجمل العلاقات السياسية في المنطقة، أثرها الكبير على صعيد هذه

العلاقات.... من خلال عملي كسفير للاتحاد السوفيتي في مصر على امتداد أربعة أعوام...نشط فيها دور الولايات المتحدة الأميركية، السياسي وأصبح جلياً واضحاً، مستفيدة من الوضع الداخلي المصري المعقد، بعد موت جمال عبد الناصر. لتقرب أكثر من مجريات الأحداث في الشرق الأوسط.... وقد قدم أنور السادات للجانب الأميركي، مساعدة كبيرة في هذا المجال).

يبدأ المؤلف كتابه من وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، واصفاً جنازته العظيمة. إلى تداعيات وتجاذبات غيابه، إلى مرحلة ما بعد عبد الناصر وتعددية الأقطاب، ثم تصفية مراكز القوى، وتفرد السادات بالسلطة دون منازع، وصولاً إلى حرب أكتوبر (تشرين). كيف بدأت، وكيف انتهت.. سير الأحداث من وراء الكواليس، إيقاف الحرب، المفاوضات، الدخول الأميركي والغموض الذي كان يلف الأمور في تلك المرحلة.

ويؤكد فينوغرادوف: أن المنطقة العربية تظل كما كانت سابقاً، من أكثر "النقاط الحارة" على كوكبنا، وإن معالجة الوضع أو النزاع سلمياً في المنطقة مع توفير وضمان السلام العادل للأطراف المتحاربة، يعتبر من أهم الواجبات التي يقع تحقيقها على عاتق المجتمع الدولي.

حرب أكتوبر:

محور مذكرات فينوغرادوف، هو حرب أكتوبر، ومجموعة الأسئلة التي أثارتها ولا تزال.. ويذكر الكاتب بداية أن حل النزاع العربي الإسرائيلي بالطرق السلمية كان في قناعة معظم العرب، حلاً غير واقعي بسبب التعنت الإسرائيلي، وكانت فكرة قيام صلح منفرد بين إسرائيل ومصر سينظر إليه عربياً كخيانة.. (ولم يكن عبد الناصر ليسمح لفكرة كهذه حتى أن تمر في مخيلته مروراً عابراً، بينما قرر السادات تنفيذها... وقرر أن يكون وسيلته إلى ذلك الولايات المتحدة، لذلك بدأ في إيجاد مبررات منطقية تسمح بظهور أمريكا في

المنطقة،ص٧٠، ـ وأولها ضرب العلاقة مع السوفيت ـ.. وفي نهاية صيف ١٩٧٣، تم إرسال حافظ إسماعيل مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي، إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكان مكلفاً بإجراء لقاءات سرية مع الرئيس الأمريكي نيكسون ووزير خارجيته كسينجر، ولكي يغطي سرية سفره فقد مر على موسكو ولندن. كان يتم التحضير لشيء ما .. قبل ذلك وفي أيار ١٩٧٣، كان السادات قد قام بتجميع ـ قدر استطاعته ـ جميع السلطات في يده ..ص٧٢ـ٧٣.

(منذ استلامه للحكم أدرك السادات إن إزالة آثار العدوان الإسرائيلي مادة يمكن استغلالها في العلاقات السياسية، فاستغلها على الصعيد الداخلي لتصفية خصومه... كما استخدمها كورقة ضغط على الاتحاد السوفيتي كي يلقي عليه أسباب تعقيد وزيادة توتر الوضع .. وليحصل على مساعدات خاصة. وأما على الولايات المتحدة الأمريكية بأن يجلب انتباهها إليه..كي يصبح بالنسبة إليها الشريك الذي لا تستغني عنه) ص٦٩.

وفي هذا السياق اتخذ السادات قرار الحرب بدون تنسيق مع الاتحاد السوفيتي، واستطاع الجيش المصري عبور قناة السويس، في وقت كان الجيش السوري يجتاح منطقة الجولان السورية المحتلة، لكن المصريين تقدموا مسافة أخرى إلى الأمام وتوقفوا، وهنا سمح للقيادة الإسرائيلية بتركيز مقاومتها ثم هجومها على الجيش السوري، واستعادة المواقع التي كانت القوات السورية قد حررتها، بينما بقيت القوات المصرية مرابطة في مواقعها دون أي تقدم.

ويثير السفير تساؤلات كثيرة عن مجريات الحرب وما بعدها، وهو ينظر لها نظرة أحادية الجانب، ويظهر فيها انحياز الكاتب إلى أفكار الحكومة السوفيتية آنذاك بأن الامور كانت ستكون أفضل للعرب لو كان للسياسة الروسية ذات الثقل السابق.

ويتابع السفير رصده لمجريات الحرب، وثغرة الدفرسوار، وما تلاها مما شكل المقدمات الأولى للزيارة الشهيرة للرئيس السادات إلى القدس المحتلة.. ويفصل السفير في الأحداث التي تلت الحرب، من المباحثات بين السادات وكيسنجر، إلى فصل القوات ثم عقد مؤتمر جنيف وأحداثه، ويورد تفاصيل مباحثات المؤتمر، ويركز على انسحاب مصر من العلاقة مع السوفيات، في مقابل التقارب مع أمريكا، وفي السياق يورد العديد من الأقوال التي تحتاج إلى التمحيص عن تلك المرحلة التي أسماها مبهمة من تاريخ مصر ـ والعرب ـ الحديث.

مصر في زمن الإبهام مذكرات تعيد التذكير بوقائع لابد من مراجعتها، كأحد أهم المحطات في التاريخ العربي الحديث.

السادات وزيارة القدس

كان لحرب السادس من أكتوبر العاشر من رمضان عام ١٩٧٣ أبلغ الأثر على العلاقات الدولية وكادت أن تنسف حالة الوفاق في الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الداعمة لإسرائيل والاتحاد السوفيتي الذي وقف إلى جانب مصر والعرب حتى بعدما طرد السادات الخبراء الروس عام ١٩٧٢ في لفتة لكسب رضا الأمريكيين والتنويه بإمكانية التحول من المعسكر الشرقي إلى المعسكر الغربي.

وما فعله السادات بشن الحرب أرغم أمريكا على وضع أجندة الصراع العربي الإسرائيلي في مقدة أولوياتها في السياسة الخارجية، خاصة وأن ما تبعها من فرض حظر على البترول العربي أدى إلى حالة ارتباك في الاقتصاد العالمي وأزمة طاقة غير مسبوقة في أمريكا وهي على أبواب شتاء قارس البرودة في ذلك العام.

وقد كان السادات صادقا عندما وقف في مجلس الشعب عام ١٩٧٨ ليعلن أن مصر لم تضحك (بمعنى تخدع) على إسرائيل وحدها بل ضحكت على أمريكا أيضا. وبالفعل كشفت الوثائق الأمريكية التي رفعت عنها السرية أن مصر برئاسة السادات تمكنت من خداع أعتى جهاز مخابرات في العالم بكل ما لديه من إمكانيات وهو وكالة المخابرات المركزية الأمريكية "سي آي ايه." وتذكر الوثائق أن الوكالة كانت في حالة صدمة وأقامت غرفة عمليات طارئة بعد اندلاع الحرب لتدرس الفشل الذريع الذي منيت به بسبب خطة التضليل والخداع المصرية التي حالت دون قيام عناصر "سي أي ايه" وأقمارها برصد ما يمكن أن يهدد بشن هجوم مصري أو حتى إمكانية اندلاع الحرب، وكشفت تلك الوثائق أن راي كلاين رئيس الاستخبارات التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية أنذاك أرجع هذا الفشل "إلى أن

الإسرائيليين غسلوا أمخاخنا (نحن الأمريكيين) وكانت أمخاخهم أيضا مغسولة" بسبب خطة مصر.

وبعد أن اتخذ مجلس الأمن الدولي في الأسبوع الثالث للحرب قرارا بوقف إطلاق النار والتزمت به مصر، أعطى وزير الخارجية الأمريكي أنذاك هنري كسنجر الضوء الأخضر لإسرائيل لانتهاك القرار لتمكن إسرائيل بمساعدة استخبارات البنتاجون والأقمار الصناعية من الدخول في منطقة الثغرة غرب قناة السويس ومحاولة حصار بعض كتائب الجيش الثالث المصري بهدف كسب موقف على الأرض يعزز إسرائيل في أي مفاوضات مقبلة بعد الهزيمة التي لحقتها، خاصة في ظل الجسر الجوي الذي أمر به كيسنجر بدون علم الرئيس نيكسون لسرعة إرسال سلاح وطيارين أمريكيين إلى إسرائيل للمشاركة في الحرب.

كان كيسنجر – وهو يهودي – يعبر عن ولائه وعاطفته لإسرائيل بعد أن بكت له رئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدامئير على الهاتف يوم ١٢ اكتوبر وقالت له "إن إسرائيل انتهت" فامر بسرعة إقامة الجسر الجوي لنقل السلاح والعتاد ثم رفض تعليمات الرئيس نيكسون بالتعاون مع السوفيت لفرض عملية سلام على مصر وإسرائيل ليعطي الدولة العبرية فرصة تحقيق شيء في الحرب يعطيها قوة أثناء أي مفاوضات.

وقبل شهرين كشفت وثيقة جديدة تم رفع السرية عن بعض ما فيها أن البحرية الأمريكية سربت معلومات مضللة وكاذبة أثناء الحرب بأن السوفييت ينقلون أسلحة نووية إلى مصر. ولاتزال هناك الكثير من الوثائق التي قد تظل سرية لسنوات طويلة وربما إلى الأبد. ومن يشاهد الوثائق التي رفع عنها السرية سيجد فقرات طويلة معتومة بالحبر الأسود نظرا لسريتها البالغة.

وبعد انتهاء الحرب بعام، زار نيكسون مصر عام ١٩٧٤ وفاتح السادات في إمكانية إقامة سلام مع إسرائيل لكن السادات رفض إقامة أي سلام قبل تحرير الأرض التي احتلتها إسرائيل في حرب عام ١٩٦٧.

ولكن بعد ثلاث سنوات تمكن مذيع وصحفى أمريكي شهير من القيام بمحاولة ناجحة للوساطة إعلاميا بين مصر وإسرائيل للوصول إلى سلام بينهما. وقد فعل.

إذ حكي مذيع شبكة (CBS) الأمريكية الشهير والتر كرونكايت الذي رحل قبل شهرين أنه جاء إلى مصر لمقابلة الرئيس السادات، فطاف به الرئيس عدة أماكن في مصر وقال كرونكايت إن السادات "أخذ يشرح أمام الكاميرا ما فعله وما ينوي أن يفعله من أجل مصر. وكنت أشعر بالملل ويغالبني النعاس وكنت غير مستريح بالمرة بسبب الذباب والناموس الذي يهاجمني أثناء اللقاء مع السادات في حديقة بيته في قريته (ميت أبو الكوم)." و بالطبع مثل هذا الكلام عن سياسته المحلية لا ولن يذاع على التلفزيون الأمريكي لأنه لا يهم أي شخص بالمرة في أمريكا. واسترسل السادات في الحدث وكاد كرونكايت أن ينعس تماما حتى جاءت اللحظة الحاسمة!

فجأة أفاق كرونكايت مقاطعا السادات: "عذرا يا سيدي الرئيس، هل قلت إنك ستذهب لإسرائيل؟" ورد عليه السادات، "نعم، نعم يا والتر أنا مستعد للذهاب لإسرائيل."

انفرجت أسارير كرونكايت لأنه ظن أنه حصل على خبطة صحفية تاريخية وسأل السادات "وما هي شروطك للذهاب لإسرائيل؟" ورد عليه السادات "أن تنسحب من سيناء." فظهرت علامات العبس على وجه كرونكايت لأنه يدرك أن إسرائيل لن تفعل ذلك!

هذا ما تشاهده في هذه المقابلة الشهيرة والممتعة التي غيرت تاريخ الشرق الأوسط في عام ١٩٧٧. في الفيديو، كان الرئيس السادات يدخن غليونه الشهير أثناء المقابلة وكان كرونكايت يجلس أمامه ممسكا بغليونه ايضا. كانت أول مقابلة أجراها التلفزيون الأمريكي مع الرئيس الراحل أنور السادات وكانت وقد سجلت بمحض الصدفة تاريخا وليس عن قصد باعتراف والتر كرونكايت مذيع شبكة (CBS) الأكثر شهرة عالميا والذي رحل قبل أيام (في شهر يوليو ٢٠٠٩).

ولأن السادات يعرف أهمية وشعبية كرونكايت الذي غطى أحداث اغتيال الرئيس جون إف كينيدي واغتيال مارتن لوثر كنج وهبوط أول إنسان على سطح القمر وحرب فيتنام واستقالة ووترجيت نيكسون وغيرها – فقرر أن يصطحبه في مقابلة تاريخية في أماكن عديدة بربوع مصر من الصعيد إلى المنوفية وكانت اللحظة الحاسمة في قرية "ميت أبو الكوم." كان السادات يعرف أن المقابلة سيكون لها ردود فعل عالمية وستكسبه تأييد الأمريكيين عندما يقول لهم إنه مستعد لزيارة إسرائيل.

مقابلة بالقمر الصناعي مع "صديقي الجديد" السادات:

عندما سمع كرونكايت شرط السادات لهذه الزيارة، شعر بالإحباط وعاد إلى الولايات المتحدة ولم يكن في نيته بث المقابلة، خاصة وأن السادات في خطاب بمجلس الشعب يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٧ – في وجود الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات ووفد كندي زائر – شجب اسرائيل بشدة واتهمها بتخريب فرص عقد مؤتمر دولي للسلام برعاية الرئيس الأمريكي جيمي كارتر يضم عددا من الدول العربية والاتحاد السوفيتي في جنيف.

وعندما زار الوفد الكندي إسرائيل قادما من مصر، نقلت عنه الصحف الإسرائيلية أن الرئيس السادات قال إنه "مستعد للسفر لإسرائيل" ولكن لم تذكر صحف إسرائيل أي

شروط لأن الوفد الكندي لم يستمع إلى بقية كلام السادات قبل مغادرة مجلس الشعب للحاق بالطائرة المتجهة إلى قبرص ومن هناك إلى إسرائيل. ولم يصدق العالم وقتها ما قالته صحف إسرائيل، وعندما وصل الخبر واشنطن سارع كرونكايت في اليوم التالي الاثنين ١٤ نوفمبر ١٩٧٧ واتصل بالسادات الذي وصفه بـ "صديقي الجديد" عبر القمر الصناعي وسجل معه مقابلة أخرى هذا ملخص لأهم ما فيها:

كرونكايت: "هل صحيح انك مستعد لزيارة القدس؟"

الرئيس السادات: "انا مستعد للذهاب للكنيست خلال ايام وبحث السلام معهم. انا منتظر الدعوة المناسبة."

كرونكايت: "هل لديك شروط لإتمام هذه الزيارة؟"

الرئيس السادات: "الانسحاب من سيناء ..."

كرونكايت: "إذن شروطك لهذه الزيارة هي انسحاب إسرائيل من سيناء؟"

الرئيس السادات: "لا، هذه شروطي للسلام."

لم يصدق كرونكايت وكاد أن يطير فرحا وسارع بسؤال السادات متى يمكن أن تتم هذه الزيارة وقال له السادات "في أقرب وقت ممكن بمجرد أن أتلقى دعوة."

كرونكايت: "هل يتعين ان تأتيك دعوة مباشرة من السيد بيجن (رئيس وزراء إسرائيل أنذاك) أم يكفي من خلال الصحافة؟"

الرئيس السادات: "نعم، نعم."

كرونكايت: "ولكن كيف ذلك ولاتوجد علاقات دبلوماسية بينكم وبين اسرائيل؟"

الرئيس السادات: "ولماذا لا تأتي من خلال صديقنا المشترك، الامريكين"

كرونكايت: "إذا جاءتك دعوة رسمية، متى يمكن أن تزور إسرائيل؟"

الرئيس السادات: "أنا مستعد لإتمام الزيارة في أقرب فرصة ممكنة."

كرونكايت: "يمكن أن نقول في غضون أسبوع؟"

الرئيس السادات: "يمكنك أن تقول ذلك."

كانت هذه المقابلة مسجلة. وقبيل النشرة الرئيسية التي يقدمها كرونكايت في أنحاء أمريكا على شبكة "CBS" الساعة السادسة مساء، أجرى مقابلة بالقمر الصناعي مع مناخم بيجين رئيس وزراء إسرائيل وقال له كلام السادات. وكاد مناخم بيجين أن يطير من الفرح عندما سمع أن السادات مستعد للزيارة في غضون أسبوع وقال لوالتر كرونكايت "دعه يأتي فورا سنكون في استقباله، ... سأبلغ السفارة الأمريكية أن تنقل الدعوة رسميا – فهي تفعل كل ما أطلبه منها." وضحك كرونكايت على هذه الجملة ... التي تعني أن إسرائيل تأمر وأمريكا تنفذ!

بعد ستة أيام من هذه المقابلة، اي يوم الأحد عشرين نوفمبر ١٩٧٧ زار السادات القدس وسجل تاريخا غير مسبوق في الوطن العربي مما أدى إلى توقيع اتفاقات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ ثم معاهدة السلام عام ١٩٧٩. وأصبح السادات "الرئيس المؤمن بطل الحرب والسلام."

بهذا يكون كرونكايت قد لعب دورا "دبلوماسيا" حاسما ولكن بحس صحفي متمرس أدى في النهاية إلى زيارة السادات إلى القدس و كسر حاجز نفسي بين مصر وإسرائيل آنذاك وهو بلا شك يختلف عن صحافة بث الكراهية السائده هذه الأيام. وكلما شاهدت هذا اللقاء على شريط فيديو بين الحين والأخر استمتع وأشعر فعلا أن السادات كان رجل

علاقات عامة من الطراز الأول يعرف حقا كيف يخاطب الرأي العام العالمي، وخاصة الأمريكيين. وكانت السيدة جيهان السادات تفخر دائما بهذا وقالت في مقابلة أجريتها معها عام ١٩٩٣ يوم توقيع اتفاقات أسلو للسلام بين إسرائيل والفلسطينيين: "السادات كان سابق عصره. والآن الفلسطينيون يوقعون على اتفاق سلام ولكن للأسف لن يعيد لهم ربع ما كان السادات سيعيده لهم وقت كامب ديفيد (١٩٧٨). ياليتهم سمعوا كلامه أيام مفاوضات ميناهاوس في القاهرة ولم يتركوها."

خطاب السادات حول حرب اكتوبر

(النص)

بسم الله، وما النصر الا من عند الله.

ايها الاخوة والاخوات،

اطلب منكم ان نقف معاً دقيقة تحية لشهدائنا الابطال.

ايها الاخوة والاخوات،

جرت العادة والتقاليد بعد المعارك الكبرى، ان يقدم القائد العام للقوات المسلحة تقريره الى رئيس الدولة. تقرير عن المعارك التي خاضتها هذه القوات. يعرض فيه الجهود التي قامت بها القيادات، ويسجل اعمال البطولة التي قام بها الجنود والضباط.

ولقد طلبت من القائد العام للقوات المسلحة، الفريق اول احمد اسماعيل، ان يقدم هذا التقرير التاريخي الى تحالف قوى شعبنا العامل، هذا الشعب هو صاحب الاسلحة التي حققت المعجزة. هي اسلحة لم تصنع من الفولاذ فقط وانما صنعت ايضاً بالايمان والاصرار، صنعت بالايمان والاصرار، صنعت بالعناد والعرق، صنعت بالدم والتضحية وقوة الاحتمال.

هذا الشعب، شعبنا الذي حرم نفسه لسنوات طويلة من ضرورات الحياة ليوفر لجيوشه المال والسلاح، هذا الشعب الابي الذي يأكل اليوم بالبطاقات، ويقف في الطوابير، ويتحمل عذاباً يومياً في حياته من اجل ان يحقق ذاته وكرامته ومن اجل ان يحقق النصر لامته العربية كلها.

ايها الاخوة والاخوات،

ان تضحيات الشعب المصري هي التي زادت من فعالية الصواريخ، وهي التي ضاعفت من قوة انطلاق المدافع، وهي التي ضاعفت ايضاً من صلابة الدبابات وشراسة الطائرات.

ولقد عاش شعبنا، وامته العربية، خمسة قرون في احضان الهزيمة. سارت مواكب النصر في شوارعه، ولكنها كانت مواكب جيوش الغزاة الاجانب وليست جيوشه. رفعت اعلام النصر في الميادين، ولكنها اعلام الدول المحتلة ولم تكن اعلامه.

واليوم، اعلن لشعبنا ولامتنا العربية كلها، ان قرون التخلف والهزيمة قد انتهت بعد ان حققت القوات المسلحة

في مصر وسورية، تؤيدها قوات الشعوب العربية، اول نصر حقيقي للعرب منذ عدة قرون.

فلأول مرة منذ خمسمائة سنة، تمشي مواكب النصر المصرية في شوارعنا، وترتفع اعلام النصر المصرية في ميادينتا. هذه القوات ردت للعرب كبرياءهم، واعادت اليهم ثقتهم في انفسهم، بل استردت لهم احترام شعوب الدنيا كلها.

وهنا – أيها الاخوة والاخوات – يهمني ان اقدم شكري وشكر بلادي وتقديرنا، لاشقائنا العرب، ملوكا ورؤساء وشعوباً وقوات مسلحة، اشكر الذين حاربوا معنا بأرواحهم وبذلوا الدم مشاركة لنا في معركتنا. واشكر الذين حاربوا معنا بامكاناتهم واضافوا بمواقفهم وتضامنهم، قوة رائعة جديدة للمعركة.

ونحمد الله، نحمد الله فقد أطلت انوار الفجر الجديد على كل شبر من الارض العربية.

فجر للعرب والاحرار، بعد ظلام طويل دامس. فجر للانسان العربي الجديد، بعد ليل طويل حالك.

فجر للارض التي اختارها الله سبحانه وتعالى للهداية والحكمة والرشاد.

فجر تدعم فيه قلاع الحرية لتندك فيه كل دعاوى واطماع الاقوياء.

فجر الحب والبناء. فلا مكان هنا، بعد اليوم، للحقد او الضغينة والبغضاء.

فجر لا ذل فيه، ولا اذلال، ولا ظلم، ولا طمع، ولا استغلال.

فجر، السيادة فيه للتحالف العظيم لقوى شعبنا العامل. الارض لاصحابها، والخير كل الخير لمن يزرع الخير ويرعى القيم ويحفظ الوفاء.

فجر يرفع فيه كل مواطن رأسه في كبرياء، ويحني فيه الحاكم رأسه طاعة للشعب بعد ان اصبحت القيادة للشعب.

فجر، السلطان فيه للقانون، صيانة لكرامة الافراد، وانصافاً لكل مظلوم، والاولوية فيه للوطن، حباً، وعملاً، وتفانياً، واداء.

فجر للعاملين والمجاهدين. لكل من يبذل قطرة دم او حبة عرق من اجل ان يرفع البناء الى السماء.

فجر، نعوض فيه، مع اخوة لنا، ما ضاع من العرب من امجاد، ونرد فيه لامتنا العربية بالوحدة والتضامن مكانها العالمي في عالم لم يعد يعترف الا بالاقوياء.

ولقد عرفنا جيداً ماذا يستطيع ان يفعل العرب باتحاد كلمتهم، وكيف ان الخلاف والصراع بين العرب كان هو دائماً طريقهم الى الهزيمة والبوار.

"ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة، انك انت الوهاب".

ايها الاخوة والاخوات، اذا كان لي ان ادعو القائد العام لكي يقدم تقريره عن مرحلة من مراحل المعركة يجب ألا ننسى أو نغفل لحظة عما عاهدنا عليه الله وعاهدنا شعوبنا عليه من اهداف.

عهدنا ان نظل نحمل السلاح حتى تتحرر كل الارض العربية من العدوان والاحتلال.

عهدنا ألا نفرط، او نساوم على حقوق اهلنا شعب فلسطين.

وتحية منا، في هذا اليوم، لرفاقنا في السلاح على الجولان.

تحية منا لاخوتنا في الارض المحتلة، تحية الصمود والثبات، وقد طلع الفجر.

وعهدنا لهم ان لا نفرط ابداً في الامانة. ومنذ اكتوبر [تشرين الاول]، يعرف اخوتنا ان عهدنا هو عهد المحاربين الشرفاء.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ثغرة الدفرسوار

بعد انقضاء ستة وثلاثين عاماً على حرب تشرين ١٩٧٣، ما زالت خلاصاتها موضع درس وتمحيص من جانب المهتمّين بالصراع العربي الإسرائيلي. لقد كانت الحرب الأولى التي يبادر فيها العرب إلى الهجوم مستفيدين من عنصرَي المبادأة والمفاجأة، اللذين تميّزت بهما إسرائيل في الحروب السابقة. وقد برهنت القوّات المصرية والسورية، قيادةً ووحدات مقاتلة، عن كفاءة عالية في مجالات التخطيط الاستراتيجي، وطرق الخداع، والتنفيذ، وإدارة المعارك، ولا سيّما في الأيام الأولى من الحرب. في مقالتنا هذه لن نتطرّق إلى سير المعارك التي حصلت؛ فقد صدر العديد من الكتب والأبحاث والدوريات التي تناولتها بالتفصيل الدقيق. وسنكتفي بالإضاءة على "ثغرة الدفرسوار" أو ما عرف "بالعبور الإسرائيلي المضاد"، لكون هذه العملية بمعطياتها غيّرت من اتجاه الحرب، وكادت تقلب النصر العربي إلى هزيمة كاملة.

وقد أثارت ظروف حدوثها، وسبل معالجتها لغطاً كبيراً، فجرى تقاذف المسؤولية بين أركان القيادة المصرية. وفيما بعد مهّدت نتائجها الميدانية للرئيس السادات وفريقه، لفتح أبواب المفاوضات الواسعة مع الجانبين الأميركي والإسرائيلي.

في اليوم الرابع للحرب، استعادت القوات الإسرائيلية توازنها، فبدأت تراود بعض قادتها فكرة تنفيذ عبور معاكس باتّجاه الضفّة الغربية لقناة السويس، بهدف تطويق مؤخّرة الفرق المصرية المنتشرة في شرقها. وكان الجنرال شارون قد لاحظ من خلال الصور الجويّة،

وتقارير مفارز الاستطلاع، وجود "فتق" في منطقة البحيرات المرّة، بين قوّات الجيش المصري الثاني المنتشر من شمالها حتى مدينة بور سعيد، وبين الجيش المصري الثالث، المنتشر من ذات النقطة وحتى مدينة السويس. لكن القيادة الإسرائيلية غضّت النظر، مؤقتاً، عن تنفيذ العملية لسببين أساسين: الأول، التفرغ للجبهة الشمالية لمعالجة اختراق الفرق المدرّعة السورية لهضبة الجولان، التي تشرف على مستوطنات الحولة وطبريا. والثاني، وجود الفرقتين المدرّعتين المصريتين (٢١، و٤) في غرب القناة كقوّة احتياط

استراتيجي.

في ١٤ تشرين، قرّر الرئيس السادات بعد "الوقفة التعبوية" تنفيذ هجوم مدرّع، بذريعة تخفيف الضغط عن الجبهة السورية. لقد توقفت القوّات المصرية عن التقدّم بعد احتلال خط "بارليف"، بما يتعارض مع خطّة الحرب المشتركة السورية المصرية. وكانت القيادة السياسية المصرية، قد مارست الخداع مع حليفتها السورية أثناء التخطيط المشترك. فقد جرى التنسيق مع السوريين وفقاً لخطة "جرانيت ٢" التي تقضي بوصول القوات المصرية إلى منطقة المضائق. فيما جرى إعداد تلك القوات على أساس خطّة "بدر ١" التي تكتفي بالتوغل لمسافة ١٠ إلى ١٢ كلم شرق القناة. وقد أشار رئيس الأركان المصري حينذاك، الفريق سعد الدين الشاذلي، إلى تلك الخديعة في كتابه (حرب أكتوبر). ونعتقد بأن هذا الخلل أثر سلباً في إدارة الحرب والتنسيق بين الجبهتين. وأدى إلى ارتكاب أخطاء ميدانية قاتلة، منها ثغرة الدفرسوار.

لم يحظَ قرار السادات بموافقة الشاذلي وقائدي الجيشين الثاني والثالث سعد مأمون وعبد المنعم واصل، إذ رأوا أن قيام ٤٠٠ دبّابة مصرية، بمهاجمة ثمانية ألوية مدرّعة إسرائيلية ٩٠٠(دبّابة)بمثابة عملية انتحار. وكان على الدبّابات المصرية الخروج من تحت مظلة

صواريخ "سام"، ما يجعلها مكشوفةً لسلاح الجو الإسرائيلي. حينها ارتأى السادات سحب الفرقتين المدرّعتين من غرب القناة لتنفيذ الهجوم، مخالفاً بذلك أبسط القواعد العسكرية، بحيث أصبحت الجبهة المصرية من دون قوّات احتياطية. وقد انتهى ذلك الهجوم بكارثة حقيقية، في خلال ساعات، فقدت القوّات المهاجمة أكثر من مئتي دبّابة.

أغرت نتيجة المعركة هذه، وخلوّ غرب القناة من قوات الاحتياط، القيادة العسكرية الإسرائيلية لتنفيذ خطة العبور المضاد: ففي ليل ١٥-١٦ تشرين بدأت طلائع فرقة شارون تتسلّل إلى الغرب، من المكان الذي تتصل فيه قناة السويس بالطرف الشمالي للبحيرة المرّة الكبيرة. وهي النقطة التي تفصل بين قارّتي آسيا وأفريقيا على الأراضي المصرية. للوهلة الأولى، تعاطت القيادة المصرية مع خبر العبور بخفّة، معتقدة أن الأمر لا يتعدّى تسلّل بضع دبّابات، سيجري التعامل معها. لكن خلال نهار ١٦ تشرين بدأت الأنباء المقلقة تتوالى وتفيد أن دبّابات العدو تهاجم المواقع الخرسانية لكتائب صواريخ السام، وكان بعضها على عمق ١٥ كلم غرب القناة. وبذلك انقلب المذهب العسكري الإسرائيلي رأساً على عقب؛ فسلاح الجوّ الموكل إليه فتح الطريق للمدرّعات، اعتمد عليها لتفتح له الباب. وفعلاً نجحت دبّابات العدو في اصطياد بطاريات الصواريخ، لتُمكّن الطائرات الإسرائيلية من "التسلّل"، لتنقضّ على القوّات المصرية من الخلف.

تبقى حرب تشرين علامة مضيئة في السجل العسكري العربي، فقد مثّلت أول عملية كيّ للوعي الإسرائيلي المقلقة تتوالى وتفيد أن دبّابات العدو تهاجم المواقع الخرسانية لكتائب صواريخ السام، وكان بعضها على عمق ١٥ كلم غرب القناة. وبذلك انقلب المذهب العسكري الإسرائيلي رأساً على عقب؛ فسلاح الجوّ الموكل إليه فتح الطريق

للمدرّعات. اعتمد عليها لتفتح له الباب. وفعلاً نجحت دبّابات العدو في اصطياد بطاريات الصواريخ، لتُمكّن الطائرات الإسرائيلية من "التسلّل"، لتنقض على القوات المصرية من الخلف.

ولمعالجة الموقف المستجد، اقترح الفريق الشاذلي على الرئيس السادات سحب الفرقة الرابعة، واللواء المدرّع ٢٥ من الشرق إلى الغرب ليلاً، لمحاصرة الألوية الإسرائيلية وتصفيتها. فأقدم السادات على توبيخه، ورفض فكرة سحب قوات من الشرق. وبهذا ارتكب السادات خطأً استراتيجياً للمرّة الثانية. وفي يومي ١٧ و١٨ تشرين توسّعت رؤوس الجسور الإسرائيلية، واندفعت فرقتان مدرعتان إلى غرب القناة، إحداها بقيادة شارون اتجهت مباشرةً إلى مدينة الإسماعيلية في محاولة لعزل الجيش الثاني وتطويقه. فيما تقدّمت فرقة الجنرال "برن" باتجاه مدينة السويس، ونجحت في تطويق الجيش الثالث وقطع طرق إمداداته. في ليل ١٩/ ٢٠ تشرين اندفعت فرقة الجنرال "ماجن" المدرّعة نحو الغرب لإحكام عملية التطويق. حاول الفريق الشاذلي مرةً جديدة، إقناع السادات بضرورة سحب أربعة ألوية مدرّعة من الشرق إلى الغرب، لمواجهة الموقف الخطير، لكن من دون جدوى. وباتت الدبّابات الإسرائيلية ضعفي نظيراتها المصرية في غرب القناة.

عندما توقّف القتال يوم ٢٤ تشرين كان الجيش المصري الذي قاتل ببسالة، في وضع لا يحسد عليه، بسبب القرارت المرتجلة لقيادته السياسية. وأصبح الجيش الإسرائيلي على بعد مئة كلم من القاهرة. وقد عبّر الكاتب محمد حسنين هيكل عن هذا الموقف بالقول: "في حرب ١٩٦٧ هزم السلاح الساسة، وفي حرب ١٩٧٣ هزمت السياسة السلاح".

استغلّ السادات الوضع الميداني الصعب، ولا سيما حصار الجيش الثالث للبدء بمفاوضات عسكرية مع الجانب الإسرائيلي. برعاية "صديقه" وزير الخارجية الأميركي هنري كيسنجر. وتدرّجت تلك المفاوضات من عسكرية إلى سياسية، وأدّت إلى زيارة القدس وانسحاب مصر كلياً من الصراع العربي الإسرائيلي بمقتضى اتفاقيات كامب ديفيد. وبهذا حقّق العدو الأهداف التي توخّاها من حرب حزيران ١٩٦٧، وأصيب النظام العربي بشلل ما زلنا ندفع ثمن تداعياته حتى يومنا هذا. وتحمّل لبنان العبء الأكبر من تلك التداعيات؛ فتأجّجت الحرب الأهلية، وتجرّأت إسرائيل على احتلال عاصمته.

رغم ما تقدّم تبقى حرب تشرين علامة مضيئة في السجل العسكري العربي. فقد مثّلت أول عملية كيّ للوعي الإسرائيلي. نتيجة الصدمة التي أصابت الجيش والمجتمع الصهيونيّين. ويمكن القول إن آخر الحروب العربية الإسرائيلية الكلاسيكية، أفضت إلى نصف انتصار ونصف هزيمة لكلا الطرفين.

نقلا عن "الأخبار" اللبنانية

السادات والإخوان المسلمين

اجتمع الرئيس الراحل السادات مع عدد من رجال الدعوة الإسلامية في مصر، وكان هذا يعد أول لقاء لرئيس مصري برجال الدعوة وذلك في ٢٧ رمضان عام ١٣٩٩ هجرية الموافق ٢٠ أغسطس ١٩٧٩م، وجاء اللقاء ساخنا، وأذكر أنني شاهدته على الهواء حينما بثه التليفزيون المصري، وأضفى عليه السخونة حوار بين عمر التلمساني والرئيس السادات والذي بدأ باستفزاز رئاسي، قال السادات:إن الإخوان والدعوة تعاونوا مع الشيوعيين وفلول من الأحزاب المنحلة والانتهازيين ضد النظام..

وإذا بالسادات يشدد في اتهامه على التلمساني والإخوان غير أن التلمساني لم يسكت وقام بالمداخلة التي شرح فيها كيف أن السفارة البريطانية أرسلت إليه تحدد له يوم ١٢ يونيو ١٩٧٩ الساعة الثانية ظهرا ليلتقي أحد رجال الخارجية البريطانية، فأرسل إليه التلمساني يقول: إذا كانت المقابلة في شؤون صحفية..

فمرحبا، وإن كانت لشؤون سياسية فلا، لأن الشؤون السياسية لا يتحدث فيها إلا مع دولته، وقد أرسل خطاب السفارة وصورة من رده إلي وزير الداخلية وأوضح التلمساني كيف أن الشيوعيين أرسلوا إليه مرات ليحضر بعض اجتماعاتهم وندواتهم فرفض لأن الشيوعيين لا يطمعون في أكثر من أن تظهر صورته في ونشطهم لينشروها على الناس، ولا يمكن أن يلتقي الإسلام مع الشيوعية على الإطلاق.

وأوضح التلمساني كيف أن الحزب الذي يعنيه السيد الرئيس طلب لقاء التلمساني فأجابه بأن الإخوان لا يدخلون تكتلات، وفجأة بعد هذه التبريرات أشعل التلمساني فتيل المواجهة في وجه السادات وقال: لو كان أحد غير محمد أنور السادات رئيس الجمهورية وجه هذا إلي لشكوته إليك، أما أن يقول هذا أنور السادات رئيس الجمهورية فإلي من أشكو؟

أشكو إلى الله.. والمفاجأة الكبري أن السادات لم يثر في وجه التلمساني وقال: وانا أخاف الله.. أخاف الله حقا وأنا أجتمع هنا لا كرئيس جمهورية ولكن ككبير عائلة.. وأنا أذكر وقائع ولم أكون رأيا بعد.. وأطلب أن تسحب شكواك مني إلي الله.. اسحب شكواك يا عمر.

فيقف التلمساني ويقول: أنا لم أشك لظالم أو مستبد إنما شكوت إلي عادل يعلم ما أقول. إن إسلامي- أو تربيتي- وسني لا يسمحان لي بأن أتآمر عليك أو علي النظام وأنا أطلب من سيادتك أن تزيل ما لحق بي من أذي، لقد حقق معي المدعي العام الاشتراكي في شهر مايو في شأن خطاب الحكومة الأمريكية ومضي شهز مايو ويونيو ويوليو وأغسطس ولم يتخذ إجراء ضدي، أنا أطلب لقاء مع سيادتك علي انفراد، فلما سمع السادات هذا من التلمساني، أخذ يدعو للتلمساني بالصحة وأن يجتاز محنته بسلام.

جريدة المصرى اليوم تاريخ العدد الاثنين ١٧ سبتمبر ٢٠٠٧ عدد ١١٩١

عن مقالة بعنوان [السادات يتهم «الإخوان» بالتعاون مع الشيوعيين والتلمساني يرد: «أشكوك إلي الله»]

موقف الإخوان من أنور السادات

نعرض هنا في عجالة سريعة لموقف الإخوان من أنور السادات عندما أصبح رئيسا للجمهورية، متناسين دوره المشبوه في الحرس الحديدي للملك، وبداه الملوثتان بدم عبد القادر عودة ورفاقه، وخدمته الطويلة لسيده عبد الناصر.

أ) يقول عمر التلمساني عن شكره للسادات بعد الافراج عنهم: (وحين خرجنا من السجون ١٩٧١ كان أول شيء فعلته هو ذهابي إلى قصر عابدين لتسجيل شكري للرئيس السادات بافراجه عنا).

ويقول أيضا: (عندما أفرج السادات عنا، ذهبت أنا - باعتباري أمثلهم - وقدمت واجب الشكر وكتبت تقديري وشكري) [٢٦٥].

لا أدري على ماذا يشكره؟ على طول سجنهم؟ أم على قتله لعبد القادر عودة ورفاقه؟

ثم أليس هذا الذهاب لقصر عابدين لشكر قاتل إخوانهم: مذكر بذهابهم من قبل لقصر عابدين لشكر قاتل شيخهم - كما ذكرنا في الفقرتين الحادية عشرة والثانية عشرة من الفصل الأول -؟

ب) اتفاق الإخوان مع السادات:

ذكرنا من قبل - في الفقرة الثامنة عشر "موقف الإخوان من الحكام" - الكلام الصريح للتلمساني؛ انه كان يضع نفسه في خدمة وزارة الداخلية، وكلام مأمون الهضيبي عن مصلحة الحكومة في وجود الجماعة، وانه لاخلاف بين الحكومة والجماعة حول تطبيق الشريعة.

ونحن الآن نلقي مزيدا من الضوء على هذه المفاوضات بين الحكومة والإخوان، واستعداد الإخوان التام للتعاون مع الحكومة - كل هذا بأقلام الإخوان أنفسهم -

يقول عمر التلمساني عن جولات اتفاقه مع الحكومة، وعن استعداده دائما للتعاون. يقول: (وجاءني في عام ١٩٧٣ فضيلة الشيخ سيد سابق، أخبرني أن السيد أحمد طعيمة - وكان وزيرا في عهد السادات - جاءه وأخبره أن السادات على استعداد للقاء بين الإخوان المسلمين المعروفين لا زالة ما في النفوس والتعاون على خدمة الوطن، وكان ذلك قبل استبعاد الخبراء السوفيت بقليل، فرحبت بالفكرة وذهبت إلى فضيلة المرشد حسن الهضيبي الذي كان في الاسكندرية، وأخبرته بحديث الشيخ سيد سابق معي، فقال لي فضيلته؛ إن الفكرة لا بأس بها إن صحت النوايا عند أصحابها، وكلفني أن أستمر في المفاوضات التي سارت سيرا حثيثا وصل إلى الدرجة التي طلب مني فيها الشيخ سيد سابق - طبقا لما طلب منه السيد أحمد طعمية - أن أقوم بتكوين لجنة من الإخوان تقابل السادات في الاسكندرية لوضع الصيغة النهائية للاتفاق، واتصلت بالسيد أحمد طعمية تليفونيا وأعلمته بأسماء الإخوة الذين سيقابلون السادات بناء على طلبه، ثم حدث توقف تام لم أدر ما أسبابه إلى أن التقيت بالشيخ سيد سابق مصادفة عند الأزهر وسألته عن النتائج، فأخبرني أن الجماعة - يقصد السادات - رأوا إرجاء الأمر إلى حين).

ويقول أيضا: (المهم أن الإخوان - وعلى رأسهم فضيلة المرشد - كانوا في قمة المسؤولية والتقدير عند أية بادرة من البوادر تهدف إلى إصلاح هذا الوطن العزيز).

ويقول أيضا: (وفي مرة أخرى طلب منا السيد عثمان أحمد عثمان، وقد كان وزيرا للإسكان حينذاك أن نلقاه بمجموعة منا، فذهبت مع الدكتور أحمد الملط والحاج حسني عبد الباقي والاستاذ صالح أبو رقيق، وقابلناه، فرأي أنه من الخير أن نقدم للسادات وجهة نظرنا

في الإصلاح كتابة، حتى يدرس الأمر في روية وعلى مهل، فكتبنا له وجهة نظرنا في تسع صفحات فولسكاب حملها إليه السيد عثمان أحمد عثمان ثم كانت لي مقابلات مع السيد محمد حسني مبارك - وكان نائبا لرئيس الجمهورية في ذلك الحين - لقيته في منزله في مصر الجديدة منفردا مرارا، ومعي الأستاذ مصطفى مشهور مرات أخرى، لبعض استفسارات عن بعض ما جاء بتلك الصفحات التسع، ثم انتهى الأمر إلى صمت مطبق، وتوقفت اللقاءات، ما هي الأسباب؟ لست أدري، والمهم مرة أخرى هو وثوق المسؤولين بثقل الإخوان في الشارع السياسي، وأثره في الرأي العام، وإلا فما الذي يحمل المسؤولين على مثل هذه التصرفات، والذي أؤكده على وجه القطع واليقين أن الإخوان المسلمين كانوا وما يزالون وسيظلون بفضل الله على مستوى المسؤولية الوطنية، وأنهم أبعد ما يكونون عن التعصب، وأنهم على استعداد كامل لكل حوار من ورائه رفعة شأن هذا الوطن الغالي الحبيب، ومما لا شك فيه أن هذه اللقاءات التي كانت تتم بين المسؤولين تقطع ببراءة الإخوان من الخيانة والعمالة والتبعية) [٢٦٦].

ولا أدري أهذه اللقاءات دليل البراءة أم دليل الأدانة؟

والآن وبعد أن نقلنا كلام عمر التلمساني المرشد العام والمتحدث الرسمي باسم الإخوان فلنقرأ رواية محمد حسنين هيكل حول هذه الاتصالات: (لم يكن ذلك هو الطريق الوحيد الذي اتبعه الملك فيصل في تشجيع ومساعدة اليمين الديني في مصر، وإنما ذهب إلى أبعد من ذلك حين حاول أن يرتب مصالحة بين الرئيس السادات ومجموعة من الإخوان المسلمين، كان الإخوان المسلمون الآن موزعين على عدة مجموعات، كانت هناك أولا تلك القلة التي ظلت على اعتقادها بأن العنف والإرهاب هما أفضل الوسائل لتحقيق أهدافهم، لكن معظم هؤلاء كانوا لا يزالون إما في السجون أو مختفين تحت الأرض، وكانت هناك مجموعة ثانية، هم هؤلاء الذين غادروا مصر هربا من الاضطهاد أو بحثا وراء فرصة عمل في

الخارج، وكان كثيرون من هؤلاء قد جمعوا ثروات طائلة، وأخيرا كانت هناك مجموعة هؤلاء الذين آثروا البقاء في مصر وحاولوا قدر ما يستطيعون أن يواصلوا الدعوة في ظل الظروف القاتمة مهما تكن صعوباتها.

وفي صيف سنة ١٩٧١ نجح الملك فيصل في أن يرتب اجتماعا بين السادات وبين مجموعة الإخوان المسلمين الذين ذهبوا إلى الخارج، وبالفعل فقد عقد اجتماع في استراحة الرئيس في "جاناكليس" في إطار من السرية المطلقة، حضره زعماء الإخوان في الخارج بعد أن حصلوا على ضمان بتأمين دخولهم إلى مصر وخروجهم منها، والتقوا هناك بالرئيس السادات، كان بين هؤلاء الدكتور سعيد رمضان الذي عاش بعض الوقت في السعودية ثم قصد إلى جنيف. حيث رأس منظمة إسلامية ترعاها المملكة العربية السعودية، وخلال المناقشات التي جرت في ذلك الاجتماع قال الرئيس السادات للإخوان الذين قابلهم إنه يواجه المشاكل من نفس العناصر التي قاسوا هم منها - كان قد فرغ لتوه من معركته مع مراكز القوى - ثم أنه يشاركهم أهدافهم في مقاومة الإلحاد والشيوعية. وكذلك فإن عبد الناصر قد خلف له تركة ثقيلة. وقد عرض عليهم استعداده لتسهيل عودتهم إلى النشاط العلني في مصر، بل وكان على استعداد لعقد تحالف معهم، لكن الإخوان الذين قابلهم السادات في ذلك الوقت لم يكونوا قادرين على اتخاذ قرار. ويبدو أنهم لم يكونوا واثقين من احتمالات التعاون معهم، وكانت لهم شكوكهم حول نواياه، وفي كل الأحوال فإنهم حتى ذلك الوقت كانوا يعتبرونه جزءا من ثورة ٢٣/ يوليو التي اصطدموا معها.

ومضت سنوات، والآن أصبح الإخوان المسلمون - شأنهم شأن غيرهم من القوى في مصر - يدركون رغبة نظام السادات في التعاون مع العناصر الدينية، ووجد بعضهم رعاية خاصة من أحد الأصدقاء المقربين للرئيس، وهو المهندس عثمان أحمد عثمان، كان عثمان أحمد عثمان من أغنى الناس في مصر، وكان ينحدر من أسرة أصلها من العريش عاصمة سيناء،

وقد جاء إلى الاسماعيلية ليعمل في المقاولات. ونمت أعماله حتى في الوقت الذي كانت فيه مصر تتخذ نهجا اشتراكيا، وكانت الاسماعيلية التي أصبحت قاعدة نشاطه في ذلك الوقت هي الموطن الذي تأسست فيه جماعة الإخوان المسلمين، فهناك قام بإنشائها مرشدها العام الأول؛ الشيخ حسن البنا سنة ١٩٢٨).

إلى أن يقول عن الإخوان بعد محنة سنة ١٩٥٤: (وفر من استطاع إلى الخارج، ووجد بعضهم مجالا فسيحا في مشروعات عثمان أحمد عثمان الذي كانت ظروف التحول الاشتراكي في مصر قد جعلته يتوسع في نشاطه خارجها، كان على استعداد لأن يعطيهم وظائف في مشروعاته، وعلى استعداد لمساعدتهم في الحصول على أعمال خارج مشروعاته، وبعد تغير الظروف في مصر عاد بعضهم اليها ومعهم بعض ما جمعوه من مال، ولقد عادوا إلى مصر ليجدوا أن عثمان أحمد عثمان قد أصبح قوة كبيرة فيها بقرب الرئيس السادات، كان ما زال صديقا لهم، وكان من حوافزه للاحتفاظ بهذه الصداقة أنه يشاركهم العداء ل جمال عبد الناصر، ولتجربته في التحول الاشتراكي. إلى جانب أنه كان حريصا على الحصول على تأيدهم للسادات كقوة في الشارع تواجه من كان يسميهم – ويسميهم السادات معه – بالناصريين والشيوعيين، ولقد راح يحاول إقناعهم بالتعاون مع السادات، بل إنه كان يبدوا أمامهم مفوضا من السادات بالتعامل معهم. ولقد حمل إليهم تطمينات كثيرة باسم الرئيس، لكن بعضهم كان لا يزال متشككا) [٢٦٧].

وهيكل هذا يبرز دور الملك فيصل وعثمان أحمد عثمان؛ وهو كلام جدير بالتأمل، لأن روايته تتفق معظمها مع أقوال التلمساني، كما ان سير الأحداث الذي عاصرناه جميعا لا يتناقض معها.

ويقول عمر التلمساني عن لقائه بفؤاد محي الدين رئيس الوزراء في عهد السادات: (وكم كنت أود لو تكررت هذه اللقاءات وبهذا الأسلوب الرقيق، ولكن المنية عاجلته فرحمة الله عليه وعلينا أجمعين، ولو قدر المسئولون أن هذا التصرف له أثره في جمع صفوف الشعب لحرصوا عليه وأكثروا منه) [٢٦٨].

وفي لقاء عمر التلمساني المشهور مع السادات، والذي يفخر بأنه واجهه فيه، اعترف التلمساني بشرعية رئاسة السادات، فقد قال له: (لو أن غيرك وجه إلي مثل هذه التهم لشكوته إليك، أما وأنت يا محمد يا أنور السادات صاحبها، فإني أشكوك إلى أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين. لقد آذيتني يا رجل، وقد ألزم الفراش أسابيع من وقع ما سمعت منك) [٢٦٩].

ج) ثم بعد هذه المواجهة! دعاه السادات إلى لقاء خاص في القناطر.

يقول التلمساني: (المرة الثانية كانت بعد ذلك كان لقاءاً خاصا في القناطر الخيرية، وفي هذا اللقاء أضفى علي من الصفات ما جعلني أخجل، وعرض علي عضوية مجلس الشورى واعتذرت) [٢٧٠].

ويقول أيضا: (لا يفوتني أن أذكر إنصافا للسادات؛ أنني يوم أن قابلته باستراحة القناطر الخيرية في ديسمبر، كانون الأول/ ١٩٧٩، أنني وجدت أمامه مجموعة من أعداد "مجلة الدعوة"، وأخبرني أن الاسرائليين يشكون ويحتجون علي هذه الحملات الإخوانية، فأجبته بأن معارضتي لمعاهدة السلام والتطبيع وموقف إسرائيل بأجمعه مبعثه ديني محض، ولا علاقة له بما يسمونه سياسة دولية أو غير دولية، وإن ديني يحتم علي أن أستمر في هذه الحملة، حتى تنجلي الغمة، وراعني حقا أن الرجل بعد الاستماع إليّ، قال لي بمنتهي الصراحة

والوضوح والرضا: أكتب، ولن أنساها للسادات ما حييت رغم ما لقيته منه، يرحمني ويرحمه الله) [٢٧١].

أنت لن تنساها، والمسلمون لن ينسوها، والله لن ينساها. {وما كان ربك نسيا}، وإذا كان دينك يحتم عليك مهاجمة اليهود، أفلا يحتم عليك جهاد الحكام المرتدين الحاكمين بغير ما أنزل الله؟ {أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض}؟!

د) ويقول معترفا بفضله: (وإنصافا للسادات - رحمني ورحمه الله وغفر لي وله - أنه أتاح للإخوان جوا من الحرية لا بأس به، فأعدنا إصدار "مجلة الدعوة"، وكنا نقيم الاحتفالات الدينية في شتى أرجاء القطر).

فتأمل يا أخي المسلم، أهذا ما يطلبه المسلم من حاكم مرتد يحكم بغير الشريعة؟

ويقول أيضا: (أما نظام السادات فقد بدأ بداية طيبة. فأفرج عن المعتقلين السياسيين والمحكوم عليهم سياسيا، وان كان الافراج لم يتم فورا بل طال وقته حتى بلغ قرابة العامين).

ويقول أيضا: (أظنني قد تقدم مني الكلام عن موقف السادات من الإخوان المسلمين، قلت إنه أخرج الإخوان من المعتقلات، وأنه ترك لهم جانبا كبيرا من الحرية في التنقل وإقامة الاحتفالات الإخوانية في المناسبات الدينية، وقد استقبل الإخوان كل ذلك بالحمد والثناء) [٢٧٢].

ويواجهه الأستاذ اسماعيل الشطي بهذا القول في لقاء التلمساني بـ "مجلة المجتمع" فيسأله: (يؤخذ عليك مخاطبة السادات بصورة غير مقبولة إسلاميا: كقولك أتمنى بقاؤك لاقصى مدة ممكنة، ومن المعلوم أن في بقائه البعد عن الإسلام فما هو ردك؟).

فرد التلمساني؛ بأنه لم يفرض عليه أحد أن يأتي للسادات وأنه أتى عن طيب خاطر، وذكر أنه في مصر وحدها يستطيع الإخوان أن يقولوا ما يريدون، وذكر أنه عارض السادات ابتداء من استقبال الشاه وانتهاء بالمعاهدة مع إسرائيل [٢٧٣].

و) وبالطبع يستنكر قتل السادات الذي استقبل معروفه بالحمد والثناء، والذي أضفى عليه من الصفات ما جعله يخجل!

فعندما يسأل في حواره مع المصور (المصور: أين المعتقد الديني في مقتل عثمان بن عفان، وأين المعتقد الديني في حادث الكلية الفنية العسكرية وفي اغتيال د. الذهبي، ثم في اغتيال السادات؟).

التلمساني: (قبل الاجابة أسأل سؤالا: أين المعتقد الديني فيمن يقول انه صلب المسيح، وهذا رسول من الرسل؟ المعتقد الديني بعيد كل البعد عن هذه الجرائم) [٢٧٤].

المراجع

[٢٦٥] عمر التلمساني: مجلة المصور، عدد: ٢٩٨٩، ٢٧/ ربيع الأول/ ١٤٠٢ هـ ٢٢/ ١/ ١٩٨٢م.

[٢٦٦] عمر التلمساني: ذكريات لا مذكرات، دار الطباعة والنشر الإسلامية ١٩٨٥ القاهرة، ص: ١١٣، ١١٤، ١١٥.

[٢٦٧] محمد حسنين هيكل: خريف الغضب، قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات، الطبعة الأولى، في مصر. ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص: ٢٢٧ إلى ص: ٢٢٩.

[٢٦٨] عمر التلمساني: المصدر المذكور، ص: ١١٥.

[٢٦٩] عمر التلمساني: المصدر المذكور، ص ٢١٩، المصور، عدد ٢٩٨٩، ٢٧/ربيع الأول/ ١٤٠٢ هـ ٢٢/ ١/ ١٩٨٢م.

[٢٧٠] عمر التلمساني: مجلة المصور، عدد ٢٩٨٩، ربيع الأول/ ١٤٠٢ هـ ٢٢/ ١/ ١٩٨٢م.

[٢٧١] عمر التلمساني: ذكريات لا مذكرات، دار الطباعة والنشر الاسلامية، ١٩٨٥، القاهرة، ص ١٧٩ - ١٨٠، ص ٢٢٢.

[٢٧٢] عمر التلمساني: المصدر المذكور، ص ١٧٧، ٢١١، ٢١٧.

[٢٧٣] المجتمع، عدد ٧٧٦، في ١٥/ ٤/ ١٩٨٠،

[٢٧٤] عمر التلمساني: المصور، عدد، ٢٩٨٩، ٢٧/ربيع الأول/ ١٤٠٢ هـ ٢٢/ ١/ ١٩٨٢م.

رقية السادات... والدي كان من الإخوان

(رقية السادات).. الابنة الكبرى للرئيس الراحل محمد أنور السادات وكاتمة أسراره. لا تقل عنه دهاء ومكرا، حيث دبلوماسية الإجابة وخشية الوقوع في فخاخ المصائد الإعلامية.

في حوارها مع (ولاد البلد) تكشف رقية السادات أشياء في حياة أبيها، وكذلك تتحدث عن مذكراتها التي تكتبها منذ ربع قرن..

* بداية نحب أن نعرف كيف كانت العلاقة التي كانت تجمع رقية بأبيها الرئيس الراحل أنور السادات؟

أولا فارق السن كان بسيطا بيننا ولم يتعد ٢٣ عاما، ولذلك فالعلاقة التي نشأت بيني وبين والدي كانت حميمة للغاية، وكأنني اخترته واختارني. فالعلاقة ليست بنوة وفقط، وإنما كانت علاقة إخوة وصداقة، كما كان لي بمثابة الأخ والصديق والابن والحبيب، وكنت في كثير من الأحيان أشعر بأنني أمه وتوأم روحه، حيث كان يجمعنا التصاق روحي عجيب.

* وهل نفس الشعور تولد لدي إخوتك جميعا؟

ربما لا يكون بنفس الدرجة؛ لأنني كنت الابنة الكبرى ومدللة زيادة عن اللزوم.. تستطيع أن تقول علاقتي بوالدي مختلفة بعض الشيء نظرا لأنه كان يجمعنا سويا درجة عالية من التفاهم والحب، وعلاقتي بوالدي كانت علاقة معنوية، ولذلك فأنا أحبه حبا شديدا.

* ممكن تحدثينا عن كيفية العلاقة الأسرية بين السادات وأبنائه داخل البيت؟

العلاقة الأسرية كان يجمعها التفاهم الشديد، وفي نفس الوقت كل إخوتي وأخواتي وعددهم سبعة أبناء وبنات، كانوا يشعرون بقرب شديد من والدي، وهي نفس درجة القرب التي كنت أشعر بها، رغم مهام الرئيس الدائمة وانشغالاته والتي لم تنته.

* هل اقترب فيلم "أيام السادات" من حقيقة السادات التي لا تعرفها سوي أسرته؟

الفيلم لم يجسد سوي القليل القليل من حقيقة الرئيس، وأنا قد ذكرت لأحمد زكي أنه من الجفاء أن تنقل حياة الزعيم في أربعين عاما مختصرة فقط في ثلاث ساعات، ولكن يحسب للفيلم أنه استطاع أن ينقل ما صنع الرئيس الراحل للشباب بعدما خلت الكتب المدرسية من سيرته، كما يحسب للفيلم نقل معاناة الرئيس طوال حياته حتى بعد المهات، غير أن الفيلم وقع في محظور أنه قام بأداء تمثيلي لخطب الرئيس مما أفقده بعض الحيوية.

* لكن أحمد زكي برأي النقاد نجح في تجسيد شخصية الرئيس؟!

أحمد زكي فنان رائع بكل ما تحمله الكلام من معان، فقد استطاع أن يقترب من شخصية عمو جمال عبد الناصر في فيلم "ناصر ٥٦"، كما استطاع أن يقترب أيضا من شخصية طه حسين في مسلسله الأيام، ومن الفنانين الذين جسدوا شخصية الرئيس ببراعة الفنان أحمد عبد العزيز في فيلمه "حكمت فهمي" ومحمود عبد المغني في مسلسلة "أوراق مصرية".

* ما هو أكثر موقف شخصي أثر فيك وما زلتي تذكرينه للوالد؟

كنت في سن السادسة عندما اعتقل والدي في معتقل أرميدان بسجن القلعة في قضية مقتل أمين عثمان، وقتها قال لي أحد أقاربي أن والدك مسجون، فأخذت أبكي بكاء شديدا حتى زرته في سجنه، وعندما وجت التعذيب يطول كافة المساجين أصابتي الرعب، فطمأنني الضابط صلاح ذو الفقار وقتها، وقال لي أن والدي لا يعذب مثل باقي المساجين.

* أشيع أنك عازمة علي كتابة مذكراتك الشخصية، فإلي أي مدي صحة هذا الخبر ؟

هذا الخبر صحيح، فأنا عازمة علي كتابة مذكراتي بشكل مفصل، أتعرض فيها إلي ما لم يعلمه الناس عني وعن الرئيس الراحل أنور السادات.

* ولكن ألا ترين أن حياة الرئيس الراحل أنور السادات كانت كالصفحة البيضاء، وليس في حياته غموضا؟

هذا غير صحيح ، ومذكراتي سوف تكشف المستور في حياة الرئيس وفي مماته، وإلا كيف تكون مذكرات وهي لن تسرد جديدا؟. حياة الرئيس فيها الكثير مما لا يعلمه الناس خلاف ما ذكرت، وقد بدأت في كتابتها عندما استشهد الرئيس الراحل أنور السادات، ومازلت أدون فيها حتى هذا الوقت، وسوف تصدر قريبا في السوق وأتوقع أن تُحدث ضجيجا فور صدورها..

* ألا ترين أنك مبالغة للغاية في قولك أنك تكتبين مذكراتك منذ أكثر من ٢٥ عاما، ولم تنته بعد؟

لا توجد مبالغة في كلامي أو حديثي، فالمذكرات التي أكتبها ليست مرتبطة بشخصي، بقدر ما أنها مرتبطة في المقام الأول بحياتي مع حياة الرئيس أنور السادات.

* وما أهم ما سوف تشمله هذه المذكرات؟

المذكرات سوف تحمل الكثير عن علاقات والدي بالقوي السياسية الموجودة آنذاك أو ما يسمي بالجبهة الداخلية، وعلي رأسها جماعة الإخوان المسلمين، وفي القلب من هذه الجبهة المؤرخ محمد حسنين هيكل.

كما أفرد في هذه المذكرات جزء كبيرا عن الرئيس المؤمن في تدينه وصومه الثلاثة أشهر الحرم، واعتكافه في مسقط رأسه بميت أبو الكوم طوال شهر رمضان، وتسجيله للقرآن الكريم بصوته علي شرائط كاسيت، علاوة عن الحديث عن انضمامه لإحدى شعب الإخوان.

* ما هو حقيقة زواج الرئيس من نجمة الإعلام المصري أنذالك "همت مصطفى" والتي كانت كثيرة الحوارات التليفزيونية معه، واكتشف الإعلام بعد ذلك زواجهم ؟

هذا غير صحيح علي الإطلاق، فالرئيس لم يتزوج همت ومن قال ذلك عنه كان يقصد تشويهه، فهي كانت متزوجة آنذاك، فكيف لها أن تتزوج بآخر؟.

* ولكن ما هو الجدل الذي يثيره الحديث في هذه الموضوعات، والتي تحدث عنها كثيرين أمثال هيكل ؟

أولا أنا حديثي تختلف تماما عن حديث هيكل، لأنني من عشت مع الرئيس، أما هيكل فإنسان حقود علي والدي ولا يذكر الحقيقة، وكان يتخيل أن والدي سوف يجعله المستشار الأوحد كما كان وقت جمال عبد الناصر، وعندما لم يلبي والدي رغبته صب جام غضبة عليه، وأطلق لسانه ليتعرض لشخص الرئيس أنور السادات.

* ولكن ما هو الشيء البارز في علاقة الرئيس بالجبهة الداخلية ولم نعرفه، وبخاصة علاقته بجماعة الإخوان المسلمين، ومن ثم تجدينه مهما لدرجة أنك تفردين الحديث فيه في مذكراتك؟

أنت مُصر أن تحقق إنفراد صحفيا، وعلي كل سوف أكشف جديد في علاقات والدي، وسوف أتحدث عن كيفية إنضماعه لجماعة الإخوان المسلمين لفترة طويلة وتركه للجماعة، وفترة احتضانه لها.

أسرار مثيرة

كشف د. محمود جامع الذي كان صديقا ملازما للرئيس الراحل أنور السادات طوال فترة حكمه أنه لم يكن يطلع زوجته السيدة جيهان التي كانت تعرف بسيدة مصر الأولى على قراراته المهمة وأسرار الدولة، "فقد كان لها دولتها وشلتها وأحداثها بمنأى عنه".

وأضاف أنها كانت "تتجسس عليه بمعرفة سكرتيره الخاص فوزي عبدالحافظ وتسببت في تقديم نائبه حسني مبارك لاستقالته احتجاجا على صلاحيات منحت لوزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية منصور حسن على حسابه".

وكان جامع قد قام بتأليف كتاب مثير للجدل قبل عدة سنوات باسم "عرفت السادات" أثار خلافا بينه وبين السيدة جيهان حول الكثير مما تضمنه خصوصا عن دورها في حياة الرئيس الراحل وحجم تأثيرها في دوائر صنع القرار أثناء فترة حكمه.

وقال لـ"العربية.نت" تعليقا على حوار مثير أجراه معها الصحافي المصري المعروف جمال عنايت في قناة "أوربت" الفضائية وأثار ضجة كبيرة، أنها كانت تخطط مع أشرف مروان – زوج منى جمال عبدالناصر – وفوزي عبدالحافظ لتصعيد منصور حسن لمنصب نائب رئيس الجمهورية ليخلف السادات في الحكم بعد ذلك.

وأكد أن الرئيس السادات وجيهان لم يتيما معا كزوجين بصفة دائمة منذ كان نائبا للرئيس، وظلا بعيدين مكانيا حتى اغتياله، فقد كانت تقيم في بيت الجيزة، بينما كان يقيم هو في استراحة القناطر الخيرية ولا يلتقيان إلا يوما واحدا في الأسبوع.

وأضاف أن شيخ الأزهر الأسبق د. عبدالحليم محمود كان وراء تغيير المادة الثانية للدستور والنص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، بعد ضغوط

مارسها على السادات وتهديده بالاستقالة، وأنه – جامع – حضر شخصيا غداء أقامه السادات لشيخ الأزهر في ميت ابو الكوم ليخبره بالاستجابة لطلبه.

وقال محمود جامع لـ"العربية.نت": لقد تم تغيير المادة ٧٧ من الدستور بجعل فترة الحكم مفتوحة وليست مدتين فقط باقتراح من السيدة فايدة كامل زوجة وزير الداخلية الاسبق عندما كانت عضوا في مجلس الشعب، مع مجموعة من "الستات" بالمجلس بإيحاء من السيدة جيهان وقد عرف بتعديل "الهوانم"، لكن السادات كان مصمما على ترك الحكم فعلا بعد انسحاب إسرائيل الكامل من سيناء وقد أخبرني بذلك شخصيا، ولم يكن يريد تغيير تلك المادة.

السادات استجاب لشيخ الأزهر

وتناول جامع ظروف تغيير المادة الثانية الخاصة بالشريعة الإسلامية فقال إن شيخ الازهر السابق د. عبدالحليم محمود قام بتقديم استقالة مسبية وأعلن عدم العودة عنها إلا بتطبيق الشريعة الاسلامية وأن يكون شيخ الازهر بدرجة نائب رئيس جمهورية، وذهب إلى منزله وتخلى عن سيارة "المشيخة" ممتنعا عن الذهاب الى مكتبه وعن تقاضي مرتبه لأكثر من شهرين واضعا السادات في مأزق.

وأضاف: بعد ذلك دعاه السادات إلى ميت ابو الكوم، وهناك تناولت الغداء معهم، وخطب شيخ الأزهر الجمعة في مسجد القرية، وسمعت السادات يقول له: لك ما طلبت، إلا أنه سيجعل مبدئيا وظيفة شيخ الأزهر بدرجة رئيس وزراء، ثم كلف د. صوفي ابو طالب رئيس مجلس الشعب حينها بعمل لجنة سريعة لتقنين الشريعة الإسلامية ولا زالت هذه التعديلات في أدراج المجلس حتى الآن.

وتابع "هذا حدث أمامي من السادات وأشهد الله عليه وبعدها عاد عبدالحليم محمود الى مكتبه". وأوضح جامع أنه تدخل شخصيا لدى السادات للافراج عن الإخوان المسلمين، وبعدها كانت هناك اتصالات بين عمر التلمساني المرشد الأسبق للإخوان وبين السادات، وفي غضون ذلك كان محافظ اسيوط د. محمد عثمان اسماعيل يقوم بواسطة للتقريب بين الإخوان وبين السادات.

السادات كان مدينا للإخوان

ويقول جامع: بصراحة وبتقييمي الكامل، السادات كانت عنده نزعة دينية عالية كفلاح، ولكنه كان يخشى الإخوان وقوتهم. كان مدينا للإخوان لأن حسن البنا مؤسس الجماعة بعد دخول السادات السجن قرر تقديم مرتب شهري لزوجته الأولى إقبال ماضي، ولم يكن السادات قد تزوج من جيهان، لذلك كان يشعر أن عنده دينا نفسيا لهم فقد راعوه وراعوا زوجته وهو في السجن.

وأضاف: لقد شعر السادات بالغيظ من المد الشيوعي والناصري بين طلبة الجامعات فأطلق العنان للجماعات الإسلامية لكي تحجمهم، وبعد أن نجحت في ذلك بدأ يخشى على نفسه منهم.

الإسلاميون انقلبوا عليه بسبب جيهان

ويشير إلى أنه ليس صحيحا أن الاسلاميين انقلبوا عليه بسبب كامب ديفيد كما قالت جيهان السادات في حوارها مع عنايت.. "الانقلاب حصل من أيام سن قوانين الأحوال الشخصية التي قامت هي بدور كبير فيها، كذلك بسبب تدخلها في السلطة. ثم الاتهام الذي وجه لهم بأنهم وراء اذكاء الفتنة الطائفية ولم يكن ذلك صحيحا".

واستطرد جامع أن السادات كان يدرك تماما بأن جماعات العنف ليست من الإخوان، لكنه كان يخاف على نفسه وعلى السلطة منهم وكان يريدهم العمل بهدوء في النور كتيار، لكنه تعب منهم فيما بعد عندما تغيرت سيكولوجيته بعد الانجازات التي حققتها بشعوره بأنه فوق الجميع وكان لا يجب أن يناقشه أحد.

لم يعيشا في بيت واحد

وقال جامع إن السادات كان يحيط نفسه بمجموعة مستشارين ولكنه في النهاية لا ينفذ إلا رأيه. ولم يكن دور جيهان في حياته السياسية بقرار منه "لا أخفيك القول إن معيشتهما مع بعض كزوج وزوجة في بيت واحد لم تحدث. فهو دائما في استراحة القناطر وهي في بيت الجيزة وتذهب له يوم واحد في الاسبوع من أيام كان نائبا للرئيس. لقد خالجني شعور بالتباعد بينهما وكانت تتجسس عليه عندما أصبح رئيسا".

وتابع: عندما أزورها في بيت الجيزة، كنت أراها ترفع السماعة باستمرار وتتصل بفوزي عبدالحافظ السكرتير الشخصي للرئيس، أو يتصل بها هو ليخبرها أن فلانا دخل عند

السادات، فسألته عن مضمون ما جرى بينهما من حوار. لقد كانت لها دولتها وتدخلاتها وشلتها ونشاطاتها، وكان السادات يقول دعوها في دنياها".

ويؤكد جامع أن "السادات لم يكن يطلعها على القرارات المهمة وأسرار الدولة رغم انها كانت تدعي غير ذلك، وهي التي اوقعت بينه وبين نائبه حسني مبارك، فقد كانت تريد منصور حسن بدلا منه، وتسببت هي واشرف مروان وفوزي عبدالحافظ في استقالة مبارك وذهابه الى بيته. ولكن بسبب حب القوات المسلحة له، ذهب السادات إليه وطلب منه أن يعود".

ويصف منصور حسن أنه "شخصية ممتازة ورجل محترم لا يستطيع أحد أن يقول عنه شيئا، محب للسادات تماما ومكث معه بالفعل مدة طويلة". قال ذلك تعليقا عن ترشيح السيدة جيهان له ليكون رئيسا لحزب يطرح أفكار زوجها الراحل.

أرادت تصعيد منصور حسن

وعن سيناريو دفع منصور حسن إلى قمة الدولة في عهد السادات يقول جامع إنه بدأ "بتعيينه وزير دولة لشؤون رئاسة الجمهورية، ليمر بطريقه البريد الذي يأتي للسادات من جميع مصالح الدولة ومنها جهات حساسة بالطبع".

ويستطرد: "كان حسني مبارك بصفته النائب يطالع هذا البريد، فلم يكن للسادات جهد في القراءة مثل عبدالناصر، وخشيت جيهان أن يأخذ السلطة كلها في يده لأن كل التقارير تصب عنده، ففكرت في تعيين منصور حسن وزير دولة لرئاسة الجمهورية، وحثت السادات على اصدار قرار عرف بالقرار ١١٩ بأن تكون صلاحياته الاطلاع على البريد الذي كان يذهب لنائب الرئيس، وبالفعل قام سكرتيره "صلاح" بإبلاغ سكرتير حسني مبارك بذلك".

وتابع محمود جامع: "استقال مبارك احتجاجا، وقام محمد حسنين هيكل بتسريب ذلك لمجلة الحوادث اللبنانية، فنشرت على غلافها عنوانا يقول "الرجل القادم في مصر" بجانب صورة لمنصور حسن. لكن السادات عندما قام بزيارة للقوات المسلحة ووجد حبها لمبارك، طلب منه العودة فرفض وأخبره بأنه مرتاح ولم يكن يحلم بأكثر من هذا، ولكن مبارك استجاب لالحاح الرئيس إلا أنه اشترط الغاء ١١٩ الخاصة بالبريد. فزاد السادات بأنه سيقيل أيضا منصور حسن. وتم بالفعل الغاء القرار ١١٩ وإصدار قرار تعديل وزاري من سطر واحد بإلغاء منصب وزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية.

الرئيس والبابا

هل أحب الأقباط الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أكثر من الرئيسين السادات ومبارك؟ وهل كانت علاقة الرئيس السادات بالبابا شنودة سيئة جدا بالفعل؟ وهل يعيش الأقباط أفضل عصورهم في عصر مبارك كما يردد بعض المسئولين هنا وهناك؟أسئلة عديدة تفرضها طبيعة علاقة الأقباط بالدولة في عهد الرؤساء الثلاثة، وعلاقة البابا تحديداً بكل رئيس منهم، وهي العلاقة المتباينة بالفعل على امتداد ما يقرب من نصف قرن

المعاصرون لعهد جمال عبد الناصر يؤكدون عدم حدوث فتن طائفية بالكم الذي حدث في العصور المتالية، فحركة الجيش التي قامت في ٢٣يوليو ١٩٥٢ قامت على تنظيم سري بحت للضباط الأحرار ولم يكن ضمن هذا التنظيم أي قبطي ينتمي إلى الصف الأول ولقد رحب الأقباط شأنهم شأن بقية أبناء الشعب بقيام الثورة. وتمر الأيام تلو الأيام ويغلب على الأقباط التوجس خاصة حول مشاركة الأقباط في الجيش وتحول التوجس إلي قلق وبشكل خاص بعد أن استبعدت الثورة قادة الرأي من الصفوة القبطية سواء بفعل قانون الإصلاح الزراعي أو بالتأميم

كما أن تغلغل الإخوان المسلمين وازدياد نفوذهم علي رجال الانقلاب العسكري أثار شكوك ومخاوف الأقباط ولاسيما أن معظم أو كل الضباط الأحرار كانوا من الإخوان المسلمين. فكان جمال عبد الناصر يقوم بتدريب التنظيم السري العسكري للإخوان المسلمين وإمداده بالسلاح مع أنور السادات بل إن عبد الناصر نفسه كان عضوا في جماعة الإخوان تحت اسم حركي هو عبد القادر زغلول وذلك وفقا لرواية حسن العشماوي المحامي أحد قيادات الإخوان المسلمين آنذاك

وعندما ألغي جمال عبد الناصر الأحزاب السياسية في يناير ١٩٥٣ مستثنيا جماعة الإخوان المسلمين لم يعد من الممكن لأي قبطي يرشح نفسه للانتخابات أن ينجح مادامت لا توجد أحزاب يستند إليها. ولهذا ابتكر عبد الناصر ابتكارا جديدا لم يمارس من قبل طوال الحياة البرلمانية في مصر منذ القرن التاسع عشر، وهو «تعيين» الأقباط في مجلس الشعب، فقرر إداريا قفل عشر دوائر اختيرت بدقة حيث الوجود القبطي محسوس وملحوظ، وذلك بأن قصر الترشيح علي الأقباط وحدهم. وظل هذا المبدأ معمولا به إلي أن أعطيت سلطة تعيين عشرة أعضاء لرئيس الجمهورية

آنذاك لوحظ أن كل الوزارات التي تولاها الأقباط طوال عهد عبد الناصر كانت من الوزارات الهامشية. وحينما تم الصدام بين جماعة الإخوان المسلمين مع رجال الثورة بسبب التنافس علي السلطة، أراد عبد الناصر أن يزايد علي جماعة الإخوان بإعادة الدولة الدينية بعد حوالي ١٥٠ عاما علي ظهور المجتمع المدني في عصر محمد علي. ولهذا يري الناقد والباحث الراحل غالي شكري أن بذور الفتنة الطائفية وضعت في عهد عبد الناصر ولأن الدين كان حاضراً لأداء وظيفته في عهد عبد الناصر ففي أثناء صراعه مع الإخوان المسلمين راح يزايد عليهم تكتيكيا وذلك بإصدار عدة قرارات مثل جعل الدين مادة أساسية في مختلف مراحل التعليم تؤدي إلي النجاح والرسوب، إنشاء جامعة الأزهر علي غرار الجامعات العصرية مقصورة علي الطلبة المسلمين فقط وذلك لدراسة جميع فروع العلم، كذلك إنشاء دار القرآن في ١٤ مارس ١٩٦٤ لنشر التراث القرآني وإنشاء إذاعة القرآن الكريم

أما إجراءات التأميم التي قام بها عبد الناصر في يوليو ١٩٦١ فكادت تقضي علي نسبة وعدد كبير من الأعمال والصناعات والوظائف المهنية والفنية التي كان الأقباط فيها بنسب عالية وهي قطاعات النقل والصناعة والبنوك. وعين بدل المديرين الأقباط مديرين مسلمين. أما انتزاع والاستيلاء علي الأراضي الزراعية بموجب قانون الإصلاح الزراعي

فكانت خسارة الأقباط فيها بنسبة ٧٥٪. هذا ويلاحظ أنه عند توزيع هذه الأراضي على الفقراء الفلاحين تم توزيعها على الفلاحين المسلمين فقط

وحينما أمم الشركات قرر في خطبته للشعب أن قراراته لم تستلهم من الماركسية أو اللينينية وأعلن أن رسول الإسلام هو أول من نادي بأسلوب التأميم وأنه أبو أول اشتراكية

لتلك الأسباب تم استبعاد الأقباط من الحياة السياسية فلم يكن لهم حضور في مجالس الأمة (الشعب) وكذلك مجلس الشوري، كما انعدم وجود الأقباط في أجهزة الأمن والجامعات والمعاهد التعليمية ولا يوجد محافظ واحد قبطي ولا سفير قبطي ولا مدير أمن ولا مديرو الشركات والبنوك والمؤسسات

وفي هذا الصدد يري الكاتب القبطي جمال أسعد أن ثورة يوليو كانت وحدها قادرة على إنهاء المشكلة الطائفية شكلاً وموضوعاً لكنها تراجعت أمام معركة أهم، هي: «معركة التنمية الشاملة» والثورة لم تأت بالأحسن لكنها أوقفت الأسوأ، حيث استفاد مجموع الأقباط منها بشكل لم يسبق له مثيل منذ استفادتهم بدخول العرب مصر، فكان العهد الذهبي للأقباط هو «عهد الثورة»، بموازاة ذلك أضير البعض من قرارات التأميم باعتبارهم «إقطاعيين» وليسوا أقباطاً، لأن التأميم كان على المسلم قبل المسيحي

وشاطره الرأي الدكتور رفيق حبيب المفكر القبطي قائلاً: لقد شهدت العلاقة بين عبد الناصر والكنيسة ممثلة في البابا كيرلس تطوراً كبيراً مما أثر إيجاباً في الكنيسة وزاد من استقرار الوطن، ونزع فتيل التوترات الطائفية، وهو ما لم يستمر في السبعينيات إذ كان التوتر جزءاً من ظاهرة عامة في المجتمع وليس نتاجاً لسياسة أشخاص بعينهم

وفي تقييمه للحقبة الناصرية يقول القمص صليب متي ساويرس وكيل المجلس الملي وكاهن كنيسة الجيوشي بشبرا كانت تلك الحقبة أفضل بكثير مما تلاها، فبالرغم من النظام الشمولي الذي انتهجه جمال عبد الناصر فإنه كان رجلاً عادلاً يتميز بسرعة الحسم

والقرارات الصائبة ويكفيه أن شارك بـ ١٥٠ ألف جنيه من ماله الخاص تبرعاً لبناء الكاتدرائية، كما أنه جعل دخول الجامعات «لأي مصري» طبقاً للدرجات دون تمييز، فضلاً عن تعيين كل الخريجين، وهو ما عبر عنه الكاتب الصحفي الشهير محمد حسنين هيكل عندما تحدث عن العلاقة بين البابا كيرلس والرئيس جمال عبد الناصر فقال : «كانت العلاقات بين جمال عبد الناصر وكيرلس السادس علاقات ممتازة، وكان بينهما إعجاب متبادل، وكان معروفاً أن البطريرك يستطيع مقابلة عبد الناصر في أي وقت يشاء، وكان كيرلس حريصاً علي تجنب المشاكل، وقد استفاد كثيراً من علاقته الخاصة بعبد الناصر في حل مشاكل عديدة

بدوره قال الكاتب الصحفي صلاح عيسي رئيس تحرير جريدة «القاهرة» إن العلاقة الطيبة التي ربطت بين الرئيس عبد الناصر والبابا كيرلس كان لها مفعول السحر في حل المشكلات القبطية آنذاك، وكان عبد الناصر يحرص علي تأمين التناقضات والصراعات السياسية التي خلفها النظام الملكي قبل الثورة حتي إن جميع التناقضات انتهت في عهده، ويكفي أن مشكلة بناء الكنائس الجديدة لم تعد مذكورة، حتي إن عبد الناصر افتتح الكاتدرائية المرقسية الكبري بنفسه، وكانت هناك ثمة شكاوي بعد الثورة نتيجة إلغاء الأحزاب وحدث تهميش للأقباط في الحياة السياسية ولم ينجح منهم أحد في انتخابات مجلس الأمة. وكان الأقباط آنذاك يعبرون عن أنفسهم عبر الصحافة مثل جريدة مصر وبعدها جريدة وطني، كما شهدت الحقبة الناصرية اختفاء عناصر التطرف الديني وانعكس ذلك علي عدم شعور الأقباط بالقلق

وفي بداية عهد السادات كان التيار الناصري واليساري شبه مسيطر علي البلاد وفي الجامعات والنقابات والأجهزة الإعلامية... وقد أراد السادات أن يضرب هذا التيار فارتمي في أحضان التيار الديني الأصولي وأطلق علي نفسه «الرئيس المؤمن» وكأن الرؤساء السابقين ليسوا مؤمنين. ولا ننسي قوله المشهور «أنا رئيس مسلم لدولة إسلامية». وأفرج السادات عن

جميع المعتقلين الإسلاميين. وشجع بل مول إنشاء تنظيمات للجماعات الإسلامية للوقوف ضد التيارات اليسارية والناصرية في اجتماع عقده مع عديله المهندس عثمان أحمد عثمان ومع محمد عثمان إسماعيل وكان محافظا لأسيوط. وبدأت بعض هذه التنظيمات الإسلامية تنشر ثقافة التعصب والكراهية والتكفير فكان عهده مفتتحا لتوالي الأحداث الطائفية بين المسلمين والأقباط

بدأ السادات بتعديل الدستور المصري -بضغط من الجماعات الإسلامية- بأن أضاف إلي المادة الثانية من دستور سنة ١٩٧١ الإسلام دين الدولة والشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع» ثم عدلت فيما بعد عام ١٩٨٠ لتكون «الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع

وساعد السادات الجماعات الإسلامية علي بسط نفوذها في الجامعات والنقابات وبدأت شكاوي الأقباط تتصاعد وبدأت بذور الفتنة الطائفية تنمو بمباركة السادات. وتبني السادات كل ما هو ديني ودعم هذا التيار الديني لحمايته وتحقيق أغراضه ودعم موقفه وإذا بالرياح تأتي بما لا تشتهي السفن فقد هبت عاصفة التعصب ودمرت طاقم القيادة السياسية باغتيال السادات

ولا شك في أن موقف السادات المتشدد في عملية بناء وترميم الكنائس وتطبيق الشروط العشرة والخط الهمايوني أدت إلي حدوث عنف طائفي أوله حادث حرق الكنيسة في الخانكة ١٩٧٢ . وتشكلت لجنة برلمانية برئاسة المرحوم د. جمال العطيفي. وأصدر العطيفي تقريره كان ضمن توصياته إصدار قانون موحد لبناء دور العبادة. وللعلم فإن هذا التقرير الذي صدر عام ١٩٧٢ مازال حبيس الأدراج إلي يومنا هذا

وشهد عهد السادات اندلاع فتن طائفية عنيفة بدءا بأحداث حرق كنيسة الخانكة في ٨ سبتمبر ١٩٧٢ ومرورا باغتيال القس غبريال عبد المتجلي كاهن كنيسة التوفيقية

(سمالوط – المنيا). ووقعت اصطدامات عنيفة بين المسلمين والأقباط استخدمت فيها الأسلحة النارية وكان ذلك يوم ٢ سبتمبر ١٩٧٨، وطوال عامي ١٩٧٨ و ١٩٧٩ زادت حدة التوتر وتزايدت أعمال العنف وصدرت منشورات عديدة تكفر «النصاري» وتجيز قتلهم والاستيلاء علي أموالهم، وفي أوائل عام ١٩٧٩ أحرقت كنيسة قصرية الريحان الأثرية بمصر القديمة

وفي ١٨ مارس ١٩٨٠ اعتدت بعض الجماعات الإسلامية علي الطلاب المسيحيين المقيمين بالمدينة الجامعية بالإسكندرية. وفي ١٧ يونيو ١٩٨١ نشب عنف طائفي عنيف بين الأقباط والمسلمين في حي الزاوية الحمراء لمدة ثلاثة أيام متالية ووصل عدد القتلي طبقا للتقرير الحكومي إلي ١٧ قتيلا و١١٢ جريحاً. بعد أعتداء بالاسلحة الاتوماتيكية علي مصلين مسلمين قام به قبطيات بسبب تنازع الاقباط والمسلمين علي قطعة أرض

كما قتل ٣ وأصيب ٥٩ في حادثة الاعتداء علي كنيسة مسرة بشبرا بسبب إلقاء قنبلة من الخارج علي الكنيسة

وفي آخر عهد السادات في ٤ سبتمبر ١٩٨١، عزل السادات البابا شنودة وحدد إقامته بدير الأنبا بيشوي، كما قبض السادات علي ١٥٣٦ من مختلف التيارات والاتجاهات السياسية والدينية. ولم يمر شهر ويومان إلا وقتل السادات

وتروي بعض الكتابات أن بدايات حكم السادات اختلفت كلية عن نهايته حيث بدأ عهده بعلاقة تواؤم غير مسبوقة مع البطريرك «الشاب» شنودة الثالث، إذ كان السادات يقيم في شارع الهرم بعد الثورة وكان صديقاً للأنبا يؤانس مطران الجيزة، وكان له صديق آخر هو القمص غبريال، وكان أولاده يلعبون في فناء مطرانية الأقباط بالجيزة، وهو الذي سعي لتعيين القمص غبريال بولس كاهناً فيها – وهو أول كاهن يتقاضي راتباً من الدولة وقدره

٧٥ جنيها، وكان له منزل ملحق بالكنيسة، وهذا المنزل أقام به عدد كبير من المهاجرين خلال حربي ٥٦ و١٩٦٧

كما تتردد بعض الروايات عن أن هناك رجلاً قبطيا قد ساعد السادات عندما كان هارباً من السلطات قبل الثورة وكان متهما في جريمة قتل وكان اسمه عطية صليب، وكان يرسل له في مخبئه الطعام والملابس، وعند تولي السادات الحكم بحث عنه، وعندما علم بموته طلب أن يري أحد أبنائه وخاصة الابن الصغير «جبرا» فاهتم به كثيراً

وظلت العلاقة طيبة بين السادات والبابا حتي لاحظت الحكومة أن هناك تحركات عكسية تماماً عندما بدأ البابا شنودة تكوين مراكز قبطية معارضة للحكومة في الخارج خاصة في أمريكا وكندا، وظلت المجلات الرسمية والنشرات التي تصدرها هذه المراكز علي مدي عشر سنين تهاجم رئيس الدولة ورئيس الحكومة شخصياً . . حتي وصل الأمر إلي صدور قرار رئاسي بتحديد إقامة البابا، وهو ما يعني إبطال صلاحية إمضاء الأنبا شنودة وأختامه في جميع السجلات الرسمية للدولة، فضلاً عن عدم شرعية وجوده في القاهرة أو الإسكندرية ويمكنه الإقامة في ديره بوادي النطرون

وفيما يتعلق بالتمثيل البرلماني للأقباط في عهد السادات فبالرغم من هذا التوتر إلا أن هذا العهد شهد تمثيلاً للأقباط في البرلمان إذ تم انتخاب ثلاثة في أول برلمان في عهد السادات وهو برلمان ١٩٧١م وتم تعيين تسعة، وفي آخر برلمان عام ١٩٧٩م تم انتخاب أربعة وتعيين عشرة

وحاول البابا في بداية عهد السادات الاستفادة من أجواء الانفتاح ومن ثم تدعيم مكاسب الكنيسة فبارك ثورة التصحيح التي لم تكن مجرد قضاء علي مراكز القوي في ذلك الوقت وإنما كانت منهجاً جديدا في الحكم، حتي ظهرت نزعات السادات الدينية وتودده

للتيارات الإسلامية. ومن ثم صار الطريق مفتوحاً للصراع بين القساوسة والمشايخ؛ لتكون سنوات السبعينيات هي أرضية الحسم الديني الذي كان متردداً في الستينيات، مما زاد من حنق الأقباط علي السادات رغم أن البابا شنودة بنفسه وصف علاقته مع الرئيس السادات قائلا: أنا والسادات كنا نتبادل الدعابة والمزاح خلال لقاءاتنا وفي النهاية قلبها جد

لكن يبقي أن شعلة الاحتقان الطائفي بين شقي الأمة بدأت في أحداث الخانكة عام ١٩٧٢م وهي المرة الأولي التي تحرك فيها الأقباط في مظاهرة من ٤٠٠ شخص يرتدي ١٠٠ منهم ملابس دينية كهنوتية بعد أن اتفق مجمع الكهنة بالقاهرة علي إقامة الصلوات بمقر الجمعية التي أحرقت ولم يفلح الأمن في إثنائهم ومضوا سيرًا علي الأقدام مرددين التراتيل ثم انصرفوا دون وقوع حوادث

ازدادت حدة الصدام بين البابا شنودة والسادات بعد ١٧ يناير ١٩٧٧ إثر إصدار البيان الرسمي الأول الذي يعبر عن وصول العلاقة بين الكنيسة والدولة إلي طريق مسدود، وقال فيه: إن الأقباط يمثلون «أقدم وأعرق سلالة» في الشعب المصري «ثم عرج المؤتمر لحرية العقيدة الدينية، وممارسة الشعائر الدينية، وحماية الأسرة والزواج المسيحي والمساواة وتكافؤ الفرص وتمثيل المسيحيين في الهيئات النيابية والتحذير من الاتجاهات المتطرفة، وطالب البيان بإلغاء مشروع الردة واستبعاد التفكير في تطبيق الشريعة الإسلامية

و فيما يتعلق بأسباب زيادة التوتر الديني أثناء حكم السادات أرجع الدكتور رفيق حبيب ذلك إلي هزيمة يونيو وانهيار المشروع الناصري مما جعلها مرحلة توتر علي جميع الأصعدة وانعكس ذلك علي علاقة الكنيسة بالدولة سلباً واشتعلت التوترات علي أماكن بناء الكنائس - وحتي الآن - وكذلك أحداث العنف الطائفي التي هي مستمرة ولم تنته بعد، وساهم في ذلك تقليص دور الأثرياء الأقباط في عهد السادات وكذلك غياب القيادات القبطية الدينية كصوت للأقباط عن الساحة

أما الكاتب القبطي جمال أسعد فيري أن السادات استغل الدين وأسمي نفسه «الرئيس المؤمن الذي يحكم دولة العلم والإيمان» لأنه لم يجد ما يقدمه أمام «الكاريزما الناصرية» مما صبغ المجتمع بصبغة إسلامية أثرت سلباً في العلاقة بين الأقباط وبينه مقارنة بالعلاقة الحميمة مع عبد الناصر

كانت بداية العلاقة بين البابا شنودة والرئيس مبارك «ودية» مثلما ذلك كان حظ علاقة مبارك أغلب تيارات المعارضة في بدايات حكمه، والكل يتذكر تلك الصورة الشهيرة التي تجمع الرئيس مبارك بكل المعارضين الذين اعتقلهم الرئيس السادات في سبتمبر ١٩٨١، وحينها كان البابا شنودة يستحوذ علي المشهد. وبدا أن العلاقة التي اتخذت الشكل الصدامي بين النظام والكنيسة في عهد السادات ستتخذ شكلا مغايرا في عهد مبارك

ورغم أن عهد مبارك شهد مزيداً من الاحتقانات الطائفية نظراً للفراغ السياسي وتغييب الأقباط عن المواقع السياسية المهمة. وعدم اتخاذ عقوبات رادعة في الفتن الطائفية، فإن البابا حرص دوما طوال سنوات الثمانينيات والتسعينيات التي شهدت ذروة التطرف الإسلامي، علي ألا يمارس أي سلوك يزيد الأعباء علي مبارك، ويمكن القول بأن الأقباط في هذه السنوات التزموا الصمت الذي تحول فيما بعد إلي انعزالية، ولم تشهد تلك الفترة أي صعود للأقباط باستثناء المجال الاقتصادي الذي برز فيه عدد من رجال الأعمال الأقباط بدعم واضح من الدولة وكأنه اعتذار ضمني

لكن مع تصاعد أحداث الكشح الأولي والثانية بدأت المؤسسة الكنسية تتجه للعلن للمطالبة الصريحة والاحتجاج وزادت التحركات القبطية في الداخل والخارج من أجل تنفيذ فكرة الحريات الدينية حتي لو عبر التدخل الأجنبي ؛ وهو ما تجلي في أزمة جريدة النبأ «عندما نشرت صورا جنسية لراهب مشلوح» وأزمة وفاء قسطنطين والتي جددت مناخ السبعينيات مرة أخري

ويمكن القول بأن أزمتي الكشح ووفاء قسطنطين تحديدا هما نقطة التحول الرئيسية في المنهج الذي يتبعه البابا شنودة في التعامل مع نظام مبارك، إذ تغيرت بعدهما نبرة الصوت، وبدا الحديث يتردد مجددا عن نية البابا في الذهاب إلي الدير «تعبيرا عن الغضب والحزن مما يحدث»، وعلت الأصوات القبطية المنتقدة لما يتعرضون له من «اضطهاد»، ثم دخل علي الخط أقباط المهجر بما يتمتعون به من حرية انتقاد أعلي يكفلها لهم تواجد غالبيتهم في الولايات المتحدة وامتلاكهم هامش مناورة، بما يتيح لهم الحديث بعنف دون أن يعني ذلك أنهم يعبرون عن رأي البابا حتي لو كان هناك تنسيق خفي بينهم وبين الكنيسة القبطية في مصر

ثم كان الحديث المتصاعد دوليا عن احترام حقوق الأقليات، وتحديداً في الدول الإسلامية، وما صاحبه من صدور أكثر من تقرير من عدة جهات دولية ومؤسسات شبه رسمية في الولايات المتحدة، تشير إلي تعرض الأقباط في مصر إلي مظاهر من الاضطهاد. كل هذا قدم أوراقاً داعمة للبابا شنودة في أن يعلي من سقف مطالبه ومطالب الأقباط، وإن صاحب ذلك شكلا من أشكال المواءمة السياسية التي تظهر في تأييد البابا شنودة للرئيس مبارك رئيسا لمصر في الانتخابات الرئاسية السابقة أو عن رأيه في جمال مبارك باعتباره أفضل من يكون رئيسا لمصر في السنوات القادمة

لكن تلك العلاقة ظهرت في بعض الأوقات في منتهي التناقض فالبابا الذي سارع بالرجوع من رحلته العلاجية في ٢٠٠٥ ليعلن تأييده لترشيح مبارك رئيساً للجمهورية، كما أنه من قام بإعلان تأييده للأخير أثناء انعقاد مؤتمر التجمع الأمريكي بشيكاغو العام قبل الماضي تقديراً لسياسته الحكيمة، وتأكيداً علي حماية الوحدة الوطنية وقيادته مصر بكل حكمة واقتدار، مما جنبها الكثير من الصراعات والانقسامات علي حد تعبيره، بل رفض ذهاب أي أسقف من الكنيسة الأرثوذكسية للمشاركة في المؤتمر لعدم إضفاء شرعية عليه، هو البابا

نفسه الذي قال لأحد الأشخاص يسأله إمكانية الاعتراف للكاهن تليفونيا «لا لا ويطلوا بقي رغي في التليفونات عموما علشان أمن الدولة يسجلكوا!» كما أنه قام بإرسال رسالة بعد أحداث بمها «بالعياط» إلي الرئيس مبارك يطالبه فيها بالكف عما وصفه بـ «اضطهاد الأقباط» في مصر، وهو ما سبب إزعاجاً شديداً في مؤسسة الرئاسة

ويكتمل التناقض بشن البابا هجوماً علي أقباط المهجر بعد مطالبهم بعمل علم قبطي وإنشاء جامعة قبطية، لدرجة أنه وصفهم بالقلة المارقة. ونوه إلي إمكانية مقاضاتهم لأنهم لا حق لهم في التعبير عن أقباط مصر.. ثم عودته ليؤكد مراراً علي وطنيتهم وحبهم للكنيسة المصرية الأم ويبدو أن هذا التصريح جاء بهدف حرصه علي عدم خسارة ورقة ضغط يمكن استخدامها في الوقت المناسب ضد مبارك، ليؤكد هذا كله أن البابا في علاقته مع مبارك يمارس دوره كرجل سياسة وليس كرجل دين فقط

لماذا إستفز السادات البابا شنودة ؟

البابا شنودة الثالث..صلى السادات في مكتبه.. وعبر بالكنيسة المصرية لحظات صعبة من المواجهات الطائفية والتدخلات

وربما كان الرئيس المصري الراحل أنور السادات هو الوحيد من الرؤساء الأربعة ما بعد ثورة يوليو (تموز) ١٩٥٢ بمن فيهم الرئيس الحالي حسني مبارك الذي صلى في قلب الكنيسة القبطية. والقصة المروية وقعت في شهر سبتمبر(أيلول) عام ١٩٧٣ عندما قام السادات بزيارة الجامع الأزهر والكنيسة القبطية في مشهد سينمائي لنفي وجود خلافات طائفية وتكريس مفهوم أنه رئيس للجميع. مسلمين وأقباط. يومها أثبت البابا شنودة أنه أذكى مما قدّر له السادات الذي سعى لاستفزازه متعمّدا، ونظر إلى ساعته أثناء اجتماعهما وأعضاء المجمع المقدس كله حولهما وقال موجها كلامه إلى البابا شنودة لقد حان موعد صلاة الظهر وأريد سجادة صلاة.

وهرع شنودة بنفسه إلى غرفة مجاورة وجاء بسجادة صغيرة فرشها بنفسه وسط مكتبه للسادات وخرج الكل من القاعة، ولكن شنودة لم يخرج وإنما وقف بعيدا وقد شبك يديه أمام صدره في خشوع وانتظر السادات حتى أتم صلاته.

كان السادات ينظر إلى البابا ويحاول تقدير ردة فعله، فهو حاول استفزازه لكي تظهر خفايا مشاعره، لكن شنودة كما روى السادات كان «ناصح وغويط» (عميق السريرة)، ومع ذلك فقد وافق السادات للبابا شنودة على ضعف عيد الكنائس التي اتفق عليها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر مع بابا الأقباط السابق كيرلس، وعندما لاحظ السادات دهشة المستمعين إليه، رد بقوله:«شنودة ظل طول الوقت يقول لي أنت رئيسنا وأنت زعيمنا وأنت رب العائلة».

وهكذا، ربما لم تعرف الكنيسة المصرية في تاريخها الذي يمتد مئات السنين شخصية مثيرة للجدل مثلما هو الحال بالنسبة للبابا شنودة الثالث، بطريرك الكرازة المرقصية وبابا الإسكندرية، الذي يحمل رقم ١١٧ في تسلسل الآباء الذين جلسوا على كرسي البابوية.

وفيما يقول أتباعه إن البابا البالغ من العمر ٨٤ عاما يتمتع بالكاريزما التي عادة ما تصاحب الشخصيات ذات الشعبية الجماهيرية. يصفه البعض بالراهب المقاتل والسياسي المخضرم والمحنك. لم يفلح معارضوه سواء داخل لكنيسة أو خارجها أو محاولات البعض الانشقاق على سلطته الكهنوتية ولا حتى المشاكل الصحية التي تعرض لها مؤخرا وأجبرته على الاعتذار عن عظته الأسبوعية (يوم الأربعاء) واضطراره للسفر إلى الولايات المتحدة الأميركية (زارها ثلاث مرات هذا العام) لتلقي العلاج في مسح الرصيد الشعبي الذي يحظى به البابا لدى أتباعه وشعب الكنيسة القبطية. للبابا شنودة شخصية مرحة وصارمة.ومحبة للحياة منحته موقعه الرسمي على رأس الكنيسة، بَيْدَ أن ظروف المرض، وما أحاط بها، دفع البعض إلى التساؤل عما إذا كان الرجل معنيا بترتيب الأمور لمن يأتي بعده أم أنه سيترك تساؤلات عديدة عن هوية خليفته؟ في كل الأحوال لن تحظى الكنيسة لأسباب عديدة برجل مثل شنودة، فهو نجح في تطويع الكنيسة بسلاسة يحسد عليها، ناهيك من عبور العديد من الأزمات الخاصة بالفتنة الطائفية وشكاوى الأقباط المتكررة من تعرضهم لتميز دفين قالوا انه تمثل في حرمانهم عمدا من بعض المناصب والإدارات الحكومية بشقيها المدني والعسكري. ولم يكتف شنودة بدور الكاهن الذي يقدم لأتباعه الخلاص ويستمع في غرفة مغلقة إلى اعترافاتهم بالخطيئة، بل نقل الكنيسة إلى الشارع على نحو مذهل لم تشهده طوال تاريخها العريق.

وفيما يسعى بعض قيادات أقباط المهجر لتحريض دوائر غربية عديدة أبرزها الإدارة الأميركية على التحرك لوقف مزاعمهم عن شكاوى الأقباط والتلويح بإمكانية التأثير على

تدفق المعونات الاقتصادية التي تقدمها الولايات المتحدة بقيمة أقل من ملياري دولار سنويا، فلقد ابتعد البابا عن هؤلاء مفضلا الحفاظ ببراعة على خطوط اتصاله مفتوحة مع مؤسسات الدولة خاصة الرئاسة والحكومة.

في الانتخابات الرئاسية الأخيرة دعا البابا أتباعه إلى التصويت لصالح إعادة انتخاب الرئيس مبارك لفترة ولاية خامسة تنتهي عام ٢٠١١، وربما لا يمر أسبوع دون الإعلان عن اتصال أو مكالمة هاتفية أو برقية متبادلة بين شنودة ومكتب الرئيس، إما تهنئه بمناسبة محلية أو قومية كدليل على أن شنودة ما زال يحظى أيضا بتقدير الرئيس وثقته. في مشهد مهيب يبدو متصادما مع هذه العلاقات، وربما يعكس مدى شعور الرجل باستيائه مما وقع أخيرا في مدينة الإسكندرية من أحداث طائفية خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) عام ٢٠٠٥، بكى البابا لمدة نصف دقيقة وهو يلقي عظته الأسبوعية أمام مئات الأقباط الذين هالتهم دموعه وصفقوا له مرتين عندما قال ما نصه: «نحن في كل ما يحيط بنا من متاعب إنما نطرح المشكلة أمام الله ونتركها بين يديه ونقول لتكن مشيئتك إن أردت أن تحل المشكلة لتكن مشيئتك وان أردت أنّ بركة صليب نحمله فلتكن مشيئتك».

لم تكن تلك هي المرة الأولى أو الوحيدة التي يلجأ فيها البابا إلى طلب المدد والدعم من السماء في مواجهة شكاوى الأقباط، بَيْدَ أن البابا عن يقين لا يعرف عدد أتباعه على وجه الدقة، فلأسباب كثيرة لم تكشف السلطات المصرية عن الإحصائيات الدقيقة الخاصة بعدد الأقباط وتوزيعهم الجغرافي.

ويشكل الأقباط أكبر الطوائف المسيحية في الشرق الأوسط، لكنهم أقلية في مصر، حيث يبلغ عددهم نحو ستة ملايين من أصل عدد السكان البالغ ٧٣ مليونا، وفقا

للإحصاءات الرسمية، إلا أن تقديرات الكنيسة القبطية تؤكد أن عددهم يزيد على عشرة ملايين.

سلطة البابا في الكنيسة غير قابلة للنقاش، لكن المنشقين عنه باتوا يمثلون تيارا متحديا لهذه السلطة وما تمثله، فالبابا لا يتسامح مع من خرجوا عن عباءته أو شقوا عصا الطاعة على سلطته كراع للكنيسة ولشعبه القبطي كما يحلو له ترديد العبارة لوقعها ومغزاها.

يقول المفكر المصري طارق حجي لـ«الشرق الأوسط» إن الكنيسة المصرية في الأصل من الداخل تشبه الدين اليهودي ومغلقة لا تريد أحدا أن يدخلها وفيها تراث من الطاعة العمياء لا يقل عن ضراوة حكام المماليك وما بعدهم.

ويرى حجي الذي تربطه بالبابا شنودة صداقة واسعة، أن البابا هو تتويج لكل ذلك ولكنه لا يطيق الخلاف في مؤسسته، لافتا إلى أنه عندما حاول الإصلاح بينه وبين الدكتور ميلاد حنا رفض البابا رفضا تاما.

وأضاف حجي: «وأنا لا أتخيل أن رأس الكنيسة لا يسامح فهو في الدرس يقول ما قاله السيد المسيح،عليه السلام، إذا ضربك أحدهم على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر.. لقد أقيم داخل الكنيسة هيكل سلطوي يشبه الحكومات وأصبحت حكومة داخل الحكومة.. أنا ومن أعرفهم من الأقباط انزعجنا من تأييد شنودة لمبارك لأن من يملك التأييد اليوم، غدا يملك الرفض وهذا ما كان يرفضه السادات».

ومثلما تقاطع الدولة جماعة الإخوان المسلمين المحظورة رسميا من ممارسة العمل السياسي منذ عام ١٩٥٤، فليست للبابا شنودة أي علاقة بالجماعة.

يلفت محمد مهدي عاكف مرشد الإخوان لـ«الشرق الأوسط» أنه لا توجد علاقة أساسا بين الطرفين. لماذا؟ يقول عاكف: لا أسعى للقاء أحد وهو لم يطلب لقاءنا. إذن هل

هي قطيعة مصطنعة؟ يرد عاكف باقتضاب: «يُسأل عنها هو.. كنا نشارك في حفلات الإفطار الجماعي لكنه لم يلب دعوتنا».

ويؤكد تقرير الحالة الدينية الذي يصدر عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية أن وصول شنودة إلى كرسي بابا الإسكندرية والكرازة المرقسية، أدى إلى عملية تحول نوعي في السلطة الكنسية، ودورها وعلاقتها بأتباعها، وبالكنائس المسيحية الأخرى، التي تتبنى مذاهب أخرى كالكاثوليكية، والإنجيلية، وغيرها، معتبرا أن شنودة وصل ومعه مشروعه الفكري والاجتماعي، والتأويلي المتميز في المسار التاريخي لبابوات الأقباط الأرثوذكس، ومما ساهم في دعم المشروع السمات الكاريزمية للبابا شنودة، وشخصيته الحاسمة، وذكائه المميز.

واتسعت وفقا لنفس التقرير خلال عقود السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات دائرة نفوذ الكنيسة الأرثوذكسية في ما وراء البحار من خلال انتشار الكنائس الأرثوذكسية في الولايات المتحدة، وكندا، وإنجلترا، وفرنسا، واستراليا، وذلك كجزء من الاهتمام برعايا الكنيسة من أتباعها ذوى الجنسيات الغربية ـ ذوى الأصول المصرية ـ مما أدى إلى رسم شخصيات كنسية للعمل في هذه المواقع الجديدة. وساهمت عوامل كثيرة في التحام الأقباط على اختلاف انتماءاتهم المذهبية والكنسية بالمؤسسة، وبالسلطة الكنسية، مما أدى، بالتالي، إلى صعود الدور البارز الذي يمارسه الاكليروس في كافة مناحي الحياة اليومية والسياسية والعقيدية للمسيحيين المصريين، وهو ما انعكس على مشاركة الأقباط السياسية وتفاعلاتهم الاجتماعية، وذلك على الرغم من ظهور بوادر ومؤشرات لحركة سياسية للأقباط للمشاركة في الانتخابات العامة مؤخرا في ظل ضغوط وقيود عديدة.

وفيما أدت مواجهات الدولة العنيفة مع الحركة الإسلامية الراديكالية والإخوانية إلى دعم بعض المواقع التبطية إزاء الحركة الإسلامية العنيفة، فقد كشف الاندماج بين المسيحي، والكنيسة كجزء من نواتج الضغوط الدينية والاجتماعية، والعنف، عن الدور المتسع للسلطة الدينية الكنسية، وذلك نتيجة لشيوع بعض الاتجاهات المحافظة والمغالية في دوائر الإدارة، والمؤسسات المختلفة. مما أدى إلى صعود الدور الذي تلعبه المؤسسات الدينية المسيحية واللارسمية على المستوى الاجتماعي، والثقافي.

وعلى الرغم من أن تغييرا بدأ يحدث في الكنيسة الأرثوذكسية وبدأت بعض التفاعلات الداخلية تظهر علانية في السجالات الصحافية، بما قد يشير إلى بعض المشاكل أو خلافات في الرؤى حول أدوار الأكليروس خارج إطار طقوس وتأويلات النصوص الدينية المقدسة، فلا يزال الفقه الغالب، أو بتعبير أدق التعاليم ذات السيطرة، والنفوذ، والتداول هي تعاليم البابا وعظاته المختلفة، دونما درس لها، ولاتجاهاتها.

يقول محمد حسنين هيكل في كتابه «خريف الغضب» الذي يؤرخ لبداية ونهاية عصر الرئيس الراحل السادات إن المسرح كان مهيأ لدور يقوم به رجل يستطيع أن يتحمل مسئولياته، وكان شنودة يملك الكثير من المقومات اللازمة فهو كان شاباً ومتعلما وكاتبا وخطيبا متمكنا وكانت شخصيته قوية إلى جانب كثير من صفات الزعامة وقوة احتمال ومثابرة لا شك فيها.

لكن سيطرة البابا على الكنيسة بدأت تتعرض لاختبارات قاسية وغير معتادة كان آخرها بروز أول حركة عصيان دينية داخل الكنيسة يقودها الأنبا ماكسيموس الأول راعي كنيسة المقطم وأحد أبرز تلامذة الأب متى المسكين الذي توفي مؤخرا من دون أن ينهي خلافه التاريخي مع البابا شنودة.

وألقى ماكسيموس البالغ من العمر ٥٧ عاما بحجر ثقيل في مياه الكنيسة القبطية، معلنا إنشائه لمجمع مقدس موازٍ للمجمع المقدس التابع للكنيسة القبطية، ومقدما نفسه، ليس فقط كمنشق على سلطات الكنيسة ورأسها، بل أيضا كرجل دين إصلاحي يرغب في مراجعة كل الملفات المالية والاقتصادية والاجتماعية والعالقة في الكنيسة.

وبينما كان البابا يتعافى في رحلته العلاجية العام الماضي في ألمانيا والولايات المتحدة، أعلن ماكسيموس انشقاقه، لكنه يجادل دوما بأن الصدفة وحدها لعبت دورها في تزامن هذه الخطوة مع وفاة الأب متى المسكين، وسفر البابا شنودة للعلاج، مشيرا إلى أنه عمليا منشق على الكنيسة منذ نحو ٢٧ عاما بمحض إرادته كنوع من الاحتجاج على ما وصلت إليه من تدهور في الآونة الأخيرة.

ومع أن البعض اعتبر أن خطوة ماكسيموس المثيرة للجدل تأتي على خلفية محاولة رد الاعتبار لمعلمه الروحي الأب متى المسكين، إلا أنه يرفض لقب منشق.

لكن البابا وصف الرجل بأنه مهرطق وسلوكياته لا تتفق مع تعاليم الكنيسة، مشيرا إلى أن حياته الشخصية أيضا مليئة بما يجعله خارج الكنيسة على اعتبار أنه متزوج ومحذرا رعايا الكنيسة القبطية من التعامل معه.

ولد نظير جيد روفائيل، وهو الاسم الحقيقي والأصلي للبابا، في الثالث من شهر أغسطس (آب) عام ١٩٢٣ كثامن طفل لأسرة ثرية بقرية سلام بمحافظة أسيوط في صعيد مصر، حيث كان أبوه يمتلك نحو ١٢٥ فدانا من أجود الأراضي الزراعية كما كان جده يملك خمسمائة فدان. وتوفيت والدته، بلسم جاد، بعد ولادته مباشرة متأثرة بمرض حمى النفاس الذي كان سائدا آنذاك في جنوب البلاد بسبب ضعف الإمكانيات الصحية، مما دفع والده إلى البحث عن مرضعات له. وتتكون أسرته من خمس شقيقات متزوجات وشقيقين هما روفائيل الذي عمل كموظف وشوقي الذي عمل كأستاذ أول للفلسفة.

وبعدما انتقل أخوه الأكبر روفائيل إلى مدينة دمنهور بحكم عمله كموظف بوزارة المالية أصرت زوجته جوليا حليم (توفيت عام ١٩٦٧) على مصاحبة الطفل نظير والاعتناء به، حيث تم إلحاقه بمدرسة الأقباط الابتدائية بدمنهور.

لكن المرحلة الأهم في حياة نظير بدأت فعليا مع انتقال أخيه إلى السكن في حي شبرا (شمال القاهرة) مما استتبعه نقل نظير إلى مدرسة الإيمان الثانوية، حيث انبهر وهو في مرحلة المراهقة بشخصية السياسي القبطي الشهير مكرم عبيد الذي كان خطيبا مفوها لا يشق له غبار. وترسَّم نظير خُطى عبيد وبدأ في تعلم الشعر والخطابة والتردد على دار الكتب خلال العطلات المدرسية، وكان أصدقاؤه يلقبونه بـ«نظير كليفر»، أو الماهر. وأحبَّ نظير الزي الكنسي التقليدي، وأجواء الكنيسة وتقاليدها.. وغالبا ما كان رفقاؤه يُفاجأون به وهو يهرول باتجاه أحد الكهنة للسلام عليه وتقبيل يده طمعا في نيل البركة. ودفعه حب الكهنة إلى الالتحاق بخدمة كنيسة الأنبا أنطونيوس وهو في السابعة عشر من عمره حيث أكد نبوغه وكان ترتيبه الأول في المسابقات التي اعتادت مدارس الأحد التابعة للكنيسة على إجرائها.

وكان نظير يطمح للعمل طبيبا، لكنه عدل عن ذلك. وبعدما أنهى بتفوق دراسته الثانوية التحق بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) حيث منحته الدراسة في قسم التاريخ الفرصة للإطلاع على التاريخ الفرعوني والإسلامي والتاريخ الحديث وحصل على الليسانس بتقدير (ممتاز) عام ١٩٤٧ وقبل عام واحد من نيله الشهادة الجامعية بدأ في تعزيز ثقافته الدينية بشكل أكاديمي حيث التحق بالكلية الإكليركية. وبعد حصوله على الليسانس بثلاث سنوات تخرج من الكلية الإكليركية التي حصل منها على شهادة البكالوريوس عام ١٩٥٠ وعين مدرساً بها. وطبقا لما تقوله عدة مصادر قبطية فقد كسب نظير محبة الجميع، وكان محط اهتمام وتقدير زملائه في الجامعة، نظرا لتمسكه بقراءة الإنجيل طيلة الوقت، حتى أنه كان

يقرأه أثناء ركوبه الترام. وبالإضافة إلى ذلك كان حريصا في فترة العطلات الدراسية على الذهاب إلى أحد الأديرة للخلوة الروحية.

وخدم نظير، بعد التخرج، كضابط احتياط، بعدما كان قد التحق بالجيش أثناء وجوده في كلية الآداب، وبقي في سلك المتطوعين ثلاث سنوات، وكان من أوائل الخريجين في ضباط مدرسة المشاة بالقوات المسلحة المصرية عام ١٩٤٧، وشارك في حرب عام ١٩٤٨ في فلسطين، وواجه العصابات الإسرائيلية الشهيرة ومنها «أرغون» و«الهجاناه» وغيرهما. وبعد الجيش عمل مدرسا للغتين العربية والإنجليزية ثم كرَّس نفسه للخدمة الكنسية، فخدم في بيت مدارس الأحد بالجيزة.. ورويدا رويدا اكتملت ملامحه كراهب، بعدما لاحظ شقيقاه أنه يقوم بعملية تحول جذري في حياته كلها، حيث بدأ يأكل من صنف واحد من الطعام ويعكف على قراءة عشرات الكتب التي تتعلق بحياة الرهبان في الأديرة والكنائس.

وفي الثامن عشر من شهر يوليو (تموز) عام ١٩٥٤ اختمرت الفكرة في ذهنه تماما، فقرر التخلي عن حياته المدنية التقليدية والذهاب إلى «دير السريان» بـ«وادي النطرون» حيث ترسَّم هناك كراهب باسم أنطونياس السورياني، وأمضى «شنودة» عشر سنوات كاملة من دون أن يتجاوز أسوار الدير في عزلة تامة عن العالم الخارجي الذي ظلت صلته به قاصرة على بعض الخطابات المتبادلة مع أشقائه وأصدقائه المقربين وإمعانا في هذه العزلة أختار «نظير» مغارة لنفسه تبعد عن الدير مسافة كبيرة.

ثم اختاره قداسة البابا الراحل الأنبا كيرلس السادس سكرتيراً خاصاً له وممثلا له في لجان المجمع المقدس. غير أنه عاد إلى الدير مرة أخرى. وأراد البابا أن يرسمه أسقفاً على الكلية الإكليريكية ليستفيد من خبرته في العلوم الدينية، فاستدعاه إلى القاهرة بحجة مناقشة بعض النواحي التنظيمية والإدارية وعرض عليه الأمر ولكن «شنودة» اعترض بشكل مطلق.

وبعد ساعتين من المناقشة المطولة بين الرجلين قال شنودة «أنا لا أستحق ..أنا أريد أن أعيش في البرية التي وهبت نفسي من أجلها». لكن البابا لم يقتنع بالرفض واتفق مع الأنبا ثاوفيلس على رسامته بدون علمه، وناداه الأنبا ثاوفيلس لوداع البابا قبل عودته إلى وادي النطرون، وعندما همَّ بتقبيل يد البابا فوجئ بيده هو والأنبا ثاوفيلس على رأسه، وقال له: لقد رسمتك أسقفاً على الأكليريكية باسم الأب والابن والروح القدس.

وهكذا رسم رغماً عن أنفه في الثلاثين من شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٦٢، أسقفاً للمعاهد الدينية والتربية الكنسية في مختلف المحافظات المصرية وأصبح اسمه الجديد الأنبا شنودة الثالث الذي ما زال يلازمه حتى الآن، علماً بأن البابا شنودة الأول هو رقم ٥٠ في البطاركة فيما البابا شنودة الثاني يحمل رقم ٦٥. وفي التاسع من شهر مارس (آذار) عام ١٩٧١ توفي البابا كيرلس السادس ثم أجريت انتخابات تقدم إليها عدد من المرشحين بعد استفتاء للأقباط في معظم الكنائس، وتم انتخاب ثلاثة فقط من رهبان المجمع المقدس لاختيار البابا الجديد من بينهم.

وكتقليد يستهدف الإيحاء بوجود دور للعناية الإلهية في عملية الاختيار تم وضع أسماء الرهبان الثلاثة الذين حصلوا على أعلى الأصوات داخل صندوق صغير، ثم مد طفل صغير السن والحجم يده المرتعشة وسط الظلام الدامس لكي يسحب إحدى الورقات الثلاث التي كان اسم شنودة من بينها ليعلن وبشكل رسمي تحول لقب شنودة في الرابع عشر من شهر نوفمبر(تشرين ثاني) عام ١٩٧١ من الأنبا إلى البابا السابع عشر بعد المائة في تاريخ الكنيسة المصرية.

جذور الأزمة.. وأسبابها

فقد أرسل أحد المديرين التابعين لوزارة الأوقاف في مدينة الإسكندرية تقريرًا إلى وزير الداخلية ووزير الأوقاف، وكتب عليه: عاجل جدًا.. مهم جدًا.. سري جدًا.. قال فيه: إن البابا بعد أن حضر اجتماعا موسعًا، دعا إلى عقد اجتماع على نطاق ضيق، ضم عددًا من الشخصيات القبطية العامة، وتحدث فيه في أمور سياسية، وعن أوضاع الأقباط، وأنهي التقرير بعبارة «اصحوا يا مسلمين.. انتبهوا يا مسلمين».

وكانت المفاجأة، يواصل غريغوريس، أن هذا التقرير انتشر بسرعة وكان يتلي في بعض المساجد والأماكن، وترتبت عليه أحداث طائفية،.وشُكلت لجنة تقصي حقائق من أعضاء مجلس الشعب برئاسة الدكتور العطيفي عليه رحمة الله – يقصد جمال العطيفي – وهي اللجنة التي أصدرت قانون الوحدة الوطنية، وهو قانون عارضناه نحن الأقباط، وأثار استياءنا، لأننا لا نريد قوانين تنظم العلاقات أو الخلافات مع إخوتنا المسلمين، لأننا أبناء وطن واحد، بل اعتبرنا هذا القانون تأكيدًا للخلاف الطائفي، وقلنا رأينا هذا وضربنا مثلاً بما كان يحدث أيام الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، عليه رحمة الله، عندما كانت تبلغه أنباء عن بعض الاحتكاكات، أو الحوادث الطائفية.

كان يكتفي بأن يطلب منا، أن نجتمع برجال الدين المسلمين نزورهم ويزورونا فقط، ولم يشكل لجانًا أو يصدر قوانين، المهم انتهت لجنة تقصي الحقائق إلى نتيجة وهي أن ما جاء في التقرير غير صحيح بالمرة، كما أصدر الاتحاد الاشتراكي بيانًا بالمعني نفسه.

واعتقدنا أن الأمور وضعت في نصابها، إلا أننا سمعنا من بعض المسؤولين أن الرئيس السادات مقتنع تمامًا بكل ما جاء في التقرير، أما عملية النفي فمسألة سياسية تمت للتهدئة، والسادات استقر في قلبه وعقله أن البابا يحاول تكوين زعامة سياسية له بين الأقباط، وكان يقول باستمرار – أي السادات: «أنا عايز أعرف هو أنا اللي باحكم البلد، ولا شنودة»!

ولذلك كانت حساسيته من البابا عميقة، مستندة إلي إيمانه بصحة ما جاء في التقرير وتزداد باستمرار دون سبب مفهوم. وبتاريخ ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٨٠، اجتمع السادات بمناسبة عيد ميلاده مع الأعضاء الأقباط في مجلسي الشعب والشوري، وعددهم واحد وعشرون عضوًا وحضر الاجتماع عثمان أحمد عثمان، وفي الغرفة التي حدث فيها الاجتماع كان الرئيس يعلق صورة لمطران المنوفية، وفجأة نظر للصورة وقال: «الولد ده كنت بحبه ولكن دلوقتي لأ».

وأخذ يهاجم البابا شنودة دون أن يذكر اسمه، فقالت له إحدي الحاضرات: يا سيادة الرئيس، إذا كنت عملت مبادرة مع إسرائيل، ماتقدرش تعمل مبادرة مع الكنيسة؟

فقال لها: «أنا بحب الأقباط والأقباط بيحبوني،إنما أنا ضد راجل واحد فيهم».

وكان يقصد البابا، وهذه الأزمة والحساسية تجعلان من المستحيل من الناحية المنطقية أن يحدث تعاون وتنسيق بين الرئيس والبابا ضد الجماعات الدينية الإسلامية.

«وحتي لو كانت العلاقة بينهما علي أحسن ما يرام وطلب السادات مثل هذا الطلب، فكان سيقابل بالرفض التام، فنحن لا نتعاون مع أحد ضد إخواتنا المسلمين، مهما حدث بيننا وبين بعضهم من سوء تفاهم».

هذا نص شهادة الأنبا غريغوريوس، وقد سألته: هل كان لموقف البابا من منع حج الأقباط إلي القدس أثر في توتر العلاقة بينه وبين السادات.

قال: لا نستطيع أن نقطع برأي في هذا، وموقف البابا أساسه عدم موافقة الحكومة الإسرائيلية علي إرجاع دير السلطان إلي الكنيسة، وقد طلبنا مرارًا من الرئيس السادات أن يستغل هذا الموقف، ويضغط علي بيجين. لكنه لم يفعل ولا نعرف إن كان قد اعتبر موقف البابا عملاً موجهًا ضد الثقافة مع إسرائيل أم لا، إنما البابا اتخذ هذا الموقف بسبب دير السلطان.

وفي النهاية أنبه إلي حدوث تحولين مهمين في موقف الإخوان من البابا.. وموقف البابا من إسرائيل بعد اعتقالات سبتمبر ١٩٨١، التي قام بها السادات، وعزله البابا.. فقد كان الإخوان عبر مجلتهم الشهرية الدعوة، يهاجمون البابا ويتهمونه بإشعال الفتنة ولكن بعد عودته لمنصبه زاره للتهنئة في الكنيسة مرشد الإخوان، المرحوم عمر التلمساني علي رأس وفد من الجماعة للتهنئة، وقال لي إنه معجب بالبابا ويتمني أن يري شيخًا للأزهر مثله.

أما البابا فقد تحولت معارضته سفر الأقباط للقدس، بسبب دير السلطان. إلي موقف عام ربطه بعودة الأراضي الفلسطينية المحتلة، ودخول الأقباط القدس مع إخوانهم المسلمين.

السادات وانتفاضة الحرامية

وزير داخلية المنصة يدافع عن اعتقالات سبتمبر ويهاجم "انتفاضة الحرامية"

- النبوى إسماعيل: الجماعات الأصولية "عفريت" أخرجه السادات من القمقم..ولم يعرف كيف يصرفه!
- وضع قيود على المفرج عنهم من الجماعات يعيدهم للإرهاب!!
- بعد قرارات الإفراج عن بعض قيادات الجماعات الأصولية من السجون

وعلى رأسهم كرم زهدى كان من الضرورى استجواب أشهر وزير داخلية مصرى وقعت فى عهده عمليات عنف انتهت باغتيال الرئيس أنور السادات عام ١٩٨١ فى حادث المنصة الشهير. وبعدها أحداث أسيوط الأكثر خطورة.. إنه اللواء النبوى إسماعيل وزير الداخلية الأسبق وصاحب الرصيد الأكبر فى الانتقادات سواء داخليا أو خارجيا ويكفى أن عضو مجلس الشعب المرحوم ممتاز نصار طالب بعد يوم واحد من مصرع السادات محاكمة النبوى إسماعيل لأنه لم يستطع حماية الرئيس ورغم رد النبوى وقتها فإن البعض يرى أنه حدوث تقصير أمنى إلى حد ما أدت إلى "المنصة".

- مستعد لمصافحة كرم زهدى وعبود الزمر
- "العربى" التقت بالنبوى إسماعيل لنسأله حول رؤيته لقرارات الإفراج

عن الأصوليين وما هو رد فعله لو طالب كرم زهدى مقابلته. وماذا يقول عن فكرة تكرار

أحداث ١٧، ١٨ يناير. الأسئلة كثيرة والإجابات - كالمعتاد - صريحة وضد المعارضة والتوجهات الشعبية .. وهذا نص الحوار- المواجهة:

- أنت الوزير الذى شهد حبس مجموعة المتطرفين والتنظيمات الإسلامية مثل عبود الزمر وكرم زهدى وناجح إبراهيم وغيرهم ما هى رؤيتكم حول الإفراج عنهم بعد ٢١ عاما فى السجون؟

- هؤلاء أشخاص أمضوا فترة العقوبة الخاصة بهم ونضع فى الاعتبار تقدير الأمن - الذى أثق فيه - الذى أكد رجوع هؤلاء عن الأفكار التى كانوا يعتنقونها بعد اكتشافهم خطأها لدرجة اعتبروا فيها أن السادات شهيد وهم الذين اغتالوه، وهذا تحول خطير ولا يمكن أن تؤمن به أجهزة الأمن إذا كان مظهريا أو خادعا أو صوريا أو قيل لتحقيق هدف معين، فتم إعطاؤهم الفرصة ومدت لهم يد المساعدة حتى لا يلفظهم المجتمع ويعيشوا حياة طبيعة وبذلك تكون قد حققت هدفا كبيرا أمنيا واجتماعيا.

- لكن الاعتذار كان محددا للسادات ولم يعتذروا للشعب المصرى عن الجرائم التى ارتكبوها فى حقه؟

- شاهدنا تداعيات هذا الحدث لدرجة أن هناك معلومات وصلتنى تقول إن الفلسطينيين يعلنون عن ندمهم الشديد لعدم اشتراكهم فى مفاوضات السلام مؤكدين أنها غلطتهم الوحيدة ويلقون اللوم على "من كان السبب" وطبعا معروف من الذى كان السبب، كان ذلك هو الأساس الذى ترتبت عليه كل التداعيات من اغتيال السادات والمواجهات مع الشرطة واغتيال أفرادها فاعتبارهم أن هذا الاغتيال كان خطأ فهو اعتراف بأن كل ما حدث كان خطأ.

- لكن الاغتيال لم يكن بسبب الصلح مع إسرائيل حيث كانت هذه المجموعة تهدف الوصول إلى السلطة وتفرض فكرا معينا؟

- لا هذا لم يحدث لأنهم فى اعترافاتهم التى سجلناها حيث صورنا لهم شريط فيديو أثناء شراء وفحص مجموعة من الأسلحة يقول واحد منهم لآخر ماذا ستفعلون فرد عليه بقوله "أول طلقة ستكون فى صدر السادات الذى ركب علينا اليهود" وهذا يعنى أنهم كانوا ضد الصلح مع إسرائيل، أما مسألة السعى للسلطة والوصول للحكم فهو هدف لهم منذ عام ١٩٤٨ ولم ولن يحققوه أبدا لأنه هدف خيالى وأسطورى حيث إنهم غير مؤهلين لذلك وليس لديهم القدرة على تنفيذه.

- ولكنهم لم يحققوا شيئا منذ عام ٤٨ سوى القيام بعمليات فاشلة تؤدى فى النهاية إلى وقوعهم فى قبضة الشرطة وبعضهم يقتل أثناء القيام بهذه العمليات والآخر يحكم عليه بالإعدام أو السجن على الأقل، وهذه الأمور هى التى استعرضوها أثناء سجنهم الطويل وحللوها فتأكدوا أنهم كانوا مخطئين وخياليين وأنهم غرروا بهذه الأفكار أشخاصا لهم مصالح خاصة وذاتية ولهم علاقات مشبوهة بقوى أجنبية يحصلون على ملايين الجنيهات بينما يعطون الفتات لمن يقومون بهذه العمليات الإرهابية.

- هل تقول ذلك الكلام رغم أنهم لم يقروا مسألة شهادة السادات صراحة وإنما جاء على لسان كرم زهدى قوله "نحسبه" عند الله شهيدا؟

- لا يصح السير خلف تفسيرات لفظية، نحن نتحدث عن الجوهر الذى جاء فى حواراتهم مع مكرم محمد أحمد حيث تابعتها كلها وكانت بناءة جدا وقيمة، فضلا عن ثقتى فى تقديرات أجهزة الأمن التى لو كانت تشك فى خطورتهم لاتخذت الإجراءات الوقائية معهم التى تحول دون عودتهم لممارسة نشاطهم أو ترويج أفكار معينة فى المجتمع.

- هم وإن كانوا اعتذروا عن قتلهم للسادات فمازالوا على موقفهم العدائى من إسرائيل شأنهم شأن الكثير من المعارضين للسلام فهل نعتبرهم خارج الإطار؟

- أنت ترى أن مجتمعنا خطا خطوات كبيرة وواسعة نحو الديمقراطية وحرية الرأى والنقد والعالم يعترف بهذا التقدم، والمجتمع يحترم صاحب كل رأى لكن المهم هو الالتزام بسيادة القانون الشرعية فلا إجبار لأحد على كره إسرائيل أو حبها مادام أنه لا يقوم بأعمال تدخل فى دائرة التجريم.
- لو طلب كرم زهدى أو عاصم أو عبود الزمر مقابلتك ماذا سيكون ردك؟
- أقابلهم فورا.. وأصافحهم جميعا وأضع يدى فى أيديهم.
- كيف سيكون الحوار بينكم؟
- سيكون حول توبتهم واكتشافهم لأخطائهم وفكرهم الجديد.
- هل جلست مع كرم زهدى عام ١٩٨١ بعد القبض عليه؟
- لا.. كرم بالذات لم أقابله لأنه اشترك فى عملية أسيوط وانتقلت إليهم وأحضرتهم إلى القاهرة فى طائرة ولم التقى به أو بعبود الزمر.
- ذكرت من قبل أنك التقيت بأيمن الظواهرى؟
- نعم التقيت به لقاء طويلا.
- هل كانت تبدو عليه أى مؤشرات تنبئ بأنه سيكون على ما هو عليه الآن؟
- إطلاقا إنما كان فى منتهى الوداعة والأدب وابن تربية محترمة لا يوجد بها متطرف لكن يبدو أن الظروف ساقته إلى هذا الطريق بطريقة أو بأخرى، وقد حكم عليه بحكم بسيط لأنه لم يشترك فى اغتيال السادات وإنما اشترك فى تنظيم الجهاد ولما خرج سافر إلى الخارج والتفت حوله المجموعات هناك وهيأت له السفر إلى أفغانستان ليبدأ فى التحول إلى ما هو عليه الآن، إنما هو من الأساس غير ذلك بل بالعكس ساعدنا قبل ذلك فى ضبط قيادى هارب اسمه عصام القمرى وكان متفهما.

- لماذا لا يتم الإفراج عن عبود الزمر طبقا لجدول أمنى كالذى حدث مع زملائه؟

- إذا كانت ظروفه مواتية مثل زملائه وإذا تأكدت أجهزة الأمن أنه ليس هناك ضرر من الإفراج عنه فسوف تفرج عنه وهى فى النهاية مسألة تخضع لتقرير أجهزة الأمن وليس المهم هو قبول مبادرة وقف العنف المهم أن يكون ذلك صحيحا.

- هل أخطأ الرئيس السادات عندما ساعد هذا التيار على النمو؟

- لا نستطيع القول إنه أخطأ خاصة أن الزعماء يكون لهم منهج خاص فى التفكير، فمثلا الاتحاد السوفيتى كان مسيطرا على الساحة ولا يساعدنا ويسيطر على الجامعات ويسبب للمجتمع صداعا مزمنا. وهنا أشار بعض الخبراء والمستشارين بضرورة خلق تيار آخر يكون مواجها للشيوعية ليحقق التوازن فى المؤسسات والجامعات ووسائل الإعلام والمؤسسات الخدمية التى كانت تحت وطأة الشيوعية نتيجة علاقتنا مع الاتحاد السوفيتى ولذلك قطع الغرب دعمه وسلاحه عنا وأخذ إسرائيل فى أحضانه. هذه الظروف هى التى فرضت فكرا معينا، وما يجب أن نضعه فى الاعتبار أن عبدالناصر والسادات ومبارك زعماء وطنيون يضعون مصلحة الوطن فى المقام الأول ولا نستطيع أن نحرم أى زعيم من أن يتحرك تكتيكيا أو استراتيجيا يرى فيه المصلحة فى مرحلة معينة.

- فهل عندما كنت فى السلطة كنت مؤيدا أم معارضا لتنمية هذا التيار الإسلامى؟

- من البداية كانت رؤيتى أن هذه التنمية كانت خطأ، وفى المؤتمر السنوى للحزب الوطنى عام ١٩٨٠ ألقيت بيانا قلت فيه إن النظام كان يعانى من مشكلات وهذا أمر طبيعى وكانت هذه المشكلات تفرض مساندة تيار على حساب تيار آخر مثل مساندة التيار الإسلامى على حساب التيار الشيوعى وقلت إن هذه سياسة خاطئة لأنها تعنى إخراج

العفريت من القمقم دون معرفة صرفه، وقلت إن السياسة المثلى هي الالتزام والتمسك بالشرعية وسيادة القانون، كل من يخرج عن النظام يواجه بالقانون، وقلت إن الدليل على هذا هو ضبط تيار ديني متطرف هو حزب التحرير الإسلامي وتيار شيوعي وهو الحزب الشيوعي المصري في أسبوع واحد، وأنا ضد المهادنة مع أي تيار وأتحرك من مبدأ الشرعية وسيادة القانون.

• البعض يقول إن المقربين من السادات ومعاونيه هم الذين كانوا وراء اعتقالات سبتمبر الشهيرة، حيث نصحوه باتخاذ هذه الخطوة.. فما تعليقك؟

• لم يحدث شيء من هذا. ولو تخيل أحد أن كل الذين تم التحفظ عليهم في سبتمبر كانوا خارج الأسوار لحظة اغتياله فما الذي كان حدث في مصر؟ فلم يكن قرار التحفظ سببا في اغتياله لأن قرار الاغتيال اتخذ في ٢٦ يوليو أي قبلها بثلاثة شهور وقبل التحفظ بشهرين ولكن الاغتيال لم ينفذ لأنهم لم يكونوا قد جهزوا الأسلحة فغيروا سياستهم.

• يقال إن السادات كان عنيفا جدا تجاه من يعارضه سواء كتابة أو شفاهة.. فما تعليقك؟

• أنا نفسي كنت أعارضه كثيرا مثل معارضتي له في الزاوية الحمراء وغيرها، وكان الرئيس مبارك يعارضه عندما كان نائبا، لكن في النهاية هو الرئيس يتخذ القرار الذي يراه المهم أنه كان يسمعنا قبل اتخاذه، فليس المطلوب هو فرض رأي معين عليه لاتخاذ قرار معين.

• ما رؤيتك لانخراط المفرج عنهم في الحياة السياسية كالاشتراك في الأحزاب أو تكوينها؟

• هذه خطوة سابقة لأوانها.. من يريد الانضمام لحزب قائم فليتفضل لكن كيف يكونون أحزابا؟ مصر مليئة بالأحزاب التي لا تعمل.

- لكن ممدوح إسماعيل المحامى يسعى لتأسيس حزب له توجه إسلامى هو حزب "الشريعة" فهل من الممكن انضمام هؤلاء إليه؟

- أنا فى الأساس أرفض إنشاء أحزاب دينية سواء إسلامية أو مسيحية هى سياسة خاطئة.. لأنها تشعل نار الفتنة بين أفراد الشعب وهذا الكلام قلته وأنا داخل السلطة وأقوله وأنا خارجها.

- هذا بالنسبة للأحزاب فماذا عن الجمعيات الأهلية؟

- إذا كانت الشروط تنطبق عليهم فليس هناك ما يمنع لأن المعيار كما قلت هو الالتزام بشرعية القانون وسيادته فإذا انطبقت عليهم الشروط التى بينها ونظمها قانون الجمعيات فليس هناك مانع.

- ماذا تقول للأجهزة الأمنية حتى لا تكون التوبة "تقية"؟

- الأجهزة الأمنية فى غير حاجة لمن يقول لها فمن خلال متابعتى لأدائها أرى أنها على مستوى عال جدا من الأداء والكفاءة والوزير له فكر قادر على توجيه الأجهزة الوجهة الصحيحة؟

- نحن لا نتحدث عن الوزير ولكن عن المفرج عنهم؟

- هناك رؤية أمنية ١٠٠٪ موضوعة لهؤلاء الناس وقد قال الوزير ذلك عندما سئل حول احتمال أن يكون المفرج عنهم مخادعين بهدف الإفراج عنهم، إن هناك خطة محكمة وضعت لهم، لكن ما أود قوله هو أنه لا يجب أن تشكل هذه الرؤية قيدا على المفرج عنهم حتى لا ينتكسوا وهذه سياسة كنا تطبقها مع الجنائيين الذين كنا نراقبهم بعد الإفراج عنهم دون أن نشعرهم بوقوعهم تحت المراقبة حتى نعطيهم الثقة فى أنفسهم ولا ينتكسوا وهذه أمور تعلمها الأجهزة الأمنية جيدا وليست جديدة.

- لكن مع تصاعد الأزمة العالمية وتوجهات أمريكا المناهضة للتيارات الإسلامية كيف يكون الموقف؟

- أمريكا تنظر إلى هذه التيارات على أنها إرهابية لكن نظرتنا نحن تختلف فنحن مع الدين السليم وكل العناصر الدينية الملتزمة، وقد سئلت ذات مرة فى مؤتمر حيث قال مراسل أجنبى بعد القبض على تنظيم متطرف: نلاحظ أن التنظيمات التى تقبضون عليها لا يوجد بها عناصر من طلبة جامعة الأزهر فما تفسيرك؟ فقلت إن طلبة الأزهر يدرسون علوم الدين ومن يفهم الدين حقا لا يمكن أن يكون إرهابيا، فنحن لسنا ضد الإسلام أو الجماعات الإسلامية لكن ضد الإرهاب وضد الخروج عن الشرعية والقانون.

- لكن الأب الروحى للجماعات الإسلامية المتطرفة كان أستاذا فى جامعة الأزهر وهو الدكتور عمر عبدالرحمن؟

- لا تحدثنى عن حالة استثنائية لأن لها ظروفها فكلامى يتحدث عن القاعدة لا عن الاستثناء.

- هل هناك ضغوط أمريكية لعدم الإفراج عن جميع المعتقلين أو المسجونين الإسلاميين؟

- لست موجودا فى السلطة حتى أعرف إذا كانت هناك ضغوط أم لا، وإن كنت لا أعتقد إمكانية أن ترضخ مصر لأى ضغوط من عبدالناصر إلى السادات وحتى مبارك الذى أكد منذ أيام أن علاقتنا مع أمريكا جيدة وإن كنا نختلف أحيانا وهذا طبيعى لكن مصر لها سيادتها وقرارها المستقل.

- ما الفرق بين عدم وجود حوار مع الجماعات الإسلامية أثناء توليكم لوزارة الداخلية وما يحدث الآن؟

- الحوار كان موجودا لكن ليس مع الجماعات الإرهابية لأن هذا خطأ لم يكن يجب الوقوع فيه من حيث التفرقة بين الرجل المسلم الملتزم وبين المتطرف والإرهابى، فأنت تستطيع أن تجرى حوارا مع أى أحد ما لم يصل إلى حمل القنبلة فتحول بينه وبين الوصول إلى هذه المرحلة، لكن إذا وصل لحمل القنبلة والمدفع فالتعامل معه يجب أن يتم من خلال المواجهة والقانون والسجن الذى يحدث بداخله حوار وتوعية أكثر من خارجه وهذا مطلوب، لكن حوارى كان مع الذين لم يصلوا إلى مرحلة العنف وكانوا يقتنعون غير أن العناصر الأخرى كانت تتهمهم بأنهم عملاء ومرشدون وقبضوا الثمن فيتكون مرة أخرى بالإرهاب المعنوى والفكرى وأنا سعيد بالسياسة المعمول بها حاليا التى تعملها كل الأجهزة داخل السجون وخارجها من وعظ وتوعية عن طريق الإعلام والتى جاءت بنتائج جيدة فضلا عن عدم وجود قضية مثل السلام التى كانت محط اهتمام الكثير فالسلام الآن مستقر وكانت خطوة مطلوبة اعترف بها الفلسطينيون الذين كنا سنأتى لهم بالأرض على طبق من فضة غير أنهم رفضوا حتى حضور مؤتمر "ميناهاوس"، والسلام الذى وصلنا إليه حققناه بعد الحرب من منطق قوة وليس استسلاما.

- إذا كنا نتحدث عن إسرائيل والسلام الذى تحقق معها بما يحققه من استقرار، فما تقوم به إسرائيل الآن من أفعال وحشية يولد مليون تنظيم إرهابى ليس فى مصر ولكن العالم العربى والإسلامى كله؟

- ألم تسمعوا كلام الرئيس مبارك؟ هو يقول ذلك الكلام ومسألة التزامهم بهذا الكلام هم أحرار فيه وسوف تثبت لهم الأيام والتاريخ والتداعيات التى يمكن أن تحدث أنهم كانوا مخطئين، والرئيس مبارك بنظرته الواعية عرض فكرة إقامة مؤتمر دولى تحت مظلة الأمم المتحدة عن الإرهاب لكى تتحمل كل دولة نتائج أفعالها من التمويل والإيواء لكى تكون هناك مواجهة جادة للإرهاب فلم يستجب أحد ومازال يكرر فكرته

- هل تعتقد أن رفض هذا المؤتمر نابعا من كون أن هذه الـدول هـى نفسـها التى تؤوى الإرهابيين وتساعدهم وتستخدمهم ضد بعض الأنظمة فى الدول العربية؟

- أمريكا كانت تؤويهم وانجلترا حتى الآن بها إرهابيون ظنا من هذه الدول أنهم ورقة فى أيديهم يمكن استخدامها عند اللزوم، لكن هذه الدول اكتوت بنارهم، ولـذلك كنت أقول دائما إن كل من يركب موجة الإرهاب هو أول من يكتوى بناره.

- فى الفترة السـابقة كان الضـغط مـن خـلال حقـوق الإنسـان والحريـات، ويتنبأ البعض بأنه سيكون فى الفترة المقبلة من خلال المعارضات العربية بمعنـى محاولـة خلـق جبهة معارضة داخل الدول العربية لاستخدامها ضد حكوماتها كما حدث فى العراق ويحدث فى إيران.. فما تعليقك؟

- نتحدث عن مصر أولا فنقول إنه لا يفلح فيها هذا الســلوك لأن الشـعب المصرى وسطى ويلتف حول قيادات وأجهزته كما أنه يفهـم جيـدا المخططـات الأمريكيـة فى المنطقة، والمعارضة الموجودة لدينا معارضة وطنية والدليل هو دعوة الـرئيس مبـارك لإجـراء حوار معها والذى بدأ منذ أيام بين أمناء الحزب الوطنى والتجمـع وسـوف يتبـع ذلـك بقيـة الأحزاب، ونحن نرجو لأحزاب المعارضة فى مصر أن تزدهر وأن تنمو لأن نموها وازدهارها يعطى قوة أكثر للحزب الوطنى من خلال دفعه لمضاعفة جهوده، لذلك نرجو منها أن تـدعم نفسـها وتقوى خطوطها وشبابها وكوادرهـا وتهـتم بالتـدريب والتثقيـف وتكـون ممارسـتها موضوعية وليست معتمدة على الإثارة لأنها لا تأتى بنتيجة خاصة فى ظل وعى الشعب، وهنا أسوق مثلا عندما كنت وزيرا وكان رئيس إحدى الدول فى زيـارة لمصر وكنـت مـدعوا عـلى عشاء رسمى فى قصر القبة، وفى طريقى إلى هناك تلقيت إشارة تفيد وقوع حادث بـين سـفينة بضائع وصندل بحرى نتج عنه غرق كثيرين فطلبت من مكتبى الاعتذار عـن عـدم حضـور العشاء وعدت أدراجى إلى الموقع فى إمبابة وكنت أول من وصل إلى هناك فكلمت الأجهـزة

المختصة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وبقيت هناك حتى حوالى الثانية صباحا، ثم ذهبت إلى المكتب ورجعت مرة أخرى إلى الموقع، وفى الصباح كلمنى أحد الوزراء - محمد حامد محمود - يسألنى عن سبب تغيبى عن العشاء فحكيت له القصة فأخبرنى أنه كان هناك أسئلة فى مجلس الشعب من أحد الأعضاء حول تغيبى وعندما قابلته سألته عن السبب فقال لى بالحرف الواحد "بصراحة لم أجدك فى المجلس فقلت أفرقع هذه القنبلة" فهل هذه ممارسة حزبية سليمة؟.

- قيل إن الأمن هو السبب فى ضعف الأحزاب المصرية لأنه يمنع حركتها فى الشارع المصرى، وأنت تقول إن تقوية الأحزاب فى صالح الحزب الوطنى فكيف يتم تقويتها؟

- الأمن لا يحاول أن يقيد حركة الأحزاب إنما هو ضد أى تحرك مشوبه أو مخالف للقانون بدليل أنه فى الفترة الأخيرة كانت هناك مسيرات ضخمة لأسباب كثيرة ومظاهرات ومع ذلك لم يمنعها الأمن من الوصول إلى مجلس الوزراء أو الشعب رغم أن ذلك سهل عليه لكنه لم يفعل ذلك، وهذا يعنى أن لدينا حرية تعبير فى الجامعة والشارع والصحافة والندوات فالأمن لا يمنع كل هؤلاء وإنما يقوم بعملية ترشيد ولا يتدخل إلا فى حالة وجود شبهة.

- رغم قرارات الرئيس الأخيرة فإن قانون الطوارئ مازال جاثما على صدورنا بما يضم من مواد صعبة؟

- قانون الطوارئ ليس به سوى مسألة التحفظ ٤٥ يوما ثم الذهاب إلى القاضى الذى يقرر الأمر بعد التأكد من الحقائق، وفيما عدا ذلك لا يوجد أى قيد على الاجتماعات أو التجمهر أو المظاهرات أو حرية النقد، قد تم استطلاع رأى فى إلغائه من قبل فوافقت وألغى بالفعل لأننى لم أكن أشعر بأنه كان موجودا وبالمناسبة كان قانون الطوارئ

موجها للجنائيين من عصابات الخطف والقتل وترويع أمن المواطنين ولا يعمل به بخصوص السياسة، وبالنسبة لاعتقالات سبتمبر فلم تكن عملا بالقانون، وإنما بمادة فى الدستور تعطى الحق لرئيس الجمهورية أن يتخذ من التدابير والإجراءات ما يراه مناسبا عندما يرى أن السلام الاجتماعى والأمن مهددان، فاستخدم الرئيس حقه فى الدستور والأمر لم يزد عن كونه تحفظا دون أن تكون به شبهة سجن أو اعتقال كما أنه كان مؤقتا ومرهونا بخروج اليهود فى ٢٥ أبريل خاصة أن إسرائيل كانت تتلكأ فى الانسحاب فلم يكن من الممكن أن نساعد نحن على هذا التلكؤ بأيدينا بعد كل ما قدمناه من تضحية ودماء تضيع على أيدى جماعة غير مدركة لهذه التضحية فكان لابد من التحفظ عليهم لحين انسحاب إسرائيل من سيناء وبعدها يفعل كل من يريد شيئا بحرية.

- وبالنسبة للجماعة الإسلامية أو الإخوان المسلمين؟

- هؤلاء يحاولون إحياء جماعات محظورة ومع ذلك لم يسجنوا باستخدام قانون الطوارئ وإنما بقرارات نيابة ومحاكم وهذه لا يمكن التعليق عليها، ونحن فى النهاية نحتاج إلى هدوء لكى يعيش الـ ٧٠ مليون مواطن على أرض مصر فى سلام.

- هل تمثل جماعة الإخوان المسلمين خطورة على المجتمع؟

- مازالت أكرر أن العبرة هى الالتزام بالقانون والشرعية ومن تثبت براءته يخرج ومن تثبت إدانته يدان، وليس هناك ترصد لهذه الجماعة وإنما متابعة أمنية لكل ما يحدث على أرض الوطن من أنشطة لضمان أمن جميع المواطنين على حد سواء.

- الأوضاع الحالية أليست شبيهة بأحداث عام ٧٧ خاصة فيما يتعلق بالأسعار والغلاء الذى دفع الشعب للقيام بانتفاضة؟

- أحداث ٧٧ كان لها ظروف خاصة حيث فوجئت الجماهير فى الوقت الذى كانت تتطلع فيه لآمال وطموحات وحرب انتهت بالنصر بارتفاع فى الأسعار وهذه

مقدمات طبيعية لأى رد فعل، وقد علقت على الروشتة التى قدمها الدكتور "القيسونى" لتحريك الأسعار بقولى إن لها جانبين الأول اقتصادى يفهمه القيسونى والآخر سياسى يغيب عن وعيه وهذه مهمة رئيس الوزراء بمعنى ضرورة التمهيد لمثل هذه القرارات إعلاميا واجتماعيا فوافق على كلامى وتم تأجيل المشروع وفوجئت ذات يوم بصدور هذه القرارات دون أن أعرف فتبنت عناصر شيوعية هذه المسألة وهى التى كانت تحمل قبل ذلك مسألة الأسعار فقادت تحركا فى الترسانة البحرية بالإسكندرية وآخر فى جامعة عين شمس وثالثا فى حلوان وبدأت التحركات تنادي بسقوط الغلاء وزيادة الأسعار إلى أن وصلوا وسط البلد فتمت المواجهة، ونتيجة اندساس العناصر المخربة قامت الحرائق وعمليات النهب والسلب فأدى ذلك إلى أن أطلق عليها الرئيس السادات "انتفاضة الحرامية".

- عودة للسادات قيل إنه تعرض لأكثر من محاولة اغتيال ما حقيقة ذلك؟

- قبل مقتل السادات بأسبوعين اكتشفنا مؤامرة لاغتياله بعملية اسمها "جون كيندى" كان سيتم اصطياده ببندقية تليسكوب أثناء خروجه من منزله بالجيزة وتم ضبط الجناة والبندقية.

- هل كان وراء العملية جماعات إسلامية؟

- لا.. كان وراءها دولة "عربية" بسبب السلام مع إسرائيل.. وتم ضبط عمليات أخرى مثل نسف مبنى وزارة الخارجية والتليفزيون والبرج وغيره من العمليات التى استهدفت مصر لترويع الجبهة الداخلية.

الوثائق السرية البريطانية

١٩٧٧ عام السادات العاصف

كثيرة هي الأحداث التي كان فيها الرئيس المصري محمد أنور السادات بطلها الرئيسي، فمن حرب أكتوبر ١٩٧٣ والى كامب ديفيد ١٩٧٨. والى اغتياله في حادث المنصة عام ١٩٨١، شغلت مصر السادات كل العالم.

والى ذلك، كان الظن لدينا ونحن نقلب وثائق ١٩٧٧ السرية البريطانية، والتي أفرج عنها مطلع يناير الحالي، بأن زيارته التاريخية للقدس في ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ ستكون صيدنا الثمين، لنتفرغ بعدها لدول عربية أخرى كان فيها ذلك العام أيضا محوريا مثلما دأبنا على ذلك في هذه الصحيفة كل عام.

ولكنا وبمراجعة ملفات مصر، على كثرتها، وجدنا أن سفير بريطانيا السير وليام موريس (يوقع رسائله بـ ويلي موريس) وقد تقلد مهامه فيها عام ١٩٧٥ ليغادرها في ١٩٧٩، وجد ذلك السفير مستصحبا تجربة الأستاذ الجامعي والاقتصادي الضليع (كانت آخر مناصبه بعد تقاعده مدير بنك للويد العالمي)، وجد ويلي موريس في أحداث ١٩٧٧، من انتفاضة ١٨/١٩ يناير، والى صدور قانون الأحزاب، والمعارك العسكرية مع ليبيا، واغتيال الشيخ الذهبي وانفتاح أفق للتطرف الديني، وزيارة القدس، مادة، بدا واضحا أنه تعشقها وعايشها فكتب فيها لوزير الخارجية بتفاصيل غريبة مصحوبة بخيال ينم عن حس أدبي رفيع.

كل ذلك أحدث انقلابا دراماتيكيا في تفكيرنا قاد إلى أن نولي هذا العام، بهذه الحزمة الكثيفة من الأحداث، أكبر مساحة ممكنة خاصة أن كتابات موريس، وباستطلاع أثرها حتى

على الذين قدموا الى هذه الحياة مع تلك الأحداث، وهم الآن، رجالا ونساء، في كامل رشدهم، يمكن أن تثري عقولهم ومنظورهم بأبرز ملامح ذلك العام، وربما كل حقبة السادات، لأن كتابات موريس تتسم بالشمول والاسترجاع على طريقة (الفلاش باك).

نحن لا نقول إن كتابات موريس هي الحقيقة المطلقة، فذلك مستحيل، معه ومع غيره، ولا نقول إن تاريخا بمعنى المصطلح الدقيق، ولكنا نقول إنها قراءة للتاريخ، ويجيء أبسط حكم منا عليها أنها قراءة جيدة تفوق فيها على زملائه البريطانيين في تل أبيب وطرابلس باعتبار أن معظم أحداث العام كانت قد ألقت بظلالها هناك أيضا، ومع ذلك نختم بأن حكمنا وجب أن لا يكون نهائيا، لأن الحكم النهائي يبقى دائما وأبدا حقا مطلقا للتاريخ الكريم.

* وثيقة رقم: ١١١/ ٧٧

* التاريخ: ١٤ يناير ١٩٧٧

* من: ويلي موريس، السفير، القاهرة.

- الى: وزير الخارجية، لندن، سري للغاية.

الموضوع: التقرير السنوي عن مصر ١٩٧٦

* سيدي:

١/ ربما يقول حتى المتشائم إن عام ١٩٧٦ كان عاما طبيعيا لمصر داخليا وخارجيا.

٢/ فعلى مستوى الشؤون الخارجية ظلت الحكومة المصرية تنظر بنافد الصبر كل العام لتجلي لما الانتخابات الأمريكية، فيما أنهت العام نفسه وهي تعيش الانتظار لما ستتجلي عنه الانتخابات الإسرائيلية. وفي يناير كان السوريون والفلسطينيون في أعلى حالات الصراخ ضد توقيع مصر لاتفاقية سيناء الثانية، فيما قاد تدخل سورية لمساندة المسيحيين في لبنان الى توحيد المصريين والفلسطينيين ضد السوريين. وآخر أكبر أحداث السنة كان

المعالجة، لصالح الفلسطينين، بين الرئيسين السادات والأسد في اجتماع بالقاهرة، في مثال قديم لـ «أشتم اليوم وقم بالتقبيل غداً».

٣/ في الداخل، أعيد انتخاب الفرعون المائج لخمس سنوات بنسبة ٩٧,٧ من الذين أدلوا بأصواتهم، وقدم خطابات كثيرة، توسع فيها باستمرار في نصر أكتوبر واعدا بسنوات رخاء تعقب السنوات الصعبة. الخطط أعلنت وأعيد إعلانها لجهة مدن جديدة، ومترو أنفاق للقاهرة وتنمية الصحارى الغربية وسيناء. في غضون ذلك، وعلى صعيد الحياة الحقيقة، انضم مليون مصري، من دون الأموات، الى تعداد السكان، وتسارع إيقاع التضخم، وازداد (الأغنياء الجدد)، وهم في الغالب الأغنياء القدامى ثراء والفقراء ازدادوا فقرا، وفي القاهرة اقتربت أنظمة المجاري والتلفونات من الانهيار. وفي الخريف كان لا بد من إيجاد نصف مليار دولار كعون طارئ لتجاوز فجوة ميزان المدفوعات الذي هدد بترك مصر من دون وسائل لمواجهة دفع الواردات الضرورية مع نهاية العام.

الرئيس ٤/ هذا أمر يدعو للريبة. فقد بقي الرئيس السادات أفضل رئيس منظور في الأفق لمصر، وبالنسبة لمصالح العالم الخارجي (وبالتأكيد العالم الغربي)، فقد رأى دفع تسوية عربية - إسرائيلية عن طريق التفاوض كأكبر حاجة مصرية، ولهذه الحاجة وحاجيات مصر الأخرى، لا بد له من الحصول على دعم الغرب والعرب، وليس فقط، وإنما بالضرورة على دعم الأغنياء منهم، وأن عليه أن يبقى في السلطة. وإذا كان معظم الذي قدمه في ١٩٧٦ بدا مدى زمنيا قصيرا، أو مناورات تكتيكية وعرض للشخصية، فلا يعني ذلك أن هذه هي مزاياه البارزة. فعليه أن يبدو دمث المعشر دون أن يقدم حشوا. والمؤهلات التكتيكية لا بد أن تعود بعائدها على الاقتصاد والضعف العسكري لتأكيد البقاء على المدى الزمني القصير والذي من دونه يصبح هدف المدى الزمني مستعصي الحصول.

٥/ المهارات في معظمها كانت مبرهنة، فهو لا يزال يصنع كل القرارات الهامة، ويواصل حشد الجماعات الصغيرة من الشخصيات الأساسية حوله. ظل الموجه والمدير لإيقاع وشكل التطور نحو مؤسسات برلمانية ديمقراطية، وعلى غير المتوقع ظل الإيقاع سريعا، فيما أحدث ذلك تقوية واسعة لموقعه أكثر من تشكيل تحد له. ولم تصبح المشاكل الاقتصادية تحديا سياسيا له بعد، فيما، وبالطبع، يكون السخط منه داخل القوات المسلحة، هو الذي يجعل المرء يبدو أكثر قلقا، ولديهم هنا أسباب مهنية وبنفس القدر الأسباب الاقتصادية العامة كدوافع للسخط. وقد حول تدهور العلاقة مع الروس، وتسليم الأسلحة الأميركية لإسرائيل ميزان القدرة العسكرية ضد مصر، ولكن لا خطر مرئيا للرئيس قد تطور من هذا الاتجاه، برغم الإشاعات المتقطعة عن السخط.

٦/ ولذلك يبقى الرئيس السادات الرئيس لمصر بلا جدال، كقائم بعمله، ومتسم بالثقة، وبسيطا وحصيفا كما هو، وليست هناك شكوك جديدة حول صحته.

داخليا: الاقتصاد ٧/ هذه هي منطقة الخذلان الكبرى حيث لم تسعف فقدان السادات للمعرفة والمصلحة الدائمة أي معاونين قادرين أو فعالين، ومن المبكر جدا القول ما إذا كان أن فريق الاقتصاديين الجديد، الذين تم تعيينهم في نوفمبر سيقدم ما هو أفضل.

٨/ مضى كل العام تقريبا في مفاوضات مع صندوق النقد الدولي، ومع نهاية العام، بدا من الواضح أن الصندوق على استعداد للقبول (مع بعض التجاوب الأميركي)، جدلية الحكومة المصرية بأن استقرار النظام سيتهدد إذا تم دفعهم إلى أي تطبيق مزعج لتوصيات صندوق النقد الدولي، مع طوق النجاة القائم على الاعتماد على استمرار المساعدات الخارجية. وكان هذا نجاحا تكتيكيا للحكومة، وإذا ما كان لهم أن يصلوا الآن إلى اتفاقية مرضية مع الصندوق فستقوي من قبضتهم في التفاوض لجهة دعم عربي مالي أكثر.

٩/ ليس هناك أفق فوري لدخل جديد من الصادرات. إذ لم تحدث الزيادات من مداخيل النفط وقناة السويس والسياحة أي تأثير كبير، وقد قال الرئيس السادات مرارا أنه يحتاج الى ١٢ مليار دولار للوصول بمصر إلى مرحلة الانطلاق عام ١٩٨٠ فيما أنتجت رحلته الخليجية في فبراير ملياري دولار فقط. وأظهرت الدفعيات العربية أنها ستبقي على قبضة اليد الدقيقة على كيس المال.

١٠/ وعلى كل، فلم يكن هو فقدان الفلوس الذي أعاق التنمية، سواء مع البنية التحتية، أو القدرات الإنتاجية، لأن هناك موارد عون موجودة ولكنها غير مستخدمة. إنها آلة حكومية مرهقة تفرض أولا تأخيرات غير عادية في صناعة القرارات ومن بعد في تطبيقها، ليظل عامل الثقة مانعا من الاستثمار الخارجي الخاص، فيما لا تشجع نفس الصعوبات الإدارية الأرواح الشجاعة القليلة التي حاولت المرور عبر سياسات (الباب المفتوح).

١١/ علق مصري بالقول: فشلنا في رفع الإنتاجية في الزراعة، وفشل التصنيع، وربما ستنجح فقط بتحولنا الى اقتصاد خدمي متزايد، ساعيا نحو «هيمنة عربية» للسيّاح، تعليم الطلاب العرب في مؤسساتنا التعليمية، وتصدير العمالة والعقول.(وربما كان عليه أن يضيف: وأن نجلب الخدمات السياسية العالمية كعائد للجائزة المالية).

الداخل السياسي ١٢/ ما لم يحدث داخليا مثير للاهتمام. اتسعت الشكوك والنقد لسياسات الحكومة، وهناك قدر مبرر للسخط الاقتصادي، ومستوى (فساد) الحياة للغالبية العظمى استمر في التدهور، ولكن ليس هناك اضطرابات داخلية بمستوى في جدية أحداث يناير ١٩٧٧، وكان هناك إضراب لعمال المواصلات في سبتمبر، وطفوحات طلابية في أوقات مختلفة، وحوادث أمنية معزولة، أكثرها خلال الحملات الانتخابية، كعادة مصرية قديمة.

١٣/ ذهبت الانتقادات السياسية إلى أن تجربة السادات في الديمقراطية البرلمانية خدعة زائفة تتم قيادتها من أعلى. كانت خدعة أم لم تكن، فهي ناجحة في إبقاء الانطباع بمنبر

أو مشهد وتوصيل طاقات كثيرين من الناشطين سياسيا، وهذا في جزء منه أمر يعود إلى عمل السادات في الإبقاء على المبادرة. ففي مارس أعلن أن ثلاثة (منظمات) سيسمح لها بأن تدخل حملات ضد بعضها البعض، ومبدئيا كأحزاب سياسية مستقلة. لانتخابات أكتوبر، وحينما اجتمع مجلس الشعب في نوفمبر أدهش السادات المتقدين والانتقادات بإعلانه أن تلك المنظمات ستصبح أحزابا سياسية مستقلة، وبين يوم وليلة، فقد الاتحاد الاشتراكي العربي ما تبقى من بريقه. ومن قبل أن تتمكن الانتقادات من استقلال وقف التنظيم على ثلاثة أحزاب، أعلن السادات في ديسمبر بأن تشريعا سيتم تقديمه للسماح بتكوين أحزاب أكثر. وحتى ومن قبل الانتخابات، أتيح قدر أكبر لنقد سياسات الحكومة في المجلس القديم، وظهر الوزراء لتلقي النقد وأخذه بجدية فيما نشرت الصحف النقاش، وكل ذلك لم يكن مجرد زخرفة، فالانتخابات حين جرت سمحت بحرية أكثر للمرشحين في الحملات وللناخبين في الاختيار أكثر مما عرفه المصريون على مدى جيل.

١٤/ ومع ذلك فالتجربة ظلت تحت الإدارة، فرئيس مجلس الشعب سيد مرعي، قاد المجلس الجديد، كما قاد القديم، نحو مناقشة القضايا الاجتماعية والاقتصادية وأسعار المواد الغذائية والمواصلات العامة. وقد أعطت الانتخابات حزب الوسط الحكومي أغلبية ساحقة. وإذا كانت حرية الصحافة بدت شاردة خلف الحدود المقبولة، فتوبيخ من السادات سريعا ما يعيدها، فيما ظل رؤساء التحرير يحتفظون بمواقعهم برضاء منه. وقد أخبرني رئيس مجلس الشعب والأمين الأول للاتحاد الاشتراكي العربي بصراحة أن المعارضة السياسية الحقيقية للنظام هي من الإخوان المسلمين والشيوعيين، وليست ممن يسمون بحزبي «الاشتراكيين الأحرار» (يمين)، و «الاتحاديين القوميين التقدميين» (يسار). ولذلك فالحكومة لن تسمح لورثة حركة الإخوان المسلمين القديمة أو الشيوعيين بتنظيم أنفسهم

علنا وقانونيا، وسيقصيهم التشريع الجديد بخرق وحجة الأمة بتأسيس أنفسهم على الدين أو التقسيات الطبقية.

الشؤون الخارجية ١٥/ «استراتيجية سالزبيرغ» المتفق عليها بين السادات وفورد هي أن يكون عام ١٩٧٦ علامة زمنية فاصلة وإعدادا لجهد كلي في ١٩٧٧ لتسوية عربية إسرائيلية عامة. وقد انشطرت هذه الاستراتيجية لسببين: الأول: رد الفعل العربي تجاه اتفاقية سيناء كان عدائيا أكثر مما توقعه السادات، فيما تمكنت الحكومة السورية لبعض الوقت من عزل مصر دبلوماسيا وقدمت مناقصة لتحل مكانها في قيادة العالم العربي. والثاني: الاستراتيجية تستطيع فقط إلزام الحكومة الأميركية فقط إذا نجح فريق فورد - كيسنجر أن ينجح في الانتخابات، فلم تفعل.

١٦/ وحينما قاد فشل وساطة الأسد لإنهاء الحرب اللبنانية في فبراير، إلى أن يأخذ المخاطرة بتدخل عسكري ضد الجناح اليساري المسلم ومنظمة التحرير الفلسطينية، رأت الحكومة المصرية أن هذه فرصة للهروب من العزلة، وأن تعيد روابطها مع منظمة التحرير الفلسطينية، وأن تربك الحكومة السورية وأن تسعى لهزيمتها بإلقاء مصر لثقلها على الجانب الآخر. وحققت الدبلوماسية المصرية نجاحا محدودا، وانتهت عزلة مصر. وأعيدت علاقات مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية، وحل الارتباك بسورية. ولكن، ومع مرور الأشهر، أصبح من الواضح أن حلفاء مصر قد انهزموا.

١٧/ ظهرت نوعية المطاط الهندي في الدبلوماسية المصرية بإظهارها الفشل كنجاح، واستخدامه كمنصة انطلاق نحو هجمة سلام مصرية، ففي اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة تم مرة أخرى قبول القيادة المصرية من العرب، فانتشرت بالاعتدال والمهارة، وطاف نائب الرئيس ووزير الخارجية العواصم العربية الشرقية لحشد الدعم، فأنشأ السادات

والأسد في قمة القاهرة قيادة سياسية مشتركة. وباحترام مهذب لحالات الفشل السابقة، أصبحت دقة التنظيم المألوفة وصور الأداء في حالة مبهمة.

١٨/ أصبح الموقف العربي مع نهاية ١٩٧٦ تجاه سياسة السادات نحو تسوية عن طريق التفاوض أكثر مساندة عما كان عليه من قبل، فيما عوقب الفلسطينيون، وفقد متطرفوهم مكانتهم، لتحاول حكومتا مصر وسورية جمعهما معا مع الحكومة الأردنية.

١٩/ لم يتزحزح السادات قط عن قناعته بأن مفتاح التسوية يقع في يد الحكومة الأمريكية،وكان رد فعله على هزيمة الرئيس فورد سلسلة تحركات مصممة لوضع ضغوط على الإدارة الجديدة للوفاء بدورها تجاه الآلية السابقة وبسرعة. ومن الناحية الرسمية طالبت هجمة السلام المصرية هذه دكتور فالدهايم أن يقدم تقريرا لمجلس الأمن حول الترتيبات لإعادة عقد مؤتمر جنيف بحلول شهر مارس، أن يحفزا معا القوى العظمى والآخرين على التعاون. وبصورة خاصة، انتظر الرئيس السادات بصبر نافد من إدارة كارتر أن تنظم نفسها وأن تقدم بديل هنري كيسنجر، لأن منهج كيسنجر لا يزال يروق له.

٢٠/ أساء السادات الحساب مع لبنان، ولكنها علاقاته مع السوفيات فقط هي التي تجاوزت مجرد سوء الحساب، فقد كان إلغاء معاهدة الصداقة المصرية ـ السوفيتية في مارس إيماءة عدائية، وبعدها تجمدت جهود وزير الخارجية في نوفمبر لبدء عملية تطبيع للعلاقات بعد اجتماع كئيب مع غروميكو في صوفيا، فيما لم يسعف الموقف نشر السادات لمذكراته التي أعلن فيها عدم ثقته في الروس.

٢١/ واصل الرئيس السادات اهتمامه بأوروبا بزيارات لألمانيا الغربية وفرنسا وإيطاليا والنمسا وبوغسلافيا، وهو يبحث بالطبع عن مساعدات اقتصادية، ولكنه فوق ذلك يحاول أن يقدم دليلا حيا بأن سياساته قد أكسبت مصر صداقة ودعما.

العلاقات الثنائية ٢٢/ نحن نقوم بعمل جيد في تسويقنا في مصر، فمبيعاتنا في ١٩٧٦ بلغت بالتقريب ١٧٠ مليون جنيه استرليني في مقابل ١٠٨ ملايين في العام الذي سبقه، وقد حصلنا على مبيعات دفاع مفيدة بما فيها عقد تركيب وإعادة تسليح قوارب روسية للبحرية المصرية بحوالي ٥٠ مليون جنيه رغم أن مشاريع الدفاع الكبرى الأخرى تظل سرابا، فيما واصل المناخ العام لعلاقتنا في المجالات الثقافية والتجارية وفي مجال العون، عكسه للثورة التي أحدثتها زيارة السادات لبريطانيا العام الماضي. في المجال السياسي الضيق، وبخاصة مع وزير الخارجية، وأولئك الذين من حوله، هناك على أية حال جمود، وهذا يعود في جزء منه الى جفاف الاتصالات الوزارية الشخصية، والتي تناقضها كثافة من الفرنسيين والألمان الغربيين والآخرين، ولكن أيضا بسبب شكوك بأن بريطانيا وهولندا تضعان كابحة موالية لإسرائيل في سياسة السوق الأوروبية تحول دون اتجاهها نحو اتجاه موال للعرب. ولدي أمل، بأن التبادل الحميم للرسائل، في نهاية العام، بينك سيدي، وإسماعيل فهمي سيضع بداية لتحسن، ولكن أداء رئاستنا في السوق الأوروبية المشتركة سيتم رصده بعناية هنا.

نظرة أعمق ٢٣/ يكمن ما تحقق للدولة المصرية والجموع المصرية في القدرة على العيش والبقاء بدون وسائل مرئية للمساعدة، وأتوقع أن النظام سيستطيع الإبقاء على السخط من الاقتصاد محدودا عام ١٩٧٧. أنا لا أصدق أن القادة المصريين واثقون، كما هم من الأسباب التكتيكية التي يملكونها، للاعتراف بأن الإدارة الأميركية ستقدم على معجزة مختارة لهم للحصول على تسوية عربية إسرائيلية، ولكنهم، ومعهم العرب المعتدلون، أصبحوا ملتزمين بصورة ثقيلة بالتصريحات المعلنة. وإذا لم يحدث شيء مع الجزء الأخير من العام، كما يجب على المرء أن يتوقع الأمر بواقعية، لإظهار ما تحمله التصريحات، فوقتها، ولأن الخيار العسكري غير وارد، فسنسمع حديثا عن فشل الغرب في التجاوب مع سياسات العرب المعتدلة، تاركا لا خيار أمامهم غير مراجعة تلك السياسات، بما في ذلك العلاقات

الاقتصادية، ونشهد تجديدا لطيف المقاطعة النفطية، مهما كان لحديث كهذا أن يكون كارثيا على آمال الرئيس السادات في إعادة بناء الاقتصاد بمساعدة من الغرب.

٢٤/ أرسلت نسخا من هذه الرسالة لممثلي جلالة الملكة في واشنطن، موسكو، جدة، الكويت، عمان، دمشق، بيروت، تل أبيب، والسوق الأوروبية المشتركة.

* توقيع ويلي موريس : السفير - القاهرة

لماذا ثار المصريون ؟!

لماذا ثار المصريون ونزلوا إلى الشوارع وحطموا المحلات وأشعلوا النيران في السيارات، ومات منهم ٧٩ وجرح الآلاف في مصادمات مع الشرطة لمجرد زيادة الأسعار تعريفة وقرش صاغ في ١٧و١٨ يناير ١٩٧٧. والأسعار تزيد الآن بالضعف والناس لا تجد احتياجاتها الأساسية من السلع، وتموت في طوابير الخبز واسطوانات الغاز ، ولا أحد يثور أو يفعل شيئاً؟

وحتى الاعتصامات التي اختفت تقريباً من المشهد العام في الفترة الأخيرة، عادة ما يكتفي أصحابها بالمطالبة بعلاوة جنيهات قليلة، أو صرف الحوافز لعمال شركة هنا او مصنع هناك ،بلا وعي حقيقي بضرورة تحسين مستوى المعيشة، أومواجهة القرارات الحكومية الجائرة، أومكافحة الفساد .

هذا الأسئلة المحيرة يجيب لنا عنها كتاب " ٤٨ ساعة هزت مصر "، الذي يقدم فيه مؤلفه بهاء الدين شعبان أحد المتهمين الرئيسيين في أحداث يناير ١٩٧٧ شهادته عن تلك الفترة ، وتحليله لأسباب اندلاع الشرر الذي تحول إلى نار كادت أن تحرق مصر كلها أو تطيح بنظام السادات ، لولا أن ثوار ٧٧ لم يكن وراءهم قيادة واحدة تحركهم ، ولم يكن لديهم أهداف واضحة ومحددة يريدون تحقيقها .. اللهم إلا تنفيس الغضب والتعبير عن رفض سياسات الرئيس الراحل أنور السادات الذي أضاع فرحه الناس بانتصار أكتوبر العظيم وفتح البلد على مصراعيه للمغامرين واللصوص .

وخدع الناس بالحديث عن عام الرخاء المنتظر والخروج من عنق الزجاجة. وسفن اللبن والعسل والموارد الغذائية التى ستأتيهم من أمريكا بعد اتصلاح المور معها والارتماء فى أحضانها ثم اكتشفوا أن شيئا من ذلك لم يحدث، بل وزاد الفقر والجوع والمرض . وزادت الفجوة بين الأغنياء والفقراء .

أما الطامة الكبرى التى فجرت قنبلة الغضب المكبوتة ، فكانت هى قرارات وزارة حجازى التى رفعت الدعم عن السلع الأساسية ، ورفعت أسعار السلع الأخرى ، وبددت لدى الناس أى وهم بحدوث رخاء أو خروج من بئر الأزمات الاقتصادية التى لم تنته ، رغم انتهاء الحرب ، وتدفق الأموال على مصر من الغرب ومن أمريكا ومن الخليج .. إلا أن ذلك كله صب فى بطون الانفتاحيين الجدد وتجار الشيبسى والصابون والليان !

ويروى بهاء الدين شعبان تفاصيل دقيقة عاشها لحظة بلحظة خلال الـ٤٨ ساعة التى يرى أنها هزت مصر ، وكان واحدا من شهودها وصناعها والمحرضين عليها ، ويؤكد أن ما حدث فى هذا اليوم كان له أثر كبير فى ارتماء السادات بشكل واضح ونهائى فى أحضان " الأمريكان " بعد أن تأكد من أنه لن يحمى ظهره ويسند كرسيه ويحافظ على عرشه سوى الاستخبارات الأمريكية .. ويحكى " شعبان" كيف وصل السادات ووزراؤه وحاشيته ومسئولوه إلى حالة من الذعر، للدرجة التى كانت تصرخ فيها زوجاتهم فى البيوت طلبا للنجدة والإنقاذ ، وكانت طائرة السادات الخاصة مستعدة للإقلاع إلى طهران، حيث عرش الطاووس، صديقه الشاه محمد رضا بهلوى. هربا من صحوة الرعاع

ويرى المؤلف أن تأثير تلك الأحداث واضطراره للنزول على رغبة الناس، وإلغاء قرارات رفع الدعم والأسعار، هو الذي دفع السادات لأن يسارع إلى عقد صلح دائم مع

إسرائيل، والمجاهرة في كل مكان بانحيازه لكل الخيارات الأمريكية ، وإيمانه المطلق بأن ٩٩٪من أوراق اللعبة في يديها ،وأن أكتوبر ٧٣ هي آخر الحروب .. وبدء خطته لتصفية القطاع العام والقضاء على مكاسب ثورة يوليو ، والاتجاه إلى اقتصاد السوق من خلال الانفتاح السداح المداح-كما كان يسميه الكاتب الكبير الراحل أحمد بهاء الدين، والذي استعان المؤلف بشهادته على أحداث يناير في الكتاب.

وبدأ السادات، كما يرى المؤلف الذي يتحامل تماما على الزعيم الراحل، ويحمله مسؤولية كل الكوارث التي حلت بمصر، بعد أحداث يناير ٧٧ عملية بيع مصر وثرواتها وتاريخها وتراثها وأراضيها للمرتزقة الجددمن الدخل والخارج ، والذين تهافتوا كالذباب . يريد كل منهم أن يلتهم بسرعة أقصى ما يستطيع نهبه من الكعكة العارية.

ولا يكتفي بهاء شعبان بتحليل أحداث ١٧ و١٨ يناير وأسبابها وتداعياتها وآثارها الممتدة حتى الآن على ماضي وحاضر ومستقبل مصر ، لكنه يتناول في عرض رشيق وسريع تاريخ الحركة الطلابية في مصر ، ورجالها ورموزها الحقيقيين ، وخاصة المناضل الجميل الراحل د.أحمد عبدالله رزة ، والذي يتخذ من تجاهل خبر وفاته في الإعلام المصري ، مدخلا للحديث عن دور طلاب مصر في المقاومة الشعبية .

"٤٨ ساعة هزت مصر" ..كتاب صغير الحجم لكنه عظيم القيمة .. ولا يعيبه سوى تطرف الكاتب في حكمه على السادات وعصره ورجاله

ثورة الجياع ٢٥ يناير ٧٧

بدأ الامر بخطاب نائب رئيس الوزارء للشئون المالية و الأقتصادية ، الدكتور عبد المنعم القيسونى ، أمام مجلس الشعب فى ١٧/ ١ بمناسبة تقديم مشروع الميزانية عن ١٩٧٧ حيث أعلن اجراءات تقشفية لتخفيض العجز ، ومنها تخفيض الدعم للحاجات الأساسية بصورة ترفع سعر الخبز بنسبة ٥٠ ٪ و السكر ٢٥٪ ، والشاى ٣٥٪ وأنابيب البوتاجاز ٥٠ ٪ و كذلك بعض السلع الأخرى ، ومنها الأرز ، وزيت الطهى و البنزين و السجائر ..

وربط هذا بضرورة الاتفاق مع صندوق النقد الدولى و البنك الدولى لتدبير الموارد المالية الاضافية اللازمة . وتبعة خطاب وزير المالية محمود صلاح الدين حامد يؤكد على نفس الأتجاه .

ويلاحظ أن هذه القرارات خفضت الدعم للأغذية و السلع الضرورية المذكورة الأخرى من ٥٥٤ مليون إلى ٢٧٦ مليون ، أى لم يوفر توفيراً كبيراً فى حد ذاته .

ووصفت الصحف الحكومية (الأهرام ١٨/ ١) هذا بأنه " أقترح " من الوزارة فى حين أنه كان قراراً تنفيذياً ، و قيل بعد ذلك أن عدداً من الوزراء لم يكونوا على علم به . وقد بدأ التنفيذ الفعلى يومها أى قبل الاعلان أمام مجلس الشعب ، ورفع التجار و بعض المحلات أسعار المواد الغذائية ، وكذلك فعلت المطاعم الصغيرة على الفور ، فأحس الشعب بالكارثة مباشرة ، فضلاً عن اذاعة الخبر فى الرديو و التلفزيون . وكان من عناصر اثارة الغضب ، الادراك بالتواء السياسة الحكومية و كذبها ، واستصغارها عقول الناس باصدارها هذا القرار بعد قرار أعطاء المنح و العلاوات التى لم تكن لتغطى إثر زيادة الأسعار (كانت العلاوة بنسبة ٢٢٪ فى المتوسط فى حين أن أقل زيادة فى الاسعار كانت ٢٥٪) .

وقد سبب القرار اعتراضات بعضها عنيف ، من طرف عدد من النواب . وقامت تجمعات من الأهالى و العمال فى بعض أحياء الإسكندرية و القاهرة و منطقة حلوان الصناعية خاصة منذ مساء يوم ١٧ / ١ ، وتوقفت المواصلات بين حلوان و القاهرة بعض الوقت .

وهذا مما يؤكد تلقائياً التحرك الشعبى بشكل مبكر ودون تحريض منظم . و لكن المظاهرات أندلعت بصورة هائلة منذ صبح يوم ١٨/ ١ ، عندما فوجئ الناس بشكل ملموس بالسعر المضاعف للرغيف و لساندوتشات الفول .

وكان عمال حلون هم الذين بدأوا التحرك . فقبل الساعة التاسعة صباحاً ، خرج عمال شركة مصر حلوان للغزل و النسيج فى مظاهرات طافت الضاحية الصناعية و انضم إليهم عمال مصانع أخرى (منها المصانع الحربية) و كانت الهتافات موجهة ضد زيادة الأسعار و بسقوط الحكومة و تحمل عداء صريحاً للسادات و عائلته .

وكان بعض العمال " المعروفين بميولهم الماركسية " (طبقاً لتقارير الشرطة) يتزعمون المظاهرات و يهتفون بكلمة " ناصر " و يرفعون صورة الرئيس الراحل . وقامت قوات الشرطة بمحاولة عزل منطقة حلوان عن القاهرة لمنع العمال من النزول إلى العاصمة ، ففى نفس الوقت الذى وضع بعض العمال الحواجز على قضبان القطار و على الطرق (ولعله لإرباك المرور و الحيلولة دون وصول قوات اضافية لفرض النظام) .

و القيت الاحجار على السيارات التى رفضت تهدئة السير . ووصل عدد من العمال القاهرة ، فتشكلت به و بغيرهم مظاهرات اخرى فى الأحياء الشعبية ، كما أنضم بعضهم إلى مظاهرة لطلبة جامعة عين شمس و أهالى القاهرة بعد ذلك .

وفى شبرا الخيمة ، المنطقة الصناعية العريقة بتاريخها النضالى شمالى القاهرة ، اضرب العمال و أعتصموا فى بعض المصانع فتوقف الأنتاج ، وفى شركة الدلتا للصلب ، علق العامل صابر محمد بركات صورة لبرقية مرسلة إلى رئيس الجمهورية نصها " العاملون الكادحون

بشركة الدلتا يشكرون سيادتكم على رفع الأسعار ، رافعين شعار مزيداً (كذا) من رفع الأسعار من أجل مزيد من الجوع و الحرمان " .

واجتمع طلبة هندسة عين شمس فى مؤتمر يندد برفع الأسعار ، ثم خرجوا فى مظاهرة أنضم إليها طلبة من كليات أخرى ، واتجهوا نحو مجلس الشعب لتقديم أحتجاج على قرارات القيسونية و أثناء مرورهم بشارع الجيش ، انضم إلى المظاهرة نساء الأحياء الشعبية ، وفى ميدان التحرير أنضم إليهم موظفون و طلبة جامعة القاهرة ، فتلاقت المظاهرة بأخرى آتية من جنوب و غرب القاهرة و ذهبت هذه الكتل فى معظمها إلى مجلس الشعب ، مرددة الهتافات العدائية للحكومة و النظام و دخل وفد من الطلبة رئاسة المجلس لتقدم المطالب ، و عند غياب هذا الوفد فترة ، تصدر النساء محاولة الهجوم على حرس المجلس على ظن أن أفراد الوفد أعتقلوا ، وقامت قوات البوليس بتفريق هذه المظاهرة ، فتشتت فى مجموعات متظاهرة أصغر فى جارد ستى و الأحياء المجاورة ، ومر بعضها أمام السفارة الأمريكية دون أهتمام خاص بها.

وأكد ت بعض التقارير لصحفيين حسنى النية أن هذه المظاهرات كانت سليمة تماماً طوال الصباح و بعد الظهر ليوم ١٨ حتى الساعة السابعة مساء حيث أصطدمت بها قوات البوليس بعد أن كان شبه غائب من قبل ، قوات الأمن المركزى أيضاً. و لكن هذه المحاولة لتبرئة المظاهرات مما أعتبرها هؤلاء تهمة لا تنطبق مع الواقع .

فقد وقعت صدامات مع البوليس و الأمن المركزى قبل ذلك ، بين الظهر و العصر ، وكذلك هاجم المتظاهرون بعض الأقسام مثل قسم شرطة الأزبكية بميدان العتبة الخضراء ، والذى حاولوا أشعال النار فيه ، وكذا قسم السيدة زينب و قسم الدرب الأحمر . وجرت محاولات الأقتحام مبنى مدرية أمن الدولة بباب الخلق و قذف قسم الساحل بالأحجار . وتم تدمير عدد من الأتوبيسات ، وواجهات المحلات ، ومصابيح الشوارع . وحطم المتظاهرون

صورة كبيرة للسادات فى أحد الميادين المركزية ، ورشقوا قوات الأمن المركزى بالأحجار فالقت عليهم القنابل المسيلة للدموع التى كان يجمعها الصبية و يعيدون القاءها على الجنود فى حركات كر و فر سريعة ، وهذا بعد ظهر يوم ١٨ بقليل . وكذلك القيت الأحجار على المبانى الجديدة للجامعة الأمريكية الواقعة فى ميدان التحرير و تمثل فى أعين الكثيرين مركزاً لأسلوب حياة أفرنجى شاذ .

ومع ذلك ، فصحيح أن المظاهرات أشتدت عنفاً و أتساعاً فى المساء حيث تدفقت عليها عشرات الالآف من سكان القاهرة الأشد فقراً و عمت أعمال قذف السيارات الفاخرة بالأحجار . وفى الجيزة و أمبابة ، قذف مكتب البريد حيث يقف كبار السن المحالون على المعاش ساعات طويلة فى طوابير لتحصيل أستحقاقاتهم ، ووضعت المواسير بعرض الطرق لعرقلة المرور . وقذف المتظاهرون فندق الشيراتون الفاخر بالدقى بالأحجار ، وحطموا أعلانات النيون البراقة عن السلع الكمالية .

وفى الأسكندرية أيضاً ، بدأت المظاهرات بعمال الترسانة البحرية فى صبيحة ١٨ يناير ، وانضم إليهم عمال الشركات المجاورة ، واتجهت المظاهرات إلى قصر الإتحاد الاشتراكى تهتف " الهتافات العدائية " ضد الحكومة ، وتقذف قوات الشرطة و الأمن بالأحجار . وانضم إليها عدد من طلبة الجامعة . وهدمت عدداً من السيارات و الأتوبيسات .

والقت الأحجار على استراحتى رئيس الجمهورية و نائبه و نهبتها ، واقتحمت نقط شرطة و احرقت سينما أوديون ومبانى لشركات كبرى و مجتمعات استهلاكية للخضر و الفاكهة حيث تتفشى المحسوبيات و الرشاوى ولا يأخذ الفقير الا الردئ من السلع و حطمت المظاهرات واجهات المحلات العديدة و اصيب ١٣٢ شخصاً بالأعيرة النارية . واندلعت المظاهرات الصاخبة كذلك فى مدن الأقاليم ، فى المنصورة و المنيا و قناة السويس و

فاقوس و أسوان ، حيث جرت الهجمات على مراكز الشرطة و الاتوبيسات و مبانى المصالح الحكومية ، ومحلات بيع الكماليات و ترقية الطبقة الراقية .

وفى أسوان ، احترقت أقواس النصر المخصصة لزيارة تيتو الملغاة فى الوقت الذى كان السادات بالمدينة . و كانت المظاهرات فى يوم ١٨ حتى مسائه أكثر التحركات " تعبيراً، إذ التيت الشعارات الواضحة ، غالبيتها الكبرى على هيئة اهازيج ذات سجع ، واختلطت فيها الأتجاهات السياسية المعارضة عموماً للحكومة و النظام .

وفى ميدانى عرابى و طلعت حرب بالقاهرة رفع المتظاهرون علم مصر بمعنى أنهم يعبرون عن البلاد على عكس الحكومة . وكانت هناك شعارات عامة تعبر عن اتحاد واسع ، مثل " بالروح ، بالدم ، حتنزل الأسعار ".

وكانت أكثر الشعارات يسارية تصدر من بعض الطلبة الشيوعيين :

احنا الطلبة مع العمال

ضد تحالف رأس المال

احنا الطلبة مع العمال

ضد الظلم و الأستغلال

يا أمريكا لمى فلوسك

بكره الشعب العربى يدوسك

و يبدو مع ذلك أن الشعارات الواضحة ضد امريكا كانت نادرة نسبياً . وقد اشار مراسل النيويورك تايمز الامريكية من طرفة إلى عدم وجود شعارات بسقوط الولايات المتحدة وأن كان الدبلوماسيون الغربيون بالقاهرة قالوا أن الهتافات بسقوط السادات و بحياة عبد الناصر كانت تتضمن فى حد ذاتها احكاماً رافضة لعلاقاة السادات مع امريكا.

ويبدو أن الاتجاهات الناصرية كانت أكثر أنتشاراً ، وخاصة بين العمال الذين حصلوا على مستوى أفضل فى ظل الرئيس الراحل الذى كان الغلا فى عهده أيضاً اخف وواقع تحت سيطرة الدولة بصورة أكثر احكاماً . فالمتظاهرون كانوا يهتفون " ناصر ! ناصر " وبعضهم يرفع صورة جمال عبد الناصر .

وكذلك كان الهتاف :

عبد الناصر ياما قال

خلوا بالكو من العمال

ولا شك أن فى هذا الاتجاه اراده لقلب النظام الساداتى و احلال نظام ناصرى محله . ويمكننا أكتشاف اتجاه قريب فى الهتافات الشديدة العداء و المليئة بالسباب و الموجهة ضد السادات و اسرته و سيد مرعى .

ونجد أيضاً شيئاً من هذا و ان كان على شكل مخفف فى الهتاف الشعبوى القائل :

يا حكامنا من عابدين

باسم الحق و باسم الدين

فين الحق و فين الدين ....؟

و لكن ثمة اتجاها أو أتجاهات لم تكن تعبر عن نفسها بالشعارات أو الهتافات ، وإنما بالأفعال المباشرة . وفى أحوال ، كان المثقف المشترك فى المظاهرة ينصح من كان يحرق أتوبيساً أو يحطم واجهة محل بالأمتناع عن هذا ، فكان الرد القائل أن هذه هى الكيفية التى تعبر بها مشاعرنا . ومنذ بداية المظاهرات اتضح فيها اتجاهان رئيسيان :

احدهما يسير نحو مجلس الشعب ليقدم احتجاجاً ، والثانى يطوف فى تحد للسلطة القائمة و يهجم على اجهزتها ورموزها ومظاهر الغنى الفاحش لدى طبقة القمة .

وكان الأتجاه الأول ماتبناه بعض القيادات التلقائية للطلبة وزعماء العمال النقابين .

أما الثانى ، فهو توسيع بدرجة هائلة لتلك الحوادث العنيفة – المسماه " بالمؤسسة " من الصحافة الحكومية – والسابقة لأحداث يناير ١٩٧٧ .

ولذلك ، فليس غريباً أن يشير صلاح حافظ فى روزاليوسف (٢٤ / ١) إلى أن أعمال العنف قد زادت فى مساء يوم ١٨ بعد انسحاب الطلبة و العمال من المظاهرات . فإن كان هذا القول محل نقاش كواقعة (كما سنرى من أحداث يوم ١٩) ، فليس من شك فى أن عدم تراجع الحكومة يوم ١٨ عن القرار القيسونية من جهه ، وازدياد كثافة الجماهير الفقيرة فى المظاهرات من جهة أخرى ، جعلا التحرك الشعبى يفقد الأمل فى نجاح المشروع السياسى الإصلاحى الذى كان يتقدم به اليسار العريض بصورة عامة ، وترفع محله نبرةالتحدى و الغضب الجذرى .

وعلى أى حال ، فإن تقارير وكالات الأنباء تشير إلى أن الأمور قد هدأت نوعاً يوم ١٨ ليلا عدا منطقتان بالقاهرة ظلتا مضطربتين إلى ما بعد منتصف الليل . ولكن المظاهرات أندلعت باتساع أكبر و عنف أشد فى صباح اليوم التالى ، ١٩ يناير ، حتى صارت العاصمة عند الظهر ميدان قتال ، تجوبه مظاهرات تجمع عشرات الألوف .

ففى حوالى الساعة الثامنة . أمتنع عمال الوردية الأولى لشركة الحرير الصناعى و عمال مصنع ٤٥ الحربى فى حلوان عن العمل ، وخرجوا فى مظاهرة . وتوقفت وسائل المواصلات بين حلوان و العاصمة بسبب قطع الحجار الضخمة التى وضعت على خطوط القطار بعد نزعها من الأرضية ، وتجمع عمال حلوان أمام محطة القطار المؤدى إلى المصانع ، ففرقتهم قوات الشرطة ، فتحولوا إلى مظاهرات تجوب وسط المدينة .

وخرجت مظاهرة عمالية فى الصباح أيضاً من مصانع " سوجات " بحدائق القبة .

ثم قامت المظاهرات فى جميع أنحاء المدينة، تهاجم المنشآت الحكومية و خاصة اقسام الشرطة و مديريات الأمن، ووسائل المواصلات العامة و الخاصة و المتظاهرون و يرفعون اعلاماً مصرية و صوراً لعبد الناصر و يرددون شعارات منغمة .

وهاجموا دار أخبار اليوم فحرقوا كميات من ورق الطباعة . وحاولوا اقتحام بنك مصر فرع رمسيس فلم ينجحوا فقاموا بتحطيم زجاجات و أتلفوا ٣٠ طن أسمنت مخصصة لعملية كوبرى رمسيس .

وفى روض الفرج أتلف محل باتا للأحذية و١٣ محلاً آخر و أحرق كشك تحصيل فواتير الكهرباء . وجرت المصادمات بين المتظاهرين و رجال الشرطة أطلقوا النار على المتظاهرين لمنعهم من الإستلاء على أسلحة الاقسام . وكذلك اتجه هجوم المتظاهرين إلى الملاهى الليلية و الفنادق الكبرى .

وبعد الظهر تجمعت أعداد كبيرة من طلاب الجامعات و العمال فى ميدان التحرير و توجهوا إلى مجلس الشعب حيث رفضوا أوامر البوليس بالتفرق .

وجرت مظاهرات مماثلة فى العتبة و السيدة زينب و الدرب الأحمر وأحياء أخرى و حاول المتظاهرون اقتحام مبنى مديرية أمن القاهرة واشعلوا النار فى كازينو صفية حلمى بميدان الأوبرا، ونهبوا المجمعات الأستهلاكية بالمطرية و السيدة زينب و غيرها . واطلقت قوات الأمن المركزى الرصاص على مظاهرة فى حى الأزهر فقتلت صبياً .

وفى أمبابة، بغربى القاهرة، تظاهر عمال مصنع الشوربجى وشركة الشرق، وتوجهوا إلى هيئة المطابع الأميرية فلم يخرج عمالها، فقذفوا المبنى بالأحجار كما قذفوا مركز أمبابة بشكل متكرر . واطلق البوليس عليهم النار .

فوضع المتظاهرون العوائق على السكة الحديدية فى المنطقة و اشعلوا النار فى أحد القطارات وترولل باص . وشهد ميدان الجيزة معارك بين المواطنين و الأمن المركزى،

واتجهت المظاهرات إلى شارع الهرم فوجدت مبنى المحافظة تحت حماية مركزة ، فانتقلت تهاجم ملاهى الأبرج و الليل والأريزونا ورمسيس الهرم و غيرها فنهبوا وحطموا محتوياتها و اثاثها وأشعلوا النار فى بعضها .

وقذف المتظاهرون بالأحجار المركز القومى للبحوث الإجتماعى و الجنائية ، ومبنى وزارة الزراعة ومجمع المصالح الكومية ومبنى بنك التسليف التعاونى و مديرية التموين و اشعلوا النيران فى بعض سيارات الشرطة . واصيبت أقسام البوليس فى أمبابة و العجوزة و الدقى و بولاق الدكرور و البدرشين بالتلفيات .

وقد هوجمت السكة الحديدة المؤدية إلى بعض الضواحى و اشعل المتظاهرون النار فى عجلات الكاوتش على خط القاهرة الأسكندرية محاولين تعطيله .

وفى هذه الصدامات ، أستعملت الشرطة كميات كبيرة من القنابل المسيلة للدموع والأعيرةالنارية على أنواعها . وجرت أحداث مماثلة فى مدن الأقاليم ومنها الأسكندرية . وفى السويس اقتحم المتظاهرون مخزن السلاح فى قسم الشرطة وأخذوا يطلقون النار .

وفى المنصورة أخرجوا أثاث منزل المحافظ وأحرقوه كما هاجموا مبنى المحافظة .

وشهدت قنا و المنيا و أسوان وأغلب مدن الجمهورية الأخرى أحداثاً متشابهة .

ويروى الصحفى صبرى أبو المجد الحادثة الشخصية التالية وهى ذات دلالة على الفكرية لدى القائمين بتلك المظاهرات العنيفة .

يقول :

" على كوبرى قصر النيل ، وجدت بعض الصبية يقومون بتكسير السيارات التى تمر بالكوبرى ، لقد امتلاءت عيناى بالدموع حزناً على ما يقوم به هؤلاء الصبية الصغار . قلت لأحدهم : أنك تحرق بلدك ؟ قال لى " أنها ليست بلدى أنها بلد الأخرين ".

ويستكمل السادات الحديث عن يوم ٥ يونيو المشئوم، فيقول : من الأمور العجيبة التي حدثت في ذلك اليوم أنه بمجرد هبوط طائرة عامر وإدراكه ما حدث أرسل في طلب السفير السوفيتي لكي يطلب منه وقف إطلاق النار بعد بدء الحرب بساعة واحدة ، وكان هذا سر وجود السفير السوفيتي في غرفة العمليات صباح ذلك اليوم ، ماذا كان بيدي أن أفعل ؟ عدت إلى بيتي وبقيت به إلى يوم ٩ يونيو ، وهو اليوم الذي حدده عبد الناصر لإعلان بيان منه في الراديو والتليفزيون الساعة السابعة مساء ، كنت وأنا في البيت دائم الاتصال بعامر وعبد الناصر ، فاتصلت بعامر في الساعة الخامسة مساء ، فقال لي في خشونة وضيق : إن إسرائيل قد وصلت إلى العريش واستولت عليها ، لم أكن أعرف ماذا أفعل بنفسي ، كنت معتاداً على أن أخرج للمشي أربعة كيلومترات يومياً ، ولكن بعد ٥ يونيو كنت أسير وحسب ، لم أكن أدري كم من الزمن أسير : عشرة كيلومترات أو أكثر أو أقل ، لا أعرف ، فقد استولى علىّ ذهول غريب لم أعد أستطيع معه أن أتبين الزمن أو المسافات أو حتى المكان نفسه في بعض الأحيان .

ويواصل السادات الحديث عن تنصيبه نائباً للجمهورية قائلاً : كنت أعرف أن مؤامرات عملاء الاتحاد السوفيتي قد بدأت بعد أن أتى الطبيب الروسي شازروف إلى مصر ورأى عبد الناصر وأسرّ إليّ وإليهم دون شك بأن الأزمة القلبية التي أصابت عبد الناصر من النوع الخبيث، وأنه لن يعيش بها طويلاً ، فتمعنت فيما قاله عبد الناصر وأجبته : فكرت يا جمال ورسيت ؟ أنا مش عاوز يا جمال أبقى نائب رئيس جمهورية ، أنا حا أكمل معاك وأشتغل ، وإذا كان لا بد من لقب، كفاية عليّ مستشار رئيس الجمهورية . قال : " لأ ، بكرة تفوت عليّ علشان تحلف اليمين " . وفعلاً . ذهبت إليه في اليوم التالي ومعي حسين الشافعي كعادتنا لاصطحابه إلى المطار . في المنزل ، طلب أن أحلف اليمين ، وكان ذلك في وجود حسين الشافعي ، ففعلت ، وحينما ذهبنا إلى المطار لتوديعه أعلنها عبد الناصر على الجميع .

في سبتمبر دعا عبد الناصر إلى مؤتمر قمة عربي في القاهرة من أجل مذبحة سبتمبر سنة ٧٠ بين الملك حسين والمقاومة الفلسطينية ، وكان السبب في هذه المذبحة أن الملك حسين قرر تصفية المقاومة في الأردن، فاشتبك معها في صدام مسلح مما أدى إلى مذبحة بين أفرادها بالمعنى الكامل للكلمة . لم يستطع عبد الناصر السكوت على هذا فدعا إلى مؤتمر في القاهرة برغم كل ما ناله من أذى وحضر جميع الملوك والرؤساء العرب ما عدا الملك حسين ، أما أنا فقد كنت قد شفيت لتوي من الأزمة القلبية التي انتابتني للمرة الثانية سنة ٧٠ وحضرت إلى القاهرة للاشتراك في المؤتمر .

كنا مجتمعين ذات صباح في جناح عبد الناصر في فندق هيلتون أثناء انعقاد المؤتمر وكان معنا ياسر عرفات، وكان جمال حريصاً على أن يصل إلى صيغة يحل بها المشكلة ، وكان من رأيه أن يتنازل كل من الطرفين قليلاً فكلاهما مخطئ . فإذا بياسر عرفات ينفعل ويبدأ سلسلة من الانفجارات لا نهاية لها ، ضاق جمال بالموقف فقال له : " أنا ما أعملش ده كله عشانك ويتحرق دمي بالشكل ده عشانك وانت يبقى موقفك كده " . كان المؤتمر حملاً على أعصاب عبد الناصر ، فقد أجهد فيه أعنف إجهاد بسبب القذافي وتصرفاته من ناحية ومن ناحية أخرى بسبب ياسر عرفات الذي كان عبد الناصر قد دعا إلى عقد المؤتمر ليحل له مشكلته .

انتهى المؤتمر بالاتفاق على ما اتفقوا عليه وعاد الملوك والرؤساء العرب إلى بلادهم ، وكان عبد الناصر في وداعهم جميعاً . كان من الواضح أنه يتحامل على نفسه فعندما ركب أمير الكويت طائرته لم يتحرك عبد الناصر من أمام الطائرة بل وقف مكانه والعرق يتصبب من وجهه ، وقد امتقع لونه بصفرة رهيبة .

الأحداث و حبس ٤٩ حبساً مطلقاً . وفى قسم روض الفرج ، كان عدد المقبوض عليهم ٢٠ . أخلى سبيل ٣ منهم وتم تسليم واحد لذويه وايداع ٣ بمؤسسات الأحداث و حبس ١٣ حبساً مطلقاً (و هذه معلومات تخص جميعا مدينة القاهرة) .

تقول صحيفة الأهرام فى عددها الصادر فى ٢٣/ ١/ ١٩٧٧ أنه فى جنوب القاهرة تبين أن ١٥ ٪ من القبوض عليهم أحداث تقل أعمارهم عن ١٥ سنة ، و٢٠٪ احداث تقل أعمارهم عم ١٨ سنة . كما تبين أن نسبة الطلاب لا تزيد عن عشرة ١٠ ٪ يدخلون ضمن نسبة الحداث وخلو المقبوض عليهم من الجامعين باستثناء ٣ ولم تمهل الدولة هؤلاء الذين جرأوا على تحديها و اعتدوا على الملكية المقدسة العامة و الخاصة .

فقد حوكموا بسرعة و صدرت أحكام رادعة ضد ما يقرب من الربع فى مدة لا تزيد على ستة شهور . واستطعنا تجميع الأحكام الصادرة من محاكم أمن الدولة فى أحداث الشغب بمدن الأسكندرية و المنصورة و المنيا و أسوان و قنا و الجيزة و عدد من أحياء القاهرة (الساحل و الشربية و السيدة زينب و الدرب الأحمر و المطرية و حدائق القبة و حلوان) فقط فبلغ عدد المتهمين ٥٣٧ حكم بالبراءة لعدد ٤٢٣ و بلغ مجموع الأحكام على الباقين (١٤٤ أى ٢١,٢٪ من المقبوض عليهم) ٤٤٦ سنة (مع أعمال الشهور) اشغالاً شاقة و سجناء و حبسا بمتوسط ٤ سنوات تقريباً لكل منهم ..

وبلغ مجموع التعويضات و الغرمات المحكوم بها على هؤلاء ١٠٧١٦٣٠ جنيه .

وتم تنفيذ هذه الأحكام ، ومازال بعض المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة عشرة سنوات فى السجون حتى الان . أما السياسيون المتهمون بالأنضمام إلى احزاب منظمات شيوعية و بالتحريض على أعمال العنف فقد بلغ عدد المتهمين منهم نهاية الأمر١٦٦ متهماً أستغرقت محاكمتهم أكثر من ثلاث سنوات ، فصدر فى ٢/ ٤/ ١٩٨٠ الحكم على عشرين

٢٠ منهم بأحكام مجموعها ٤٢ سنة سجن وحبس (بمتوسط سنتان لكل منهم) وبالبراءة للباقين البالغ عددهم ١٤٦ ، وكانت نسبة المعاقين ١٤٪ تقريباً .

غير أن هذه الاحكام نفسها لم تنفذ ـ إذ اعترضت النيابة عليها و اعيدت القضية أمام دائرة أخرى لا تزال تنظرها عند كتابة هذه السطور .

ولعل هذه الأرقام تشير إلى أن الصفوة تتمتع فى نظر السلطة بمركز متميز ، وأن كان ما بينهما ما كان .

السادات والقذافي

القذافي في مذكرات السادات

يكمل الرئيس الراحل محمد أنور السادات رحلته أو كفاحه كما يسميه في كتابه " البحث عن الذات " سيرة ذاتية والتي يحكي فيها مشوار حياته ، وكعادة السياسيين حرص السادات علي إضفاء كل البطولات علي ذاته . والآخرين بدائل وأولهم عبد الناصر ، الذي أفاض السادات في الحديث عنه لدرجة استهلكت أكثر من نصف المذاكرات ويري السادات حسب ما جاء في المذكرات : كان الأصل في تعين محمد نجيب رئيساً لمجلس قيادة الثورة أن وجوده سوف يضع حداً للصراعات داخل المجلس نظراً لأننا جميعاً من أعمار متقاربة ، أما هو فيكبرنا بكثير ، ولكن للأسف فإن الذي حدث هو العكس ، فقد بدأت صراعات جديدة دخلها نجيب ، وفوجئت أنا بحملة إشاعات ضدي يقودها محمد نجيب وصلاح سالم كما أخبرني عبد الناصر في ذلك الوقت . لم يكن هذا بالأمر الذي يهمني أو يشغل بالي ، ولكن المسائل تطورت بعد ستة شهور فقط من قيام الثورة أي ديسمبر سنة ١٩٥٢ ، فإذا بنا نفاجأ باتصال بعض رجال الأحزاب ببعض ضباط القوات المسلحة وكان تفسير هذا الأمر بسيطاً ، وهو أن الأحزاب التي كانت تتصارع علي الحكم بالتقرب إلي الملك تارة وإلي الإنجليز تارة أخري أو إلي الاثنين تارة ثالثة وجدت فجأة أن الثورة في الأيام الثلاثة الأولي لها قد عزلت الملك وعزلت أيضاً في نفس الوقت نفوذ بريطانيا الإمبراطورية العتيدة ، وأصبحت سلطة السيادة في مجلس قيادة الثورة الذي يتكون من ضباط مصريين في القوات المسلحة المصرية ،

أو بمعني أخر أصبحت القوات المسلحة هي مصدر السلطات فلماذا لا تحاول الاتصال بها كما كان الحال مع الملك ومع الإنجليز ؟

وعندما وضعنا ذلك في مجلس قيادة الثورة ، كان لابد من مواجهة الوضع الجديد لكي نفهم السياسين والأحزاب أن القوات المسلحة ليست لحزب ولا لفئة معينة ولا لطائفة وإنما هي للوطن . فوضعنا السياسين في المعتقل ، أما الضباط الذين حاولوا التآمر مع هؤلاء السياسين من الأحزاب فحكموا محاكمة عسكرية ، وفي ١٦ يناير ألغينا الأحزاب ، وصدر قرار مجلس الثورة بإلغاء الأحزاب ووضع السلطة التنفيذية والتشريعية في مجلس الثورة ثلاث سنوات تنتهي في ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ .

هنا بدأ الإخوان المسلمين الصراع المفتوح ، فصدر قرار من مجلس الثورة بحل الجماعة ، ولكنهم ظلوا علي نشاطهم إلي مارس ٥٤ ثم إلي أكتوبر ٥٤ عندما حاولوا قتل جمال عبد الناصر في ميدان المنشية بالإسكندرية .

كانت ميزانية مصر في ذلك الوقت ٢٠٠ مليون جنيه وهي اليوم ٥٠٠٠ مليون ومع ذلك فقد كان وضعنا الاقتصادي لا بأس به . فبعد رفض الأمريكان لنا . اتصلنا بالسوفيت في أوائل عام ١٩٥٣ ، وكان ستالين في مرض الموت وقتذاك ، ولكنهم رفضوا هم أيضا بدورهم ، لأن مبادئ ستالين كانت تمنعه من إعطاء السلاح إلا للدول الشيوعية ، ولكن حدث أن ألتقي "شواين لاي" بعبد الناصر في مؤتمر "باندونج" في ربيع ١٩٥٥ فتوسط لدي السوفيت وتشيكوسلوفاكيا في سبتمبر ١٩٥٥ . أذكر بهذه المناسبة أنه لما مات عبد الناصر أرسلت أنا مبعوثين إلي جميع الدول ، كان مبعوثنا إلي الصين وبادره "شواين لاي" بالسؤال ، تعرف مين اللي قتل عبد الناصر وهو عنده ٥٢ سنه وأجابه بأنهم " السوفيت " وهذا صحيح علي ما اعتقد .

في ديسمبر ١٩٥٣ أنشأت جريدة الجمهورية وتوليت رئاسة تحريرها وكانت تعتبر لسان حال الثورة ، وقد قامت بدور ملحوظ في إحباط حلف بغداد ، ورغم عزوفي عن السلطة فترة طويلة ، إلا أنني قبلت العمل كوزير دولة في الوزارة التي شكلها عبد الناصر في سبتمبر ١٩٥٤ تضامنا معه في دفع عجلة الأمور ، وفي يناير ١٩٥٥ تم إعلان قيام المؤتمر الإسلامي وتوليت منصب السكرتير العام له ، وقد أتاح هذا لي زيارة بلاد المنطقة لجمع شمل الدول العربية والإسلامية ، وكذلك العمل من أجل تحقيق أهداف سياسية وقومية تخدم قضايانا ، فلست أبالغ إذا قلت إنني قمت بدور فعال في إحباط حلف بغداد .

ونصل مع الرئيس السادات إلي عام ١٩٦٦ فيقول انتهت سنة ١٩٦٦ والصراع بين عبد الناصر وعامر علي أشده فكل منهما متربص بالآخر وخاصة أن عامر كان كل يوم يوسع رقعة سلطانه ، فعن طريق لجنة الإقطاع والتعلل بالثورة المضادة استطاع أن يضرب من يشاء ، وأن يعزل أو يبقي من يشاء في مؤسسات الدولة وجميع مناصبها بما في ذلك النوادي الرياضية ، بل أن شكاوى الهيئات العامة أو الأفراد كانت تحال إلي القوات المسلحة للنظر فيها وحلها حسب ما يتراءى لها ، وهكذا تراكمت السلطات في يد عامر حتى أصبح الآمر الناهي المتحكم في مصير الناس وفي كل ما يتعلق بالبلد من أحداث .

دخلنا حرب سنة ١٩٦٧ والكآبة تخيم علي مصر ، والبلاد مفلسة لأن الخطة طموحة ، ولا يوجد المال الكافي لتمويلها ومشاكل الخدمات التي أجل علي صبري حلها منذ سنة ١٩٦٢ تتراكم يوما بعد يوم ، وذلك حتى يتظاهر أمام عبد الناصر بأنه يبني صناعات لم تكن تقوم في الحقيقة علي أي أساس وأخطر من هذا كله الصراعات التي بلغت أشدها بين من يحكمون من رجال الثورة وأذنابهم .

كان واضحاً أن عبد الناصر على معرفة بما يجري في البلد . قلت له : مش معقول يا جمال تسيب الجمهورية وتقعد في الاتحاد الاشتراكي عشان عبد الحكيم وأعوانه يحكموا مصر . أنت عارف إن عبد الحكيم أسوأ من يختار معاونيه ـ هم اللي تسببوا في فشل الوحدة مع سوريا ـ ومع ذلك فعبد= الحكيم متعصب لمعاونيه تعصب قبلي تقول له نشيل صدقي قائد الطيران . يقول : قبل ما تشيلوه شيلوني أنا . خلقته كده . ولذلك أعتقد أنه أفضل شيء إنك تجيبه وتكلمه بينه وبينك وبالشكل ده ممكن توصلوا الحل مع بعض .

في عودتي من موسكو كان يرافقني على المطار سيمينوف نائب وزير الخارجية ومعه رئيس البرلمان السوفييتي ، وتحدثنا طويلاً إذ تأخرت الطائرة ساعة أو أكثر وكان حديثهما معي يدور حول موقف سوريا وكيف حشدت إسرائيل عشر لواءات على حدودها ، وعندما عدت إلى مصر وجدت أنهم قد أبلغوا عبد الناصر نفس الخبر. وبعدها صرح أشكول رئيس وزراء إسرائيل أنه إذا اقتضى الأمر فسوف تحتل القوات الإسرائيلية دمشق . في ذلك الوقت كان بيننا وبين سوريا إتفاقية دفاع مشترك . إلى جانب هذا كان الروس على طريقتهم يمارسون لعبة ضرب الزعماء بعضهم بالبعض ، كما حدث أثناء حكم عميلهم قاسم في العراق ، وفي هذه المرة استثاروا عبد الناصر وضربه بالقيادة السورية على أنها أكثر تقدمية . ولذلك أعطى الأوامر لعبد الحكيم عامر بحشد قواتنا في سيناء ، وكان الهدف الحقيقي من هذا تخويف إسرائيل .

ويستطرد الرئيس السادات ذكرياته عن نكسة ٦٧ فيقول : عندما وقعت الكارثة يوم ٥ يونيو علمت أن الخطة التي صدق عليها عبد الناصر غيرها بعد ذلك عبد الحكيم عامر بالكامل ، وكان هذا واضحاً كل الوضوح فقد احتلت إسرائيل العريش مساء ٥ يونيو مع أنها لم تستطع ذلك في سنة ١٩٥٦ بينما كانت قواتنا في ذلك الوقت أضعف عشرات المرات مما كان عليه في سنة ٦٧ . وفي يوم الإثنين ٥ يونيو وبناء على تغييره للخطة

أخذ عامر جميع القادة معه في طائرة وراح يفتش على سيناء ـ ومن الطبيعي أنه عندما يكون القائد العام في الجو تصدر الأوامر للصواريخ بالتوقف عن العمل وفي هذه الأثناء ضربت إسرائيل جميع مطاراتنا وطائراتنا وهي على الأرض ، وهكذا يمكن أن نقول إن الحرب بدأت وانتهت وعامر في الجو.

ثم يتساءل السادات : كيف علم هو بالكارثة ؟ فيقول: في صباح الإثنين ٥ يونيو عرفت من الراديو أن إسرائيل قد بدأت الهجوم فقلت في نفسي : حسناً ، سوف يتعلمون درساً لن ينسوه مدى الحياة ـ كنت مطمئناً كل الاطمئنان ، فحلقت ذقني وارتديت ملابسي على مهل وتوجهت بسيارتي إلى القيادة ـ كنت قد حضرت إعداد الخطة بالكامل ، وكانت ثقتي بالنصر أكيدة ، فعدتنا أكثر من كافية والخطة محكمة للغاية . وصلت القيادة حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً وشاهدت سيارة السفير الروسي تتقدم سارتي فقلت لا بد أن السفير قد أتى ليقدم تهانيه . سألت ما الأخبار ؟ فقال بعض الضباط إننا أسقطنا ٤٠ طائرة إلى تلك اللحظة . قلت: عظيم ! دخلت مكتب عبد الحكيم عامر فوجدته واقفاً يتطلع حواليه بعينين زائغتين . قلت له صباح الخير ، فلم يرد ، أعدت التحية فرد بعد دقيقة . على التو أدركت أن في الأمر شيئاً ، سألت بعض الموجودين فقالوا : إن سلاح الطيران قد ضرب بأكمله وهو على الأرض . وبعد قليل رأيت جمال عبد الناصر يخرج من الصالون ، ثم بدأ عامر يلقي باللوم كله على الأمريكان قائلاً : إن سلاح الطيران الأمريكي هو الذي ضربنا وليست إسرائيل . ورد عبد الناصر : " أنا لست مستعداً لتصديق هذا الكلام ولا لإصدار بيان رسمي بأن أمريكا هي التي اعتدت علينا إلا إذا أتيت إليّ بجناح طائرة واحدة عليها العلامة الأمريكية ". كان إصرار عبد الناصر على موقفه هذا قوياً لا يقبل الشك أو التردد ، ولكنه بعد ذلك عندما أدرك مدى الكارثة تراجع وأصدر بياناً يتهم فيه أمريكا بالعدوان علينا ، وكان هدفه تغطية الموقف سياسياً أمام الشعب .

وقالت جريدة الأهرام (٢٠ / ١ / ١٩٧٧) إن المظاهرات و المعارك و أعمال العنف توقفت بعد اعلان الحكومة إلغاء رفع الأسعار و إذاعة القرار فى الساعة ٢,٣٠ م يوم ١٩ يناير .

و لكن الصحيح أن بعض الهدوء عاد فى المناطق المركزية بالقاهرة فى حين أن بعض الأحياء الأخرى أستمرت تقاتل حتى ساعة متأخرة من الليل و فجر يوم ٢٠ فى صدامات مع قوات المشاه الميكانيكية و الصاعقة و الشرطة العسكرية التى نزلت بعد اعلان حظر التجول فى الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم ١٩ فى مدن القاهرة و الجيزة و الأسكندرية و السويس ، ووقفت الدبابات أمام منزل السادات بالجيزة .

وقد اشعل المتظاهرون النار فى مركز الأتحاد الاشتراكى بميدان التحرير عند نزول الليل ، وبقيت حرائق صغيرة مشتعلة بالقرب من مجلس الشعب مده طويلة .

فى هذين اليومين ، كانت الفوضى تضرب اطنابها فى صفوف الحكومة و القيادة السياسية للسلطة ورغم أن أجهزة الأمن كانت أكثر اجزاء الدولة تماسكاً فى وجه الهبة ، الا أن اشارات متفرقة تبين ترددا فى صفوف جنود الشرطة ولعله بسبب أن زيادة الأسعار اصابتهم كما أصابت المواطنين العاديين .

واشارت تقارير صحفية أجنبية إلى أمتعاض قوات الجيش الموجودة حول القاهرة من القيام بعملية قمع المظاهرات ، الأمر الذى أجبر الحكومة على سحب تشكيلات من الجيش المرابط فى الجبهة مع إسرائيل .

وعلى أى حال ، فلم تتراجع الحكومة عن القرارات الا فى منتصف اليوم الثانى للمظاهرات و بعد أن أتخذت الهبة شكلاً عنيفاً عاماً ، وكان التراجع هذا على شكل قرار " تأجيل " رفع الأسعار . وفى يوم ٢٦ / ١ ووفق على زيادة الاجور و المرتبات للعاملية فى القطاع العام و أصحاب المعاشات ، وفى نفس الوقت الذى كانت أجهزة الأمن تشن حملة

واسعة من الاعتقالات ، واجهزة الاعلام تملأ الدنيا ضجيجاً عن " المؤامرة الشيوعية " التى كادت أن تنجح فى تخريب مصر .

وقدرت الخسائر المادية لأحداث يناير بمليار جنيه . وارتفعت شيئاً فشيئاً الأرقام المعلنة عن الخسائر البشرية حتى بلغت ٧٩ قتيلا و مئات الجرحى وما بين ١٢٥٠ و ٢٠٠٠ مقبوض عليهم ، ومنهم ٥٥١ من السياسيين بتهمة التحريض و الاشتراك فى تهيئة المناخ لأعمال العنف ، والباقى متهم بالشغب و النهب واتلاف ممتلكات عامة و خاصة مقاومة السلطات .

و من الملفت لنظر أن الأجهزة الحكومية لم توجه أى تهمة لعناصر الحركة الدينية .

أكد النائب العام فى ٢٨ / ١/ ١٩٧٧ عدم وجود اخوان مسلمين بين المقبوض عليهم ، ورغم أن الكافة كان يعلم أن عناصر من الحركة الدينية ساهمت فى الهجوم على النوادى الليلية بشارع الهرم و البارات فى أحياء أخرى . و يستطيع المرء أن يدرك موقف السلطة من هذه العناصر عند التذكر بالأحداث التى جرت بعد ذلك :

فقد خططت السلطة لاستخدام الحركة الإسلامية الجديدة ضد اليسار ثم أعتمدت عليها لإحداث الفتنة الطائفية لحرف الأنظار عن الأستسلام التام للحلف الصهيونى الأمريكى . و فى حين أن المعلومات عن المتهمين السياسين و فيرة ، فتلك المتعلقة بالمتهمين بالشغب والاتلاف و النهب الخ لم تحظ بالأهتمام . وقد أستطعنا تجميع بعضها بصورة غير كاملة ، ولكنها تعطينا مع ذلك مؤشرات واضحة . ففى قسم الشرابية بلغ عدد المقبوض عليهم ٤٥ وتم تسليم ٣ منهم لذويهم وإيداع ١٠ مؤسسات الأحداث و حبس ٢٦ حبساً مطلقاً .

وبلغ عدد المصابين ١٣ من الاهالى و ١٤ من قوة القسم . و فى قسم الأزبكية بلغ عدد المقبوض عليهم ٦٩ أخلى سبيل ٧ منهم وتم تسليم ٧ لذويهم و إيداع ٦ بمؤسسات

ويستمر السادات في سرد مذكراته قائلاً : أذكر أنه في أول يوم تسلمت الحكم أي في يوم ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٠ جاءني سامي شرف وكان كاتم سر عبد الناصر ووزير شئون رئاسة الجمهورية ومعه أوراق كثيرة لعرضها علي ، سألته : إيه دي ؟ قال لي : دي مكالمات تليفونية لأشخاص موضوعين تحت المراقبة . قلت له : آسف ، أنا ما أحبش أقرأ الكلام الفارغ ده ، إذا كان فيه شيء خاص بأمن الدولة أشوفه وأحكم فيه ، أما ناس بتتكلم مع بعضها ، أنا داخلي إيه ؟! وأنتم بأي حق تحطوهم تحت المراقبة ؟ شيل . وأزحت الأوراق من أمامي فجمعها وخرج ، ولكن قبل خروجه كنت قد أصدرت أمري إليه بإلغاء جميع المراقبات التليفونية ، وألا تتم أي مراقبات إلا بأمر القضاء وفعلاً تم هذا .

منذ أول يوم توليت فيه استيقظت في إرادة التحدي ، صحيح أنها لم تنم يوماً طوال السنوات السابقة فهي إحدى مقومات شخصيتي ، ولكنها لم تكن بهذه اليقظة والحدة مثل الآن ، بعد أن تسلمت الحكم ، فقد صارت مسئوليتي أن أسلم الشعب الأمانة سليمة رغم كل الظروف المحيطة به من هزيمة عسكرية كاملة الأبعاد ووضع اقتصادي منهار وعزلة سياسية قاتلة ، فعلاقاتنا مع الدول العربية وأمريكا وغرب أوروبا ممزقة تماماً .

وعن حرب أكتوبر يتذكر السادات قائلاً : في أبريل سنة ١٩٧٣ جاء الرئيس حافظ الأسد إلى مصر في زيارة سرية ، كان الفريق الجمسي وقتها مدير العمليات بالقوات المسلحة ، فأحضر لنا المذكرة التي دون فيها المواعيد المناسبة للعمليات الحربية على مدار السنة من وجهة نظر العلوم العسكرية ، وقد كانت مكتوبة بخط يد الجمسي لأنها سرية . لم أكن أنوي أن أدخل المعركة في مايو سنة ١٩٧٣ ، ولكن كجزء من الخداع الاستراتيجي قمت بحملة في الصحف عندي وفي الدفاع الشعبي فما كان من الإسرائيليين إلا أن صدقوا وفي الأيام المناسبة للحرب حشدوا جيوشهم بينما كنت أنا في حالة استرخاء تام ، وفي أغسطس

من نفس السنة فعلت نفس الشئ وكان رد الفعل في إسرائيل هو نفس ما صنعوه في مايو فأعلنوا التعبئة العامة، ولذلك عندما سُئل موشى ديان بعد حرب أكتوبر : لماذا لم يعلن التعبئة في أكتوبر ؟ قال : إن السادات قد دفعني إلى هذا مرتين مما كلفني في كل مرة عشرة ملايين دولار دون جدوى ، فلما جاءت المرة الثالثة ظننت أنه غير جاد مثلما حدث في المرتين السابقتين ، ولكنه خيب ظني .

كان الموقف على غير ما يتصوره العالم كله ، فقد كان اعتقاد الجميع في العالم أن الاتحاد السوفيتي يقف إلى جانبنا وأنه قد أرسل الكوبري الجوي لنجدتنا ، ولكن الموقف كان غير ذلك في الواقع ، فأمريكا وإسرائيل في مواجهتي، والاتحاد السوفيتي في يده خنجر ويقبع وراء ظهري ليطعنني في أية لحظة عندما أفقد ٨٥٪ أو ٩٠٪ من سلاحي كما حدث في سنة ١٩٦٧ ، وقد أصبح من الواضح أن أمريكا تستطيع أن تقضي على دفاعي الجوي بأكمله باستخدام القنابل التليفزيونية الجديدة، وبهذا تعود سماء مصر مفتوحة للإسرائيليين كما حدث في عام ١٩٦٧ . وقد كان حسني مبارك قائد الطيران يستخدم كل الطائرات الموجودة حتى طائرات التدريب التي في مدرسة الطيران ركب بها صواريخ وقاتلت ، وطائرات الميج ١٧ وسرعتها أقل من سرعة الصوت استخدمها طيارونا بمهارة شديدة ضد الفانتوم والميراج .

تدهور العلاقة كيف كان وإلى أين أنتهى؟

سأل السَّادات الأستاذ/ مُحَمَّد حسنين هيكل بعد مغادرة القذافي لمصر من مطار "قويسنا" العسكري وانفضاض مهرجان توقيع "ميت أبو الكوم"، قائلاً: هل تريد يا محَمّد أنّ أدخل في وحدة مع "ولد مجنون" !؟.

ركب الأستاذ/ محَمّد حسنين هيكل في سيارة الرئيس الرولز رويس المعدة لنقله من ميت أبو الكوم إلى القاهرة، وجلس إلى جانب السَّادَات. وقال هيكل عن هذه الواقعة...{..جلست معه في سيارته (وكانت سيارة "رولز رويس" فخمة أهداها إليه أحد مشايخ الخليج).. ومضت دقائق ونحن في سكوت، وأحسب أنّ كلينا كان يستعيد في ذاكرته ساعات ومشاهد يوم حافل.

وقطع السَّادَات صمته وقال لِيَ (منادياً باسمي الأوّل كما كان يفعل عادة): – " محَمّد – هل تريد أنّ أدخل في وحدة مع "ولد مجنون ؟"...}(الأستاذ/ محَمّد حسنين هيكل – كتاب: كلام في السِّياسَة – المصريّة للنشر العربي والدولي / الطبعة الأولى: فبراير ٢٠٠٠م.)

والحاصل.. السَّادَات هو من وصف القذافي بالجنون.. وهو من قال له: " إذا كنت تتصور أنّك تشتري سياساتي بأموالك فأنا في غنى عنها ".. وهو من نهض واقفاً ذات مرة من جلسة جمعته في بيته مع القذافي، ثمّ مشى وتركه يتحدث مع آخرين وكأن وجوده لا يعنيه ولا يهمه في شيء . وقال هيكل عن هذا الموقف..{.. لحقت بالسَّادَات وقلت له:" الرجل في بيتك – ضيف عليك". وكان قصارى ما فعله السَّادَات كحل وسط أنّ ألتفت قائلاً للجميع: "البيت هنا ليس بيتي ولكنه بيتكم جميعاً.."}(الأستاذ/ محَمّد حسنين هيكل – كتاب: كلام في السِّياسَة – المصريّة للنشر العربي والدولي / الطبعة الأولى: فبراير ٢٠٠٠م.)

وهو من قال للقذافي: " إلزم حدَّك" أمام عدد من السياسيين والصحفيين وعلى رأسهم الصحفي الشهير/ محمّد حسنين هيكل. ويذكر أنّ القذافي علق في أحدى جلساته مع السّادات على إعلان نشرته جريدة " الأهرام" من أربع صفحات حول منجزات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في دولة الإمارات العربيّة المتحدة، قائلاً..{.. هذا تمجيد في الرجعيّة. ولا يكفي أنّ يقال آنه إعلان. وأضاف قائلاً: اليوم تُمجّدون في الشيخ زايد وغداً يكون التمجيد في فيصل. فقال السّادات رداً على القذافي: لا تغلط في حق فيصل. هو صديقي. ويا معمر إلزم حَدّك.. قلت لك هو صديقي.

وفي مواقع أخر.. كان القذافي ذات مرة واقفاً ينظر إلى النيل فقال:.."..لو أنّ لدينا في ليبيا مثل هذا النيل لاختلفت أوضاعنا..". فردّ السّادات عليه ضاحكاً ساخراً، قائلاً:.."..أعطني بترول ليبيا وأنا أحَول إليك فرعاً من نهر النيل ". ثمّ قال له غاضباً: "..أنت تحسدنا على مياه النيل.."}(الأستاذ/ محمّد حسنين هيكل – كتاب: كلام في السّياسة – المصريّة للنشر العربي والدولي / الطبعة الأولى: فبراير ٢٠٠٠م.)

كان الرئيس المصرى يميل للعظمة ويحب التعامل مع الملوك عن الثوار

كان الرئيس محمّد أنور السّادات يميل للملك إدريس السنوسي ويحترمه احتراماً بالغاً وكبيراً. ومنذ أنّ تولى في ١٧ أكتوبر ١٩٧٠م رئاسة مصر بعد وفاة عبدالناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م. وكان يعامل السيد إدريس وعائلته يعاملون بما يستحقونه من تكريم واحترام، كما استطاعوا أنّ يعيشوا حياة طبيعيّة مثل غيرهم من النّاس..}(السيد/ ئي.آ. ف. دي كاندول – كتاب: "الملك إدريس عاهل ليبيا.. حياته وعصره" – صدر على نفقة المؤلف باللغة الإنجليزيّة في عام ١٩٨٨م، وقام السيد/ محمّد بن غلبون بنشره بعد ترجمته إلى العربيّة، وذلك في عام ١٩٨٩م على نفقته الخاصّة.)

علاقة السادات بملك ليبيا السابق أدريس السنوسي المتميزة العورة المقابلة كانت من اسباب تدهور علاقته بالرئيس معمر القذافي.

كان الرئيس محمّد أنور السّادات يميل للملك إدريس السنوسي لأنه تعامل معه في فترة الإعداد للمجهود الحربي بعد نكسة ١٩٦٧م. فحينما كان يأتيه كمبعوث من حكومة الرئيس جمال عبدالناصر كان الملك يستقبله بكرم وحفاوة بالغة، ولم يرجعه مرةً واحدةً مكسور الخاطر أو أنّه تأخر في يومٍ من الأيامِ عن دعم مصر .

تعامل السّادات مع الملك إدريس بكرم منقطع النظير، واحترام فائق، وتقدير كبير لدرجة أنّه قدمه على كلّ الحضور في حفل زواج أبنته، فجعله وكيلاً أناب عنه على توقيع عقد الزواج. وحفل الزواج تمّ في بيت السّادات في الجيزة بمدينة القاهرة، ولا أعلم تحديداً إن كان السّادات جعله وكيلاً على زواج أبنته السيدة/ جيهان التي تزوجت من المهندس/ محمود أبن رجل الأعمال الشهير عثمان أحمد عثمان أو وكيلاً على زواج أبنته السيدة/ نهى التي تزوجت من الأستاذ/ حسن ابن رجل الأعمال الشهير السيد مرعي.

وفي سياق أخر.. فقد حضر السّادات شخصياً والسيدة/ جيهان حرمه حفل زواج بنت الملك بالتبني "سُليمة "، التي تزوجت من " د/ هشام رضوان" سليل عائلة مصريّة عريقة من الباشوات.

أصدر السّادات منذ توليه للحكم رسمياً في ١٧ أكتوبر ١٩٧٠م تعليماته لأجهزة الدولة المصريّة بتلبية كافة طلبات الملك إدريس السنوسي، وتسهيل كافة الإجراءات أمام أيّ فرد من أفراد العائلة السنوسيّة ينوي القدوم إلى مصر أو الإقامة فيها. ورفع الحظر عن إتصالات الملك وتحركاته، والتي فرضها عبدالناصر عليه بحجج الأمن والحفاظ على سلامته الشخصيّة. وحرص السّادات منذ استلامه للسلطة على زيارة الملك إدريس في بيته، والاطمئنان بنفسه على أنّ الملك يلقى المعاملة والتقدير الذين يستحقهما. ولعلّ في

السّادات للملك إدريس السنوسي وكيلاً على زواج أبنته ما يدل على مدى تقديره له. ولعل في خروج السّادّات سرعاً من القاعة الموجود بها في مناسبة من المناسبات لحظة وصول الملك وفتحه لباب السيارة ومده يداه داخل السيارة ليعين الملك على الخروج ثمّ دخوله إلى القاعة ممسكاً بيد الملك

أعطى السّادات مفتاح استراحته الخاصّة بالإسكندرية (استراحة المتنزه) للملك لكي يستخدمها كلما أراد أنّ يخلد إلى الراحة أو شعر بحاجة للاستجمام. فقد عبر السّادّات عن تقديره للملك في أكثر من خطاب له أمام مجلس الشّعب. فقد أثنى الرئيس الراحل محَمّد أنور السّادات في أحد خطاباته على الملك إدريس، فقال فيما معناه:..(.. نحن استقبلنا الملك السنوسي وسمحنا له أنّ يقيم في مصر لأنّ مصر بلده ويحبها كحب المصريين لها، وله أفضال كبيرة على مصر. فحينما كنت آتيه كمبعوث من الحكومة المصريّة في فترة المجهود الحربي بعد نكسة ١٩٦٧م كان يستقبلني في كل مرة بحفاوة وكرم ثمّ يبادرني بالسؤال عن أحوال مصر واحتياجاتها. وحينما كنت أطلب منه باسم الحكومة المصريّة العون والمساعدة الماليّة، كان يقول لي:.."..يا أبني، أنا من طرفي موافق، ولكن انتظرني قليلاً لأعرض المسالة على البرلمان لأنّه هو الجهة المخولة بإتّخاذ القرار.."

القذافي والسادات من واقع الوثائق البريطانية

الوثائق السرية البريطانية ١٩٧٥

* وثيقة رقم: ٤٥

- التاريخ: ٢١ نوفمبر ١٩٥٧ - من: بي. اس. ايستوود، السفارة، القاهرة. - الى: جي. لوويز، الخارجية لندن. سري للغاية

* الموضوع: ليبيا ومصر.

شكرا على خطابك بتاريخ ١٢ نوفمبر حول جهود كونفدرالية الجمهوريات العربية للتوسط بين مصر وليبيا.

في خطابي بتاريخ ٢٠ أكتوبر لديفيد بلاترويك كتبت عن تحركات البرلمان الكونفيدرالي لعمل شيء حول الخلاف المصري الليبي، ولكن تلك التحركات لم تصل بعد لأي شيء. الاتحاد بصورة عامة والبرلمان الكونفيدرالي على وجه التحديد، يبدوان، ومما يثير الحيرة، مؤسسات بلا فعالية. تقرير «الأهرام» الذي أشرت إليه في خطابك بتاريخ ٣ نوفمبر، يقرأ:............ بقية الفقرة مختصرة لما حملته صحيفة «الأهرام».. الإيضاح من الشرق الأوسط.

هناك، وعلى الأقل على صعيد الصحافة، إشارات لمحتويات ذلك التقرير. السادات عاد الآن من أميركا فيما لم تكن هناك إشارات لاستقباله لمحمد شاهين نائب رئيس البرلمان الكونفيدرالي أو لتقريره حول عائد زيارته الى ليبيا، أو تلقي وزير الاقتصاد المصري دعوة من القذافي لزيارة ليبيا. وحتى رئيس الوزراء المصري الذي أوردنا زيارته المرتقبة الى ليبيا في برقيتنا رقم ١٢٠٥، لا يبدو أنه على عجلة من أمره للمغادرة، ولكن هناك توقعات بأن يذهب في القريب.

الحساب الأخير الخاص والمسؤول عن وجهة النظر المصرية للعلاقات مع ليبيا. هو الذي قال به حسني مبارك نائب الرئيس للسير مايكل باليزر يوم ٢٧ أكتوبر، (ورد التقرير عنه في رسالة السفير في ذلك اليوم لآلن اورويك). ووفقا لحسني مبارك، القذافي وتحت الضغوط من الخروبي يريد تحسين علاقاته مع مصر، ولكن السادات غير متعجل تجاه أي شيء .. والسادات نفسه وهو يتحدث الى الصحافيين المصريين في فلوريدا يوم ٤ نوفمبر، بمعنى أن ذلك بعد زيارة محمد شاهين الى شيكاغو، أنكر، أي السادات، بأن هناك أي تقارب مع ليبيا، وأن العلاقات في مكانها رغم توقف التدهور فيها.

إذا كنت لم تطلع عليه، فإني أرى أن أضيف أن القذافي وفي حوار أجرته معه «تيمبو» يوم ٩ نوفمبر، أبان موقفه العام المتسم بالهدوء والتناقض أو الازدواج كما وصفه خطاب بريس بتاريخ ٤ نوفمبر. وفي ذلك الحوار، وبسؤاله عن السياسة المصرية أجاب القذافي بالقول: أعتقد أن هناك ظروفا، حتى لو كانت من النوع القاسي، تجد الدولة معها نفسها مجبرة على قبولها لأنها آتية ومفروضة بالقوة، وأعتقد أن مصر الآن في مثل هذا الموقف، ومن المحتمل أن مثل المنطق الوحشي للقوة هو الذي فرض على مصر الحلول التي تتبعها في هذه الأيام.

أعتقد أنه بالإمكان اعتبار تلك الإجابة تصالحية، ولكن ليس هناك وبالتأكيد دليل كاف متوفر لجهة الاستنتاج بأن مصر تعمل الآن نحو مصالحة حقيقية مع ليبيا. وربما تكون المؤشرات الأكثر تأكيدا لتوجهات البلدين متوفرة حينما يزور رئيس الوزراء المصري ليبيا، وترشح آثارها.

* توقيع بي .اس. ايستوود صورة لـ: القنصلية بطرابلس

شهادات عن السادات وعصره

سياسيون مصريون عملوا مع الرئيس المصري الراحل يتحدثون عن ملابسات عملية اغتياله وصدامه مع مراكز القوى

تضمن كتاب شهود عصر السادات الذي صدر حديثا بالقاهرة للكاتب علي حسن عبدالباقي عدة شهادات لمجموعة من أبرز السياسين المصريين الذين رافقوا الرئيس المصري الراحل أنور السادات خلال فترة حكمه إلى اغتياله في ٦ اكتوبر ١٩٨١ . وفي شهادته التي وردت في الكتاب، يتهم الدكتور صوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب الأسبق عملاء لقوى أجنبية كان لها مصلحة في التخلص من الرئيس السادات وهي التي ساعدت هؤلاء القتلة، مشيرا الى ان خلافا نشب بين السادات وامريكا واسرائيل اللتين توهمتا «انه اذا ما تمت اعادة سيناء لمصر فإن السادات سينفض يديه عن القضية العربية ولكن تبين لهم انه على العكس من ذلك يريد أن يأخذ سيناء ليفتح الباب للعرب في الدول التي بها أراضي محتلة للحصول على حقوقهم عبر مسيرة السلام على غرار ما فعلته مصر».

وأعرب أبو طالب عن اعتقاده بأن «احدى الجهات الاجنبية قامت بعمل غسيل مخ لقتلة السادات حيث أوهمتهم بأن زعيمهم السياسي أخطأ في عدة أمور، ولكن الحقيقة ان السادات لم يخطيء بل أصبح عقبة في طريق اميركا واسرائيل».

أما الدكتور عبدالقادر حاتم رئيس الوزراء بالانابة في حرب اكتوبر ١٩٧٣، فيتحدث عن موضوع وهو تصديه لمحاولات المخابرات السوفياتية تجنيد بعض العاملين بالاذاعة والتلفزيون. ويذكر انها اعطت لبعضهم سيارات ونقوداً، وانه عندما أبلغ الرئيس

عبدالناصر بذلك أمر بأن يأخذ العاملون هذه السيارات لأنفسهم، ويستمروا بإعطاء المخابرات السوفياتية معلومات مضللة.

كذلك يتناول حاتم في شهادته محاولة اشعال الفتنة الطائفية في مصر قبل ايام من حرب اكتوبر، وكيف نجح في المصالحة بين الرئيس السادات والبابا شنودة اثر محاولة للوقيعة بينهما. وطبيعة تعامله مع المظاهرات العارمة التي كانت تطالب بتحرير الأرض والتي توجه بعضها الى منزل السادات بالجيزة قبل ٤٨ ساعة من بدء المعركة.

وأستعرض حاتم عملية التمويه الاعلامي على اسرائيل والنجاح في إيهامها بأن مصر لا تنوي الحرب الى أن تحققت المفاجأة الاستراتيجية، وتم اختيار ساعة الصفر في الوقت المناسب.

وتناول اللواء النبوي اسماعيل الحالة الأمنية في مصر بدءا من قضاء السادات على مراكز القوى وانتهاء بحادث المنصة. ويقول انه رغم عمله كمدير لمكتب ممدوح سالم وزير الداخلية عام ١٩٧١ الا انه توجه للمحكمة التي كانت تجري محاكمة مراكز القوى وأدلى بشهادة حق لصالح وجيه اباظة كانت سببا رئيسيا في تخفيف الحكم عنه وتبرئته من تهم خطيرة.

ان الرئيس السادات سمح بحرية للتيار الاسلامي لأنه كان يرى ان يكفل الحرية لكافة القوى، مشيرا الى ان العلاقة توترت بين الرئيس السادات والاخوان المسلمين عندما تجاوز بعض رموزها في توجيه انتقادات اليه.

واشار الى انه اثناء عمله كوزير داخلية سعى لعدم اندماج الاخوان المسلمين والجماعات الاسلامية أوالتامهما حتى لا يشكلان قوة كبيرة مناوئة للنظام، وانه كان يستعين بعمر التلمساني في التصدي لبعض اخطار هذه الجماعات ونشاطاتها.

وأشار النبوي الى أن الرئيس السادات أصدر قرارات سبتمبر ١٩٨١ في اعقاب هجوم حاد كان يتعرض له من بعض قوى المعارضة، دفع ببعض الاصوات بداخل اسرائيل الى المناداة بعدم تسليم سيناء لمصر وفقا للاتفاقات المبرمة، فرأى الرئيس «ضرورة التحفظ على هؤلاء المعارضين على أن يتم الافراج عنهم في ٢٥ ابريل بمناسبة الاحتفال بعودة سيناء».

وأكد النبوي انه ونائب رئيس الجمهورية حسني مبارك اعترضا على ان تشمل قرارات سبتمبر الشخصيات السياسية الا ان الرئيس السادات صمم على ذلك.

وأوضح النبوي انه حذر الرئيس السادات من خطورة ذهابه الى العرض العسكري في ليلة السادس من اكتوبر لأنه يمكن ان يتعرض للاغتيال، الا انه صمم على الذهاب الى العرض فكانت عملية اغتياله.

ويتضمن الكتاب أيضاً شهادة للدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء الأسبق حول سلاح البترول في حرب اكتوبر ١٩٧٣، ومسيرة السلام بين مصر واسرائيل، وهو يرى ان المعارضة العربية الشديدة للرئيس السادات في ذلك الوقت واستقالة وزيرين للخارجية هما اسماعيل فهمي ومحمد ابراهيم كامل لم يكن لهما أي تأثير على عزمه على مواصلة مسيرة السلام واستعادة الأراضي المصرية المحتلة.

الرئيس أنور السادات كما تراه جيهان السادات

بعضا من الحوار الذي تم على قناة الجزيرة في برنامج (شاهد على العصر)

أحمد منصور:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأهلاً بكم في حلقة جديدة مع شاهد جديد على العصر. شاهدتنا على العصر في هذه الحلقة والحلقات القادمة السيدة جيهان السادات.

تُعتبر السيدة جيهان صفوت رؤوف وشهرتها جيهان السادات أكثر النساء اللاتي ظهرن خلال القرن العشرين إثارة للجدل في المنطقة العربيَّة، حيث لازالت هناك كثير من التساؤلات وعلامات الاستفهام تُثار حول طبيعة الدور الذي لعبته في الحياة السياسيَّة في مصر، ليس خلال فترة رئاسة السادات لمصر بعد وفاة جمال عبد الناصر في الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٠م فحسب، وإنما منذ زواجها بأنور السادات في عام ١٩٤٩م وحتى اغتياله في السادس من أكتوبر عام ١٩٨١م.

وُلدت جيهان صفوت رؤوف في حيِّ الروضة بمدينة القاهرة عام ١٩٣٣م لأم بريطانية مسيحيَّة هي السيدة (جيلاديس تشارلز كوتريل) وأب مصري مسلم هو السيد صفوت رؤوف.

التقت مع السادات للمرة الأولى في السويس لدى قريب لها صيف عام ١٩٤٨م، وكانت في الخامسة عشرة من عمرها، حيث وقعت في غرامه وقررت الزواج منه رغم أنه كان متزوجاً ولديه ثلاث بنات، وبالفعل تزوجته جيهان في التاسع والعشرين من مايو عام ١٩٤٩م بعد طلاقه لزوجته الأولى. ولدت له جيهان أربعة أولاد، هم: لُبنى وجمال ونهى وجيهان الصغيرة التي التقيتها مع بناتها أثناء أحد أيام التصوير.

شاركت جيهان السادات زوجها الرئيس الراحل معظم الأيام والأحداث الهامة التي شهدتها مصر، بدءاً بليلة الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢م حينها اندلعت الثورة، وكانت معه في السينما مروراً بالصراعات التي قامت داخل مجلس قيادة الثورة والمناصب المختلفة التي تولاها السادات أثناء رئاسة عبد الناصر لمصر، رافقت السادات في زيارته المثيرة للجدل التي قام بها إلى الولايات المتحدة الأمريكية حينها كان رئيساً لمجلس الشعب المصري عام ١٩٦٦م.

عايشت الصراع الذي قام بين عبد الناصر والمشير عامر خلال فترة الستينيات، حيث كان بيت السادات هو الملجأ لكل منهما، حتى بعد وقوع الهزيمة عام ١٩٦٧م.

ورغم أن عبد الناصر بعد انتحار المشير في سبتمبر عام ١٩٦٧م منع أعضاء مجلس قيادة الثورة من المشاركة في جنازته إلا أن جيهان شاركت في الجنازة، وذهبت إلى مسقط رأس المشير.

بدأت نشاطها العام بداية الستينيَّات إلا أن دورها بدأ يتبلور بعد تعيين السادات نائباً لرئيس الجمهوريَّة في التاسع عشر من ديسمبر عام ١٩٦٩م، ثم اختياره رئيساً بعد وفاة عبد الناصر في الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٠م، وكانت بداية حكم السادات لمصر هي بداية أيضاً لدور سياسي جديد مثير للجدل فرضته جيهان السادات على الحياة السياسيَّة المصريَّة هو دور زوجة الرئيس التي أخذت لقباً جديداً أيضاً في تاريخ مصر السياسي الحديث هو لقب (سيدة مصر الأولى) التي تدَّعي جيهان أنها لا تعرف حتى الآن مَنْ الذي أطلق عليها هذا اللقب، وبذلك أصبحت هناك مؤسسة توصف بأنها مؤسسة موازية لمؤسسة الرئاسة هي مؤسسة زوجة الرئيس.

شهدت مع السادات كل الأحداث الهامة، وشاركت في صناعة كثير منها، وتبنت بعض المشروعات على رأسها مشروع تنظيم الأسرة ودعم الدور السياسي للمرأة، وعدَّلت بعض القوانين على رأسها قانون الأحوال الشخصيَّة الذي لازال يُعرف في مصر حتى الآن بقانون جيهان.

رافقت السادات في معظم رحلاته وأسفاره التي قام بها خارج مصر، وكما كانت معه ليلة الثورة كانت معه يوم اغتياله في المنصة في السادس من أكتوبر عام ١٩٨١م.

أخذتني حيث كان يجلس السادات، وحيث كان ينام، وحيث كان يمشي. وشاهدت لوحاتها الزيتيَّة التي رسمتها على مرِّ السنين، والتي تزين بها جدران منزلها الذي تعيش فيه منذ عُيِّن السادات نائباً لرئيس الجمهوريَّة عام ١٩٦٩م، ولأنها لم تكن مجرد زوجة لرجل حكم مصر أحد عشر عاماً في فترة خطيرة وهامة من تاريخ مصر الحديث، وإنما كانت

تشارك بشكل أو بآخر في صناعة القرار فإن شهادتها تمثل أهميَّة خاصة، لأنها -أيضاً- شهادة على عصر السادات.

أود في البداية أن أعود بكِ إلى حيِّ الروضة حيث وُلدتِ ونشأتِ ومؤثرات النشأة الأولى في حياتك.

جيهان السادات:

طبعاً النشأة لها تأثير مؤكد على الإنسان، أنا نشأت في الروضة في جو هادئ بين أم وأب. حقيقي أمي إنجليزيَّة مش مصرية، لكن جمع بين أبويا وأمي حب شديد جداً اللي خلاه اتجوزها وجابها مصر، فكان البيت كله شعور بالحب والحنان والإحساس بأولادهم ويعني كان اللي أذكره وأنا طفلة أبويا كان يقعد معانا كتير ووالدتي ويدونا من وقتهم كتير مش يعني .. دي مهمة جداً، ودايماً أنا بأصر حتى في كلامي على الأطفال إن لازم يستمعوا .. الأب والأم يستمعوا لأولادهم ويشوفوا مشاكلهم ويختلطوا بيهم، ده بتحمي الأطفال.

فأنا الحقيقة طلعت في جو هادي جميل، أب وأم بيحبوا بعضهم، ويتفانوا في تربيَّة أولادهم، فالحقيقة كانت بيئة يعني أقدر أقول بيئة جميلة إنها تطلعنا يعني هادين وكويسين.

أحمد منصور:

والدتك هي السيدة جيلاديس تشارلز كوتريل.

جيهان السـادات:

أبوه.

أحمد منصور:

بريطانية.

جيهان السـادات:

نعم.

أحمد منصور:

والدك هو السيد أو الدكتور صفوت رؤوف.

جيهان السادات:

نعم.

أحمد منصور:

كان في وزارة الصحة، تَعرَّف عليها في بريطانيا، وتزوجها..

جيهان السادات [مقاطعة]:

نعم، وهو بيدرس في (شيفلد) أيوه.

أحمد منصور [مستأنفاً]:

نعم، وجاء بها إلى مصر.

جيهان السادات:

نعم.

أحمد منصور:

أم إنجليزية.

جيهان السادات:

أيوه.

أحمد منصور:

وأب مصري، وحياة في مصر، أيضاً أما يدخل هذا في إطار شيء من التجاذب بين الأب والأم حول الأولاد ونشأتهم وتربيتهم مع اختلاف العادات والتقاليد والدين أيضاً؟

جيهان السادات:

ده صحيح، هأقول لحضرتك حاجة. يعني كان تأثير والدي أكبر بكثير من تأثير أمي. شخصيته كانت أقوى بكثير من شخصيَّة أمي، فكان الأثر الأكبر والأوقع من والدي، يعني أولاً: أمي وهي كانت إنجليزيَّة مسيحيَّة، ولكنها كانت تصوم معانا رمضان، وأنا أذكر إن أنا صمت رمضان أول مرة يمكن وأنا عندي ٨ سنوات صمت كذا يوم، يعني كان البيت ديِّن، وكنت بأصلي وأنا طفلة، يعني مش وأنا كبيرة.

يعني كنا صحيح فيه جارتي كان لها تأثير عليَّ في هذا من ناحية الصلاة والصوم والحاجات دي، لكن أيضاً البيت كانت والدتي تشارك معانا علشان ما تخليش فيه فروق نحس بها، لكن طبعاً كان العادات يعني العادات الأجنبيَّة غير العادات المصريَّة، يعني أذكر مثلاً أو يمكن ما أوعاش على إن مثلاً وأنا طفلة كنت لما أقع كانت عمَّاتي يجروا عليَّ وهي أمي

تبقى قاعدة تقول لهم: سيبوها، سيبوها تنتج هي حتقوم لوحدها، يعني فيه فرق في العواطف حتى والأحاسيس بين طبعاً الأم المصرية والأم الأجنبيّة، لكن هي ربّت فينا الحقيقة ..

أولاً كانت متمسكة جداً ببلدها. لأنها من شيفلد، وشيفلد معروفة بالفضة، فكانت دايماً تقول: شوفي الفضة دي مصنوعة في بلدي. شوفي دي جات من شيفلد، يعني كان لها حب وتمسك ببلدها. ما نسيتهاش، غرست فينا بالطبيعي كده إن إحنا نحب بلدنا، ونتمسك بمصريتنا، ونتمسك بالوطن بتاعنا...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

لكن هي لم تكن تتردد على بريطانيا؟

جيهان السادات:

لا، خالص .. خالص، ما راحتش إلا متأخر جداً. لأن قامت الحرب كمان بعد كده...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

هناك ما يشير إلى أن أصولها تعود إلى مالطا وليس إلى بريطانيا؟

جيهان السادات:

نهائي، نهائي .. ده كلام، أنا استغربت جداً، ولو كان أصولها من مالطا يعني ده لا أنكره..

أحمد منصور [مقاطعاً]:

ما الذي يعيب هذا أيضاً؟ نعم.

جيهان السادات [مستأنفة]:

بالظبط .. لا أنكر هي إنجليزيَّة صميمة من شيفلد.

أحمد منصور:

بقيت والدتك على دينها.

جيهان السادات:

نعم.

أحمد منصور:

وكما ذكرت أنت في كتابك كانت تحتفظ بصليب في...

جيهان السادات [مقاطعاً]:

في حجرة نومها. نعم .. نعم.

أحمد منصور [مستأنفاً]:

حجرة نومها، أنت كطفلة الآن يعني تتنازعين ما بين أم تختلف عن المجتمع كله في هويتها، في دينها، في عبادتها، وما بين مجتمع، حتى في لغتها، وما بين مجتمع آخر، ألم يحدث هذا أو يؤثر عليك أي تأثير سلبي أو تناقض في بداية حياتك كطفلة؟

جيهان السادات:

نهائي، نهائي هأقول لحضرتك أنا مرة بنت، وأنا صغيرة جداً، بنت سألتني في المدرسة، وأنا كنت في مدرسة إرسالية فكان أغلبها مسيحين والمدرسين مسيحين كلهم، والناظرة كانت إنجليزية وكانت صديقة لوالدتي، فمرة بنت سألتني قالت لي: إزاي أنت مسلمة ومامتك مسيحيَّة؟ فأنا يعني استغربت، لأني كنت طفلة ما أوعاش أيه يعني الفروق

دي، فرحت البيت وسألت مامتي، قلت لها، قالت لي: فعلاً أنا مسيحيّة وأبوكِ مسلم، وأنت مسلمة.

لكن عايز أقول لك حاجة: إن ربنا بتاع الأديان كلها وأنت تطلعي مسلمة لأن والدك مسلم، لكن تحترمي الأديان الأخرى. وده عندكم في القرآن مذكور، فيعني طلعتنا الحقيقة أولاً ما فرضتش علينا، وما راحتش كنيسة عمرها وهي متزوجة لأبويا نهائي. يعني كانت ساعات أشوفها بتصلي في أوضتها، لكن كانت دايماً...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

مجرد رؤيتك دي ما كانتش بتعمل عند خلل؟

جيهان السادات:

لا، نهائي.

أحمد منصور:

ولا رد فعل عكسي؟

جيهان السادات:

ولا .. أبداً. أنا معتقدة إلى يومنا هذا إن ربنا للكل، وإن ما حدش اختار دينه، أنا ما اختارتش إن أنا أطلع مسلمة، أنا طلعت لأن والدي مسلم، وهي ما اختارتش تطلع مسيحية لأن اتولدت لقت والدها مسيحي...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

لا. أنا هنا بأسأل عن الانعكاسات، وليس عن هذه الأشياء، لأن دائماً الإنسان إذا وجد في بيئة فيها أي شيء متناقض بيكون لها تأثير عليه وعلى شخصيته.

جيهان السادات:

ده صحيح، ده صحيح لو إن الشيء متناقض، لكن الشيء ما كانش في بيتنا متناقض، لأن كنا عارفين إن إحنا مسلمين. عارفين إن أبونا موجود معانا، وبنصلي وبنصوم، وعماتي تأثيرهم كان كبير جداً علينا، لأنه كانوا قريبين لنا ومختلطين معانا خالص، فكانت تأثير والدتي لوحدها، ما كانش فيه .. يعني أنا لي خالة ما شوفتهاش إلا وأنا مجوزة وأنور السادات رئيس جمهورية، يعني...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

هذه التي ذهبت والدتك إلى بريطانيا..

جيهان السادات [مستأنفة]:

شيفلد .. أيوه، عشان تشوف أهلها، لكن يعني ما ليش مفيش تأثير بريطاني عليَّ نهائي .. نهائي ولا تأثير دين آخر عليّ نهائي وأنا صغيرة، لأن والدتي الحقيقة كانت بتلعب الدور ده، هي عارفة إنها إتجوِّزت مسلم، وعارفة إن الولاد دول مسلمين، فعمرها ما إلا كانت دايماً بتحثنا على يعني تصلي، ماعمرهاش كانت .. يعني كانت تفكرني...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

تعلمت العربية في البداية؟ كانت تتكلم باللغة العربية؟

جيهان السادات:

كانت بتتكلم بالعربي، وحاولت إن إحنا تكلمنا بالعربي وإحنا أطفال، لأن قالت برضو مصريين وطالعين في مصر، وإحنا لغتنا العربية أقوى بكثير جداً من لغتنا الإنجليزيَّة، خصوصاً وإحنا أطفال، بس العربي بتاعها طبعاً كان عربي بتاع أجنبيَّة مكسر، حتى كنا ساعات نقعد نضحك على بعض التعبيرات اللي تقولها يعني.

أحمد منصور:

ذكرتِ أن عمة صديقتك رجاء لعبت أيضاً دور مؤثر عليك من خلال أنها كانت سيدة محجبة؟

جيهان السادات:

نعم، نعم، متدينة ومحجبة.

أحمد منصور:

ومتدينة، وأنتِ في نفس الوقت ذكرتِ إنه كان هناك فروق ما بين ما تجديه هناك وبين ما تجديه في بيتك.

جيهان السادات:

هو مش من الفروق الكبيرة، لكن عمة صاحبتي وصديقتي رجاء زين الدين كانت زميلة لِيَّ في ابتدائي، وكنت أحبها، وكانت جارتي ساكنة جنبي، فأما كنت أروح أزورها ونذاكر سوا عمتها كانت محجبة ومتدينة جداً، فهي اللي خدتنا كأطفال، هي اللي قعدت تعلمنا الوضوء والصلاة، وهي اللي كانت بتدينا دروس دينيّة، وهي اللي خلتني بعني الحقيقة، وأنا يعني مثلاً عندي ١٣ سنة و١٢ سنة ماكنتش ألبس غير كُم طويل وكانت أمي كانت تندهش، يعني ساعات تقول لي: ليه؟ في سني مستغربة، فأقول لها: لأ، أنا عايزة كده، يعني ما

أتمجبتش صحيح لكن كنت دائماً ألبس بلوزات بكم طويل وجونلات عشان يبقى.. وده كان غريب شوية يمكن في وقتي، وفي سني لكن كان ده تأثير..

أحمد منصور:

يعني كان الشائع غير ذلك؟

جيهان السادات:

آه طبعاً .. طبعاً كان الشائع كله من غير كمام وبنص كُم وكده يعني أنا خدتها كده حشمة بطريقة في سن مراهقة، يعني في سن اللي هو البنات بقى بتقعد تورّي أيديها وما أعرفش أيه، وتعمل فتحات كبيرة في صدرها وكده كان العكس عندي، وده يرجع فضله لأبلة نعمة عمة رجاء زميلتي.

أحمد منصور:

أنا أيضاً لاحظت شيء في كتابك "سيدة من مصر" الذي يعتبر بمثابة مذكرات بالنسبة لك، وأشكرك على النسخة التي أهديتها لي قبل عام.

جيهان السادات:

أيوه .. لا .. العفو، العفو.

أحمد منصور:

لاحظت إنك تعمدتِ تتكلمي كثيراً في البداية عن الإخوان المسلمين، وعن أنك كنت تجمعي تبرعات وتعطيها للإخوان المسلمين، وعن دور الإخوان المسلمين وتأثيرهم في المنطقة.

جيهان السادات:

- ده صحيح.. صحيح.

أحمد منصور:

- هل أنتِ تعمدتِ إنك تبرزي هذا الجانب أيضاً لتغطي على جوانب أخرى، أم أن هذه مؤثرات حقيقية؟

جيهان السادات:

لا.. لا.. دي مؤثرات حقيقة، أنا نشأت في حي الروضة، والروضة كان .. يعني أنا كنت أشوف وأنا عندي ١٣ سنة، أشوف الشباب اللي زيّ.. قدّي وأكبر مني شوية اللي هو يعني أيه .. البنت تتطلع إنها تبص لهم في هذا السن ألاقيهم بيصلوا، بيروحوا الجامع،

متدينين، جيراننا، أنا بأتكلم على جيراني اللي حوليّ في الروضة. فكنت الحقيقة مُقَدِّرة هذا، مقدرة وأنا من ناحيتي تأثير أبلة نعمة عليّ إن هو الدين والتمسك بالمثل والمبادئ، فكنت فرحانة جداً إن فيه شباب صغير قَدِّي وأكبر مني حاجة بسيطة متدين ويصلي وأسأل يقولوا لي: دُوْل في الإخوان المسلمين، دُوْل شباب الإخوان المسلمين.

فالحقيقة كانت دي عندي لها تأثير كبير لدرجة إن أنا كنت أجمع مصروفي وهو قليل جداً يعني في هذا الوقت. مصروف أختي، ومصروف إخواتي، وبنت عمتي وولاد عمتي. وعماتي أروح أقول لهم: ادوني فلوس علشان حاتبرع بها. فيدوني ويدوني حاجات يعني بسيطة لكن كنت أبقى سعيدة جداً وأنا آخذها وأروح، وبيتنا وبين بيت الشيخ حسن الهضيبي بيت واحد، في وسطنا يعني، فكنت أروح له بسهولة وأرن الجرس. وجرأة يعني مني وأرن الجرس، وفي الظرف اللي معايا مبلغ بسيط يعني ماهوش كثير. وأقول له: ده مني للإخوان المسلمين. يعني لأنه بيساعدوهم في حاجات ويعملوا حاجات في الجوامع، وتعليم، وزي مستوصفات لعلاج الناس الفقراء، فكنت مبسوطة جداً بالنشاط بتاعهم. ومبسوطة بالتدين والتمسك بالأخلاق.

أحمد منصور:

يعني ألم تتعمدي أن تتحدثي عن ذلك في كتابك.

جيهان السادات:

لا، لا، حأقول لحضرتك.

أحمد منصور:

لأنكِ حينما أصبحتي.

جيهان السادات:

زوجة.

أحمد منصور:

زوجة الرئيس الرئيس وسيدة مصر الأولى انتقدتي كثيراً بالنسبة لبعض الأشياء التي سنأتي عليها لاحقاً، بالنسبة لقانون الأحوال الشخصية وأشياء يعني يقال إنها تخالف أو ضد التوجه الإسلامي العام في البلد فتعمدتي الآن أن تتحدثي عن تدينك وأنتِ صغيرة وكذا؟

جيهان السادات:

لا، لا، لا، لا، هأقول لحضرتك ! أفعل شيء لا ضد الإسلام ولا خارج الشريعة. وقانون الأحوال الشخصية.

أحمد منصور:

لا، سنأتي له. أنا بأقصد في تعمدك الآن في كتابك،في مذكراتك والإشارة إلى أن طفولتك كان طفولة متدينة وأن كان وعيك بالإخوان وتروحي تعطي تبرعات للإخوان؟

جيهان السادات:

لا.. لا، دي حقيقة، دي حقائق حصلت في حياتي، فلا أنكرها ولا أبالغ فيها نهاتي.

أحمد منصور:

أيضاً يعني بالنسبة للإخوان هنا قامت حرب ٤٨ وأنتِ اتكلمتي عن هذا الأمر، وعيك كان .. أنت ولدتِ في العام ١٩٣٣، يعني في ١٩٤٨م كان عمرك حوالي ١٥ سنة تقريباً.

جيهان السادات:

بالظبط.

أحمد منصور:

وأنتِ في الخامسة عشر من عمرك وبنت ولستِ شاب، كيف كان وعيك السياسي في تلك المرحلة؟ كيف كان وعيك عن الحرب؟ كيف كان وعيك عن إن بلدك مصر محتلة من بريطانيا التي هي بلد والدتك في نفس الوقت؟

جيهان السادات:

أهي دي بقى التناقض اللي كان في داخلي فعلاً، يعني أنا أذكر حانط نطة ثانية ١٩٥٦م لما كانت بورسعيد بتضرب، والدتي إنجليزية وأنا كنت حامل على الآخر وولدت فعلاً من الرهبة قبل ميعاد الولادة بشهرين وشوية، شهرين وأسبوع. وطبعاً ده دليل الانفعال وده اللي قالوه الدكاترة أيامها، يعني.

لكن كان التناقض في أيه؟ إن أنا كنت أقول لمامتي نفسها، ساعات أقول لها: ليه بتعملوا فينا كده؟ ليه بتضربونا؟ فهي تبص لي الحقيقة وتقول لي: يا بنتي مش أنا، مش أنا يعني دي سياسات لا أنا لي دخل فيها ولا أنتِ ولا .. فيعني كان فيه نوع من الأيه، يعني أكره الإنجليزية وفي نفس الوقت أحب والدتي وأحترمها جداً، وده كان نفس الشيء بالنسبة لأنور السادات فيما بعد، يعني كان يحب والدتي ويقدر الإنسان، لكن يكره الاحتلال، وأنا نفسي كنت أكره الاحتلال وكنت دائماً برضه في أي نشاط، يعني مثلاً أيام جواد حسني في قناة السويس وكان له دور، وعلى فكرة جواد حسني والدته إنجليزية برضه.

أحمد منصور:

سآتي إلى موقف حديث بينك وبين الرئيس عبد الناصر بعد ذلك.

جيهان السادات:

أيوه، أيوه، فيعني بالعكس كان عندي وطنية يمكن تستغرب حضرتك والله ما بأقولها مبالغة كانت تزيد عن الابنة اللي أبوها وأمها مصريين. ما أعرفش ليه، لأن كان فيَّ نوع من الـ.. يعني حب لبلدي وحب للوطن غريب .. ومازال فيَّ لغاية الآن، وهو ده سبب زواجي من أنور السادات.

أحمد منصور:

سآتي للسبب، ولكن مصادر ثقافتك أيه في ١٩٤٨ وأنتِ في هذا العمر، وفي هذا السن وانتقلتِ من مدرسة الإرسالية الابتدائية إلى المدرسة..

جيهان السادات:

الأورمان الثانوية.

أحمد منصور:

الثانوية؟ نعم.

جيهان السادات:

حب بلدي، مش عايزة حد يحتلها، مش عايزة .. كان أيامها الإخوان بيتمسكوا أيام الملك ويتعذبوا، وأنا فاكرة كان فيه واحد اسمه مالك على ما أذكر اتمسك وكان..، كان له قصة كله في الجرايد، هرب، أو كانوا بيدوروا عليه وعلى بال ما مسكوه أنا كنت بأتعذب عشانه، وأنا لا أعرفه ولا شيء، لكن عارفة إن دُوَل بيقوموا بدور وطني، فكان يعني نوع من التأييد وحب للي بيعملوه لأن عارفة دُوَل بيخدموا بلدي، وضد الاستعمار، وضد الاحتلال، فَدَه كله كان شيء في نفسي شديد جداً يعني.

وحأقول لحضرتك تستغرب يعني أكثر من إخواتي اللي هم في نفس البيئة ونفس البيت، وأكثر .. يعني والدي اتحبس ليلة، وكان في مظاهرات في أسيوط، كان والده اللي هو جدي حكيم باشا هناك، دكتور، في أسيوط وابنه اللي هو والدي اتمسك في مظاهرات وحبسوهم ليلة علشان ضد الإنجليز، فيعني فيه وطنية في البيت برضه، وفيه حب، وزيّ ما كانت أمي تحكي لي عن الوطنية اللي عندهم في بلدهم، وإزاي كانوا أيام الحرب بيضحوا ويساعدوا الجيش بتاعهم بتغرس فيَّ أيضاً الوطنية لبلدي.

أحمد منصور:

كان فيه قوى سياسية أخرى موجودة على الساحة في ذلك الوقت غير الإخوان، ألم تسمعي عنها؟ ألم تحتكِ بها؟ ألم..

جيهان السادات:

زي أيه؟

أحمد منصور:

يعني كان فيه حزب الوفد في ذلك الوقت، كان فيه أحزاب أخرى مختلفة موجودة على الساحة.

جيهان السادات:

آه .. مصر الفتاة و .. لأ يعني الحقيقة يعني إعجابي كان بالإخوان بس قدر بقى يعني سنّي ومعلوماتي.

أحمد منصور:

كان عندك مصادر ثقافتك لم تحدثيني عنها، هل كنت تقرأي الكتب؟ تطالعي الصحف؟

جيهان السادات:

نعم، نعم، نعم.

أحمد منصور:

أيه طبيعة القراءات في ذلك الوقت؟

جيهان السادات:

أيامها.، أولاً أنا أحب أقرأ كثير جداً، فكنت الصحف دائماً متابعة للأحداث اللي بتجري حولي، ثانياً فيه مكتبة هنا في الجيزة يعني رحت لها برضو وأنا عندي يمكن ٩ سنين، وبرضو خدت مصروفي ورحت عشان أشتري مجموعة كتب، وعايزة أثقف نفسي قراءة ومعلومات يعني بجانب الدراسة، فأنا أذكر قوي الراجل بص لي كده وضحك ولما شاف الفلوس اللي معايا يعني بأديها له وواخدة كذا كتاب، فطبعاً كان الفلوس اللي معايا مصروفي يمكن ما يجيش كتابين ولا كتاب، فضحك الراجل وكان لطيف جداً وشجعني، وقال لي: بُصّي المصروف بتاعك ده أنا حاخد منه اشتراك حتبقي مشتركة هنا في المكتبة عندي وتيجي تقرأي وترجعي الكتاب، وتأخدي غيره وترجعي، وبالطريقة دي حتقرأي أكبر عدد ومش حتدفعي فلوس كثير، فهو ساعدني الحقيقة بطريقة فأبتديت بقى أقرأ مثلاً...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

تفتكري الكتب الأولى اللي قرأتي فيها؟

جيهان السادات:

أول كتاب أفتكره كويس جداً زيّ النهارده للمنفلوطي كان كتاب مترجم عن (سيرانو دي براجراك) الرجل..

أحمد منصور:

العبرات.

جيهان السادات:

الراجل .. هي قصة فرنسية عن رجل، هي قصة رومانسية، أحَبَّ واحدة وهو كان مناخيره وحشة وشكله وحش قوي فكان بيتدارى ويسمعها كلام حلو وهي حبّته من غير ما تشوفه.. يعني لما شافته بعد كده يعني ما همهاش بقى مناخيره ولا حاجة، يكفي اللي سمعته منه واقتنعت به، يعني فيه حاجات، وقريت بقى عن مثلاً (مدام كوري) اللي عملت (الريديوم) وإزاي كافحت؟ وإزاي عاشت سنين أغلب عمرها في المعمل علشان تخترع شيء يفيد البشرية، يعني الحاجات دي كانت، وقصص عن طبعاً السيدة خديجة وزوجات النبي والسيدة عائشة، يعني قريت حاجات كثير.

أحمد منصور:

يعني لم يكن هناك توجيه لك وإنما كانت معظم قراءاتك من اختياراتك أنت؟

جيهان السادات:

من اختياري أنا شخصياً في هذا السن، وطبعاً كتب مبسطة، مش هأقول لحضرتك...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

كان لكِ صديقات بقيت صداقتك معهن منذ تلك الفترة.

جيهان السادات:

آه طبعاً مثلاً عُلا بركات، وهي زوجة الأستاذ إبراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام هي كانت معايا من أول يوم دخلنا في الروضة في الحضانة وقعدنا جنب بعض، وبعدين أنا اتجوزت بَدْرِي وهي كَمِّلت وخدت حقوق وهي لها برنامج إذاعي، وأنا اتجوزت بَدْرِي لكن رجعت تاني كَمِّلت..

أحمد منصور:

صديقاتك ما كانش لهم تأثير أيضاً عليكِ؟ ما كانش فيه في هذه العلاقة، في تلك المرحلة أحياناً تكون علاقات الصداقة لها تأثير يبقى في نفس الإنسان أو في خياله.

جيهان السادات:

يعني أنا مش عايزة أشكر في نفسي يعني، مش عايزة أقول إن تأثير كتب، تأثير والدي، تأثير الجو المحيط بيّ أكثر كان من الصداقات.

أحمد منصور:

في صيف العام ١٩٤٨م ذهبتِ إلى السويس لزيارة ابنة عمتك التي كان زوجها حسن عزت الذي كان ضابطاً.

جيهان السادات:

نعم .. طيار.

أحمد منصور:

ضابط طيار. وكان على علاقة بـ..

جيهان السادات:

بأنور السادات.

أحمد منصور:

بالرئيس أنور السادات، أو السيد أنور السادات، أو الضابط أنور السادات في ذلك الوقت.

جيهان السادات:

نعم .. بالظبط .. بالظبط.

أحمد منصور:

والتقيتِ للمرة الأولى مع الرئيس السادات.

جيهان السادات:

أنور السادات، أيوه.

أحمد منصور:

كيف كان لقاؤك الأول مع السادات؟ وما هي المعلومات التي كانت لديك قبل لقائك به؟

جيهان السادات:

آه .. بالظبط، هو التأثير اللي كان فعلاً عليَّ كان حسن عزت بيقول لي .. بيحكي لي عن أنور السادات، وكان فيه محاكمة أيامها بتاعة أمين عثمان، فكان بيحكي لي إزاي إن هم اتسجنوا سوا وهربوا من السجن، وإزاي رجع، وإزاي كذا. مرة اتسجن وإزاي الإنجليز شالوا الرتب بتاعته ورجعوا تاني رجعوه، يعني عارف حضرتك حاجة..

قعد يحكي لي عن إنسان طبعاً أنا كنت لسه ما كملتش، يعني أنور السادات حضر عيد ميلادي الـ ١٥، فيعني ما كنتش عايزة أقول إن أنا عندي من النضج الكافي، يعني كنت لسه شابة صغيرة خالص، لكن كان حب البلد وحب الوطنية حبيني في أنور السادات، مش حب إن أنا حاتجوزه ولا فكرت ولا خطرت على بالي أبداً، لكن حب إنسان من عائلة فقيرة ممكن كان يعيش ظابط حياة كريمة ومتزوج وله بنات، فكان يقدر يعيش زيه زي بقية الظباط زملاؤه وما يقحمش نفسه في السياسة، لكن هو يعني دخل في السياسة وضحى بمنصبه، وضحى بحياته، وضحى بكل شيء واتعذب، واشتغل سواق وشيال علشان خاطر بلده.

أحمد منصور:

كل المعلومات دي عرفتيها في ذلك الوقت؟

جيهان السادات:

عرفتها من حسن عزت، ما كنتش عندي فكرة عن أنور السادات.

أحمد منصور:

فرسمت صورة البطل في ذهنك.

جيهان السادات:

بالظبط، فاترسمت صورة إنسان مكافح بيحب مصر وبيضحي من أجلها جداً عشان يشوف كل العذاب اللي شافه، فحبيت هذا البطل، حبيته جداً.

أحمد منصور:

قبل أن تريه؟ قبل أن تتوقعي أن يكون على علاقة مع زوج ابن عمتك أو أي شيء؟

جيهان السادات:

خالص، نهائي، نهائي.

أحمد منصور:

كيف كان اللقاء الأول معه؟

جيهان السادات:

اللقاء الأول أولاً أنا أعلم أنه متزوج فإذا به يخرج من السجن، أولاً أنا نزلت أجيب الجورنال علشان أشوف.

أحمد منصور:

كنتِ تعرفي إنه متزوج، يعني عرفتِ التفصيلات دي كلها من حسن؟

جيهان السادات:

آه، متجوز وعنده بنتين يعني أو مش عارفة حاجة..

أحمد منصور:

٣ بنات.

جيهان السادات:

٣ بنات، فيعني أنا ما .. الناحية دي ما كانتش بتخش تفكيري أبداً.

أحمد منصور:

لأنك بتنظري له نظرة عادية.

جيهان السادات:

نظرة مختلفة، مختلفة، فلما جه، نزلت جبت الجورنال وفرحتي إنه طلع براءة، يعني كنت عمّالة أعيَّط من كتر الفرحة، إلى هذه الدرجة.

أحمد منصور:

دي طبعاً قضية...

جيهان السادات [مقاطعاً]:

أمين عثمان.

أحمد منصور:

اتهامه في مقتل أمين عثمان في ٦ يناير ١٩٤٦م، وبقيت القضية معلقة حتى العام ١٩٤٨ حيث حكم فيها في ذلك الوقت.

جيهان السادات:

بالظبط .. بالظبط. المفاجأة بقى هو حسن عزت نزل علشان يروح يحضر الحكم بالنسبة إنه صديق، ما تصورتش ولا خطر على بالي إن يكون أنور السادات جاي معاه، لأن – يعني – الشيء الطبيعي إنه بيروح بيته وأسرته، فلما جه معاه وشُفْتُه في السحور أول لقاء، طبعاً كان هو أنو السادات طبيعته لم تتغير من يوم ما شُفْتُه في هذا اليوم إلى يوم ما مات وبعد، يعني خلاص حياته كلها من النوع اللي ما يتكلمش كثير، يعني عنده صمت واستماع أكثر طول حياته، حتى في قعداتنا معانا يعني أنا أتكلم، هو تبص تلاقيه يستمع أكثر، يعني مش من النوع اللي .. فيومها يعني كان السحور وتسحر معانا.

أحمد منصور:

يعني معنى ذلك إن ما في داخله ليس من السهل على مَنْ يجلس معه وأن يتعرف عليه؟

جيهان السادات:

أيوه .. أيوه، هو مش سهل إنك يعني هادي الطبع، ومن النوع اللي ما يتكلمش كثير وما يسألش كثير، يعني .. من النوع اللي يستمع أكثر ويستوعب أكثر.

أحمد منصور:

ويفكر فيما يقال، ولا يبدي رأياً في نفس اللحظة.

جيهان السادات:

بالظبط .. لا، لا، لا.. لا، مش سريع، يمكن أنا سريعة ساعات، ممكن أندم على اللي قلته مثلاً بعد شوية أقول يا ريتني ما قلت، هو ما عندوش دي خالص، هو عنده تأني غريب في حياته كلها من وهو ظابط صغير إلى زي ما بأقول لحضرتك إلى أن رحل.

أحمد منصور:

الشعور الأول في اللحظة الأولى التي رأيته فيها؟

جيهان السادات:

فرحانة به، فرحانة، يعني بطل زي ما بأقول لحضرتك، يعني بطل ضحى ولما تعرف حضرتك مثلاً أنا لما بعد كده عرفته وقعدت معاه وتكلمت معاه وحضر عيد ميلادي، وغنى لي غنوة قال دي هديته لأن لا يملك شيء خالص.

أحمد منصور:

فاكرة الغنوة؟

جيهان السادات:

آه .. طبعاً.

أحمد منصور:

لفريد الأطرش طبعاً كانت؟

جيهان السادات:

آه .. طبعاً .. يا ريتني طير، فهو كان صوته كمان حلو، حتى صوته بهرني، كل حاجة بهرتني، وبقيت يومها قضينا يوم في كازينو اسمه (التعاون) في الإسماعيلية، فقعدت أتكلم معاه وأسأله أسئلة وأقول له كنت بتعمل أيه في السجن يعني؟ أنا مش قادرة أتصور واحدة عندها ١٥ سنة بتتصور إنسان يقعد في زنزانة ستين ونص إزاي؟ كان بيقضي وقته إزاي بيقرأ أيه؟ يعمل أيه؟ يعني إزاي استحمل يعني حاجة زي كده؟! فيقعد يحكي لي الكتب اللي قرأها والحاجات دي.

وبعدين يعني حأقول لحضرتك سألت أبيه حسن اللي هو صديقه: إزاي ما راحش لمراته وولاده؟ فقال لي: لأ، ده هو سايبها من وهو في السجن، يعني قال لها ما تزورهوش وهو منفصل عنها إلى أن إجراء الطلاق يعمله بعد ما يطلع من السجن عشان ما كانش يملك وهو في السجن يعني.

أحمد منصور:

كان عمره ثلاثون عاماً في ذلك الوقت؟

جيهان السادات:

تقريباً آه.

أحمد منصور:

وأنت كان عمرك ١٥ عاماً.

جيهان السادات:

١٥، إحنا بيننا ١٥ سنة.

أحمد منصور:

بعد هذا اللقاء بدأت صلتك تتوطد.

جيهان السادات:

نعم بأنور السادات.

أحمد منصور:

بأنور السادات.

جيهان السادات:

ده صحيح.

حمد منصور:

بعد لقاء الإسماعيلية الذي يُعتبر كان بداية البذرة الأولى لما بينكم، وحدثت لقاءات كثيرة لا سيما ما حدث في الإسكندرية.

جيهان السادات:

نعم، نعم.

أحمد منصور:

في ذلك الوقت كان معتاد إن بنت عمرها ١٥ سنة ممكن تمشي مع واحد؟

جيهان السادات:

لأ. لأ.. صعبة كنت جداً، بس هأقول لحضرتك: أنا كنت حاسة .. أنا عندي يعني شيء من الجرأة دي في طبيعة شخصيتي.

أحمد منصور:

هل كانت هذه الجرأة مع أي أحد قبل السادات؟

جيهان السادات:

نهائي، أول حب وأول رجل في حياتي وآخر رجل.

أحمد منصور:

ووجدتِ في نفسك الجرأة أيضاً إنك إنتِ تنفتحي معاه بالطريقة التي وصفتيها في كتابكِ مثلاً؟

جيهان السادات:

يعني كنت حاسة إن في الأسئلة آه، كنت بأسأله أسئلة يعني زي ما قلت لحضرتك...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

حتى في إنك تتمشى معاه على الشط.

جيهان السادات:

أيوه، أيوه دي بقى كانت يعني يمكن شيء جريء شوية بالنسبة لهذه الأوضاع في هذا الوقت، يعني النهاردة البنات كلها بتخرج مع الولاد وشيء عادي، لكن في وقتي برضو كان جرأة شوية، لكن الحب اللي كان بيني وبينه واللي بيربطني وثقتي فيه، وثقتي في نفسي قبله ما كانش مخفوني، يعني طيب وفيها أيه لما أخرج أنا وهو على شاطيء وبنت عمتي لسه نايمة،

وقاعدين لــه بقى، وأنا بأقوم بدري وهو بيصحى بدري، فقمنا تمشينا على البتاع، والمهم إن إحنا اتظبتنا يعني واحدة قريتي...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

بدون ترتيب يعني؟

جيهان السادات [مستأنفة]:

ظبطتنا وأنا ساعتها يعني كنت زي المثل ما بيقول عايزة الأرض تنشق وتبلعني، وشوفتها من بعيد، وشي طبعاً أنا حسيت بالفوران، وسلمت عليَّ، ما بقيتش عارفة أقول لها أيه، لكن بعد كده لمّا حضروا الخطوبة بقى، قالت لي بقى: هو بقى اللي شفناك معاه، فيعني اتظبط فعلاً .. أيوه.

أحمد منصور:

متى بدأتِ تشعري بالحب تجاه أنور السادات؟ متى بدأ الكلام بينكما فيما يتعلّق بالزواج، وكيف كان تفكيرك حينها عرض عليك هذا الأمر؟

جيهان السادات:

هأقول لحضرتك: هو بعد ما طلع، هو قعد بقى عند حسن عزت، ولأ .. هو حسن عزت راح جابه من لوكاندة في حلوان، أمّا خرج من السجن راح على حلوان، وبعدين جابه عنده فقعده معاه، بعديها أنا كنت بأتكلم معاه كل يوم وبأقعد معاه، وبعدين ابتديت أحبه وأحس إن أنا بأحبه، وبعدين هو للحقيقة نفس الحكاية، وكان بيقاوم لأن هو كان معتبر إنه يعني مش عاوز يتجوز تاني، ويعني على الأقل يبقى فيه فترة، يعني كان.. وكان مستصغرني عليه، بمنتهى الأمانة يعني كان مستصغر إن الفرق بيننا كبير وكده، فأنا كنت بأذلل له كل حاجة يعني، مفيش حاجة كنت .. يعني فقير، يقول لي: أنا فقير، ما حلتيش حاجة.

أقول له: عمر الفلوس كانت بتشكل حاجة عندي. طيب أنا ما .. لسه ما اشتغلتش، ما عنديش وظيفة. هتيجي الوظيفة في يوم من الأيام، مش يعني...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

طبعاً السادات في ذلك الوقت كان قبل ذلك كان ضابطاً في الجيش، وبعدين لمّا وُرِّط في هذه القضيّة فُصل من الجيش.

جيهان السادات:

نعم، أبوه مفصول.

أحمد منصور:

ولمّا طلع من القضيَّة في سنة ١٩٤٨م أيضاً كان بدون عمل.

جيهان السادات:

بالظبط .. ما أنا بأقول لحضرتك، أنا قبلته وحيته لا وظيفة ولا فلوس ولا .. ولا أي شيء ينم عن المستقبل...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

طيب أيه اللي عجبك فيه؟ إيه اللي عجبك فيه؟

جيهان السادات:

شخصيته، وهأقول لحضرتك هو أسمر قوي، يعني ماهواش السمار العادي، يعني شوية زيادة، لكن كل ده كان في نظري أجمل حاجة في الدنيا، ومازال لغاية يومنا هذا بأشوفه مش هأقولك جميل، لأن أنا يعني مش بأتهيأ حاجات، لكن بأشوفه وجيه، بأشوفه شكل بيمثل المصري الصميم، بأشوف الوطنية فيه، بأشوف حب مصر فيه، بأشوف الإخلاص والتفاني، بأشوف فيه مُثل أنا عايزاها، مش عايزة رجل غني وعنده عربية...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

طيب هل كنتِ تفكري في الزواج أصلاً في ذلك السن؟

جيهان السادات:

يعني كان بيتقدم لي كثير.

أحمد منصور:

وإنتِ في السن ده؟

جيهان السادات:

آه، آه، تقدم لي كثير جداً، وكان يعني مش عايزة أقول: خُطاب بيحبوا، يروحوا لوالدي، ويتقدموا لي وكده، وكان في وقتي أيامها يعني مش حاجة جديدة قوي إن بنت تتجوز ١٦ سنة، يعني ما كانتش حاجة.. وخصوصاً إن أنا هأقول لحضرتك أنا يعني دخلت مش ثانوي عام، دخلت ثانوي فني كمان، علشان أُجيد..

أحمد منصور:

أعمال البيت.

جيهان السادات:

الحياكة والطبخ، وأعمال البيت، بالظبط.

أحمد منصور:

كيف تمت الخطبة والزواج؟

جيهان السادات:

اتقدم لوالدي، وطبعاً كانت قصة برضو يعني اختلف مع والدتي لأنه برضو سألته، هي مدرسة قعدت تسأله في أول مقابلة لهم يعني أيه رأيك في كذا وكذا؟ وبعدين جات لتشرشل فقال لها: حرامي!

فهي ذهلت في الحقيقة، وطبعاً الجو اكهرب، وخرج هو، وأنا كلمته في التليفون بعدها، وقلت له يا أنور تقول لوالدتي كده؟ ليه ما كنتش دبلوماسي معاها وتقول لها حاجة ألطف من كده يعني؟

فقال لي: جيهان، أنا ما أعرفش .. ما أعرفش أجامل يعني، أنا بأقول اللي بأحس به، وربما كان يعني ردِّي قاسي شوية عليها، لكن هو بطل لها هي ، لكن حرامي بالنسبة ليَّ، ومازال حرامي بالنسبة لي.

أحمد منصور:

أنتِ شجعت أنور السادات إن هو يتقدم لخطبتك، وسعيت لتذليل كل الصعاب، كان بدون عمل، لا يملك مال.

جيهان السادات:

-

أيوه.. أيوه، لدرجة ..

أحمد منصور:

كانت أسرتك تنظر إلى الوجاهة وإلى المال وإلى غير هذه الأمور، وأنتم سعيتم أيضاً لتلفيق بعض القصص والروايات في البداية لكنه...

جيهان السادات [مقاطعة]:

بس هو رفض، حسن عزت قال له: قل لوالدها إنه غني وعنده أراضي. هو رفض، وأنا اللي وقفت قلت له: إذا رفضت مش هيقبلوك، لأن فيه متقدم لي ما هو أفضل منك بكثير، فليه ياخدوك؟ كأب وأم يعني عايزين الأفضل لبنتهم، فأنا اللي هأجوزك، وأنا عارفة إنك فقير، وعارفة إنك لا تملك شيء، فمش أبويا اللي هيجوزك، أنا.. فمالكش دعوة بهم، وأنا عارفة أيه الطريقة اللي يفكروا بها، فأرجوك إنك.. فرسينا في النهاية، هو طبعاً قعد يقول: أنا ما أحبش أغش، وما أحبش.. فقلت له: طيب، في حل وسط، إذا طُلب منك، إذا سئلت: هل أنت غني؟ أبقى قول: أنا لا أملك شيء، زي ما أنت فعلاً لا تملك، لكن إن لم تُسأل فيا.. يعني ما تبتديش إنت، وأنا عارفة إن أبويا إنسان زي ما كان دايماً يقول أنا باشتري راجل ما باشتريش فلوس.

أحمد منصور:

هناك أشياء كثيرة تؤكد على أنك اشترطتِ عليه أيضاً أن يتم طلاق زوجته الأولى قبل أن يتقدم للزواج منك؟

جيهان السادات:

لا، لا، لا، لا.. الكلام ده يعني إذا كان حصل...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

ألم يتم طلاقه قبل أن يتزوجك؟

جيهان السادات:

ده صحيح، لكن مش أنا اللي قلت .. يمكن هو مش عاوز يجمع بين زوجتين، ولأن هو من السجن...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

يعني أنتِ ما كانش عندك مانع أن تكوني زوجة ثانية له؟

جيهان السادات:

لا. لا أقبلها طبعاً.

أحمد منصور:

طيب.

جيهان السادات:

أكون صريحة معاك، لا، أنا ده أنا بتاعة قانون الأحوال الشخصية اللي ما بيجمعش. مش ممكن يعني، بس هأقول لحضرتك حاجة، يعني أنا كواحدة في السن ده لمَّا لقيته طلع من السجن على حلوان على حسن عزت، قاعد معاه، وقالوا ساب زوجته، انفصل عنها وهو في السجن إلى أن يطلع يطلقها.

أحمد منصور:

لكن ما كانش طلقها لسه؟

جيهان السادات:

طلقها بعد ما طلع من السجن، وإحنا مخطوبين أفتكر، فلكن مش أنا اللي قلت له لا..، ودي كنت حاجات حساسة ما.. حقيقة ما كلمتهوش، وبعدين أنا كنت شارياه على أي شكل وعلى أي وضع.

أحمد منصور:

للدرجة دي يعني؟!

جيهان السادات:

آه .. للدرجة دي كنت بأحبه وما زلت، يعني بأحبه بدرجة إن أي شيء لو جالي وقال لي: أنا أخلي زوجتي الأولانيّة وهأخليها علشان خاطر الولاد ما كنتش هأقول له: لأ. أبداً، فأنا لم...

أحمد منصور [مقاطعاً]:

ما أنت هنا حضرتك قبلتي إنك تكوني زوجة ثانية؟

جيهان السادات [مستأنفة]:

يعني الحب كان، زي ما بيقولوا: الحب أعمى، يعني كنت هأقبله على كل وضع، لكن هو اللي رفض هذا، وهو اللي لم يقبل هذا.

أحمد منصور:

حياتكم في البداية كانت صعبة؟

جيهان السادات:

جداً، آه طبعاً.

أحمد منصور:

أيه شكل الصعوبة اللي واجهتوها باختصار؟

جيهان السادات:

أمّا دخل، أمّا رجع الجيش، طبعاً ماهيته كانت ٣٤ جنيه، كنا ساكنين في شقة بـــ١٢ جنيه في الروضة برضوا اللي أنا بأحبها ومش عايزة أخرج منها، شقة في عمارة حلوة وعمارة جديدة، وكان عندنا مراسلة من الجيش دايماً كان ساعتها الظابط بيبقى معاه مراسلة يخدم.

أحمد منصور:

ده طبعاً بعدما رجع في ١٠ يناير ١٩٥٠م.

جيهان السادات:

نعم بعد ما رجع الجيش، الحقيقة طبعاً المرتب كنا بندي جزء علشان أولاده، والجزء الثاني كان بالكاد بيقضي إن إحنا ناكل يعني، لو أقول لحضرتك كنت بأبقى مثلاً ماشيه، أولاً أنا اللي بدلته أنا اللي بأغسلها، وأنا اللي بأكويها، وأنا اللي بألمع له الزراير، وأنا اللي بأعمل كله، الأكل في البيت أنا اللي أطبخه، ما كنتش أعرف طبخ، كنت أجيب كتاب وأقعد أبص فيه، وطبعاً هو قاسي من هذا يعني.

لكن برضه زي ما بأقول لحضرتك، لأنه بيحبني، ولأن معدته الحمد لله كانت في صفي، مش أكول، هو إنسان مش أكول خالص، والأكل لا يشكل عنده أي شيء، فده اللي نجح جوازنا كمان بعد كده بعني العشرة والحب اللي.. وكنت يعني نفسي أسعده بأي طريقة، ونفسي أخفف عنه اللي شافه في الماضي.

أحمد منصور:

في ١٠ يناير ١٩٥٠م كان السادات على علاقة مع يوسف رشاد الذي كان طبيباً للملك ومسؤولاً عن الحرس الحديدي في نفس الوقت، ولعب يوسف رشاد دوراً في إعادة السادات إلى الجيش مرة أخرى. وفي العام ٥١ التحق السادات مرة أخرى أيضاً...

جيهان السادات [مقاطعة]:

نعم.. نعم.. بالجيش..

أحمد منصور [مستأنفاً]:

بالضباط الأحرار.

جيهان السادات:

نعم.

أحمد منصور:

وقامت الثورة في ٢٣ يوليو، وكان له دور فيها، في الحلقة القادمة أبدأ معك من عودة الرئيس السادات أو أنور السادات، أو الضابط أنور السادات إلى الجيش مرة أخرى في العاشر من يناير ١٩٥٠م.

جيهان السادات:

إن شاء الله.

أحمد منصور:

أشكرك شكراً جزيلاً.

جيهان السادات:

شكراً.

الفهرس

مقدمة 3

من مذكرات الرئيس السادات 13

البحث عن الذات 21

السادات و مقتل أمين عثمان 25

السادات وأسلوبه في المقاومة 27

السادات والعمل بالجاسوسية 30

تنظيم الضباط الأحرار 37

الرؤساء الثلاث الأوائل لمصر 49

السادات وقرار الحرب 57

شهادات روسية عن حرب أكتوبر 63

من خلف الستار 67

السادات وزيارة القدس 71

خطاب السادات حول حرب اكتوبر 79

ثغرة الدفرسوار 83

السادات والإخوان المسلمين 89

موقف الإخوان من أنور السادات 91

رقية السادات... والذي كان من الإخوان 101

أسرار مثيرة 105

الرئيس والبابا 111
لماذا إستفز السادات البابا شنودة ؟ 123
جذور الأزمة.. وأسبابها 133
السادات وانتفاضة الحرامية 137
الوثائق السرية البريطانية 151
لماذا ثار المصريون ؟! 161
ثورة الجياع 25 يناير 77 165
القذافي في مذكرات السادات 179
تدهور العلاقة كيف كان وإلى أين أنتهى؟ 189
القذافي والسادات من واقع الوثائق البريطانية 193
شهادات عن السادات وعصره 195
الرئيس أنور السادات كما تراه جيهان السادات..199

محمد أنور محمد السادات (٢٥ ديسمبر ١٩١٨ - ٦ أكتوبر ١٩٨١)، ثالث رئيس لجمهورية مصر العربية بالفترة من ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وحتى ٦ أكتوبر ١٩٨١

ولد بقرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية سنة ١٩١٨، وتلقى تعليمه الأول في كتاب القرية على يد الشيخ عبد الحميد عيسى، ثم انتقل إلى مدرسة الأقباط الابتدائية بطوخ دلكا وحصل منها على الشهادة الابتدائية. وفي عام ١٩٣٥ التحق بالمدرسة الحربية لاستكمال دراساته العليا، وتخرج من الكلية الحربية بعام ١٩٣٨ ضابطاً برتبة ملازم ثان[بحاجة لمصدر] وتم تعيينه في مدينة منقباد جنوب مصر. وقد تأثر في مطلع حياته بعدد من الشخصيات السياسية والشعبية في مصر والعالم.

انتصار أكتوبر المجيد

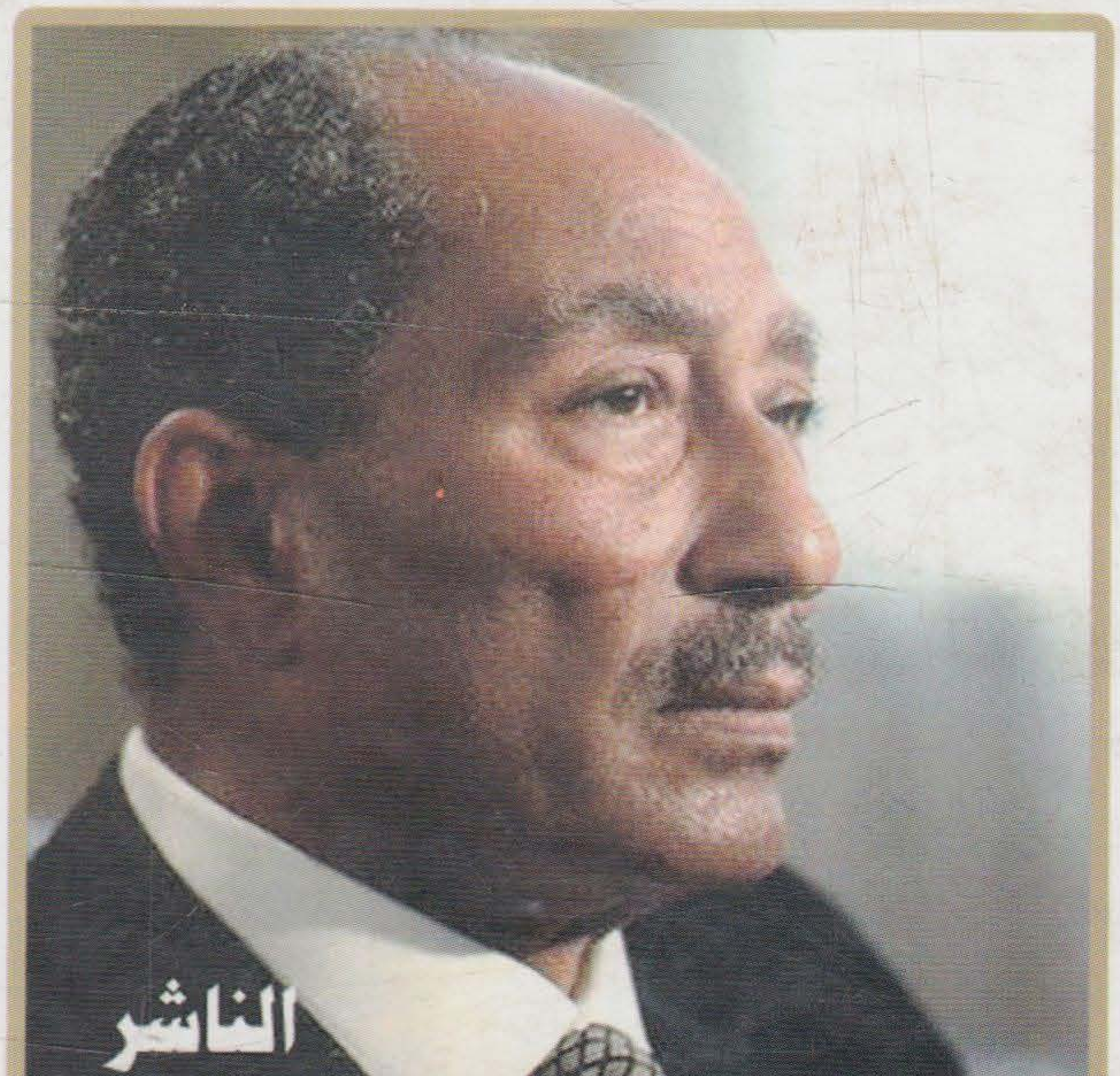

الناشر

Bibliotheca Alexandrina
0757259

المصرية
للنشر والتوزيع